الفرق بين الفرق

وبيان الفرقة الناجية منهم

للإمام الكبير حجة المتكلمين

ابى منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى

المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية

حقق أصوله وقدم له وعلق عليه ووضع فهارسه

ط. ه عبد الرؤف سعد

الناشر

مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع

١٤ جواد حسنى - القاهرة - ت : ٧٤٢١٥٥

الفرق بين الفرق

وبيان الفرقة الناجية منهم

للإمام الكبير حجة المتكلمين

أبى منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى

المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية

حقق أصوله وقدم له وعلق عليه ووضع فهارسه

طه عبد الرءوف سعد

الناشر

مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع

١٤ جواد حسنى - القاهرة - ت : ٧٤٢١٥٥

طبعـــة جـــديدة

مضبوطة — محققة — مفهرسة — معنى بإخراجها

أصح الطبعات وأكثرها شمولا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . . والعاقبة للمتقين . ولا عدوان إلا على الظالمين . . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . . سيدنا محمد ﷺ .. ورضى الله عن آله وصحبه . . ومن دعا بدعوته . . واهتدى بهديه .. إلى يوم الدين .

(وبعد)

فإن الخلاف قد نشأ بين البشر منذ بدء الخليقة ، وحتى اليوم ، وإلى أن تقوم الساعة مصداقا لقول الله عز وجل « ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ..ولا يزالون مختلفين ».

وأول خلاف عرف فى تاريخ البشرية . كان بين ابنى آدم : قابيل وهابيل حين « تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين » وقتل أحدهما أخاه ، فكانت أول جريمة تقع على سطح الأرض .

ومنذ بدأت رسالات الله تترى على أنبيائه ورسله . ظهر الخلاف ..فمن الناس من صدق وآمن ، ومنهم من كذب وكفر ، فمنهم من خسف الله بهم الأرض ، ومنهم من أغرق ومنهم من أمطرهم حجارة من سجيل منضود .

حتى كان عصر الإسلام ، وظهر الخلاف على أشده فى المجتمع المكى ، بين المصدقين لرسول الله ﷺ فيما يبلغ عن ربه ، وبين المكذبين الضالين . ولكنه كان خلافا واضحا بينا ، إما مؤمن وإما كافر . ولكن بعد الهجرة إلى يثرب ، بدأ الخلاف يأخذ شكلا آخر . . فقد ظهر المنافقون ، وظهر الشانئون على الإسلام ، الحاقدون على نبى الإسلام . ألا وهم اليهود الذين كانت تسكن المدينة ثلاث طوائف منهم ، فكانوا قبل دخول الإسلام المدينة يشعلون نار الفتنة بين الأوس والخزرج من سكان يثرب . . حتى قضى الإسلام على تلك الفتنة ، ووحد الصفوف ، وطهر القلوب .

وظل اليهود يكيدون الإسلام فى الخفاء أو فى العلن حتى كانت موقعة بنى قريظة ، وما كان من نزولهم بعد حصارهم على حكم سعد بن معاذ ، فقد حكم بقتل الرجال وسبى النساء والأطفال ، وأخذ الأموال غنيمة للمسلمين .

لم ييأس اليهود ما أصابهم ، فلجأوا إلى القبائل يؤلبونها على الإسلام ورسول الإسلام ، وعمدوا إلى دس الأحاديث الموضوعة بين السنة الشريفة ، بغية إيقاظ الفتنة ، وإشعال نار العداوة والبغضاء .

ولكن ظلت وحدة المسلمين فى عهد رسول الله ﷺ متماسكة قوية . وحتى يوم السقيفة يوم وقف الأنصار يقولون للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير .. لولا أن تقدم عمر وبايع أبا بكر .. فقضى على الفتنة فى مهدها . ومر عصر الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر دونما خلاف يذكر .. أو فتنة تطل برأسها .

ولما ولى عثمان بن عفان الخلافة ، استمرأ الناس لينه ودعته . وتكونت جماعة سرية أنشأها عبد الله بن سبأ اليهودى لتدبير الثورة على عثمان ، حتى قتل رضى الله عنه و بمقتل عثمان بدأت رءوس الفتن تطل برأسها وتجاهر بعدائها الإسلام .

ويقول بعض المؤرخين إن أول مرة يطلق فيها اسم المعتزلة إنما أطلق على قوم من الصحابة وأبناء الصحابة اعتزلوا الحرب بين على ومعاوية فسموا « المعتزلة » .

وفى معركة صفين ، وحينما حدث التحكيم ، ظهرت فرقة الخوارج ، وفى مقابلها ظهر الشيعة المناصرون لأهل بيت رسول الله ﷺ .

ويبدأ ظهور الفرق الأخرى، من بداية من عصر بنى أمية ، فالشيعة يكفرون أو يفسقون بنى أمية لاغتصابهم الخلافة من على . وكذلك الخوارج يكفرون الشيعة وبنى أمية أيضا . وهنا تنشأ فرقة جديدة لمناصرة بنى أمية ، ألا وهم المرجئة ، واتسعت هوة الخلاف بين الفرق الثلاث ، كل منها تكفر الأخرى أو تحكم عليها بالفسق .

ثم ظهر المعتزلة ، رفضوا ما قاله الخوارج والمرجئة . وفتح باب الجدل بين المسلمين ، وأخذت كل فرقة تنقسم على نفسها ، نتيجة لترجمة المعارف الأجنبية خاصة فى أواخر العصر الأموى ثم العصر العباسى .

فمن اليهودية تسللت أفكار إلى هذه الفرق ، كالقول بتناسخ الأرواح ، ونفى صفات الله الوجودية ، والحلول ، والتشبيه ، والقول بالقدر ، إلى غير ذلك من الأفكار التى تسللت من اليهودية إلى الإسلام ، فظهرت فرق المشبهة ، والمجسمة ، والقدرية .

وكذلك المدارس المسيحية المنتشرة فى البلاد التى افتتحها المسلمون ، وما كان من اختلاط بين المسلمين وأهل تلك البلاد ، والاطلاع على ثقافاتهم ، سواء كانت مسيحية أو مجوسية ، أو فلسفية ، وعنها نقل كثير من أهل الفرق المنشقة المنقسمة على بعضها الأفكار التى بنوا عليها مذاهبهم .

وكان الأمويون أقل اتصالا بالفرق من العباسيين ، ولكن بالرغم من هذا كان لهم دورهم المعروف إزاء الفرق المناوئة كالخوارج والشيعة . وشاب صلتهم بالمعتزلة بعض الفتور .

أما الدولة العباسية فقد قامت على تأكيد طابعها الدينى ، لذلك كان خلفاؤها يقربون العلماء والفقهاء والمشتغلين بالعلوم ، وأطلقوا حرية الفكر ، وشجعوا الترجمة .

* * *

بقى أن نتحدث عن حديث افتراق الأمة ، ولقد ورد الحديث بالصيغ الآتية :

١ — « افترقت المجوس على سبعين فرقة . وافترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة . وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » .

٢ — « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ... » الخ . وليس فيها ذكر المجوس .

٣ — « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل . تفرق بنو إسرائيل اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة . قالوا يا رسول الله من الملة الواحدة التى تنقلب (يعنى إلى الجنة) قال : ما أنا عليه وأصحابى . أو ما عليه الجماعة » .

٤ — « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة . الناجية منهم واحدة والباقون هلكى قيل : من الناجية ؟ قال : أهل السنة والجماعة . قيل . ما أهل السنة والجماعة ؟ قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى » .

٥ — « تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشا واحدة » .

٦ — « تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة فهى فى الجنة » .

ولقد تكلم الكثير من العلماء عن هذه الأحاديث ، وضعف سند كثير منها . وما يهمنا هنا ، هو أن الأمة ستفترق كما تفرق غيرها من الأمم ، وإن كان العدد غير لازم . ولقد عنى الكتاب الذى بين أيدينا ـ الفرق بين الفرق ـ بالحديث عن الفرق وعن ضلالات بعضها وبدعها .

ويرجع البعض هذه الفرق إلى خمس تفرعت منها كل الفرق وهى : الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة وأهل الحديث والرواية .

وردها أبو الحسن النوبختى فى مقدمة كتابه « الشيعة » إلى أصول أربعة هى : الشيعة والمرجئة والمعتزلة والخوارج .

أما الشهرستانى فى الملل والنحل فيرجعها إلى أربع فرق هى : القدرية والصفاتية والشيعة والخوارج .

ويرجع البعض تفرق الأمة إلى هذا العدد من الفرق إلى أسباب سياسية وأنها كانت فى الأصل اختلافات سياسية نشأت مع نشوب الحرب بين على ومعاوية ، وبعضهم يرده إلى الاختلاط بين الأمم التى فتحها الإسلام والتعرف على ثقافاتها ، ولجوء كثير من المجوس وغيرهم إلى الدس على الإسلام خفية إذ لم يقدروا على مواجهتهم له . وأنه لمن العجب أن نرى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه يتحدث عن أثر النعمة الجديدة التى حظى بها المسلمون ، وخطر التطور الاجتماعى الذى نقلهم من حال إلى حال ، وكيف لمح وكأنه يقرأ فى سفر مكتوب إلى أمارات التفرق إذ يقول :

« إنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعمة ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن . فإن رسول الله ﷺ قال : الكفر فى العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا » .

ترجمة المؤلف

هو الأستاذ عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمى الفقيه الأصولى الشافعى الأديب .

مولده : ولد ونشأ ببغداد ثم سافر مع أبيه إلى خراسان وسكنا بنيسابور وظلا بها إلى أن ماتا .

علمه :

كان ماهرا فى فنون عديدة أوصلها بعضهم إلى سبعة وعشرين فنا منها الفرائض والنحو والشعر .

مصنفاته :

كتاب « التكملة » فى الحساب وكتاب تفسير القرآن ، كتاب تأويل متشابه الأخبار .

وكتاب فضائح المعتزلة ، وكتاب الكلام فى الوعيد الفاخر فى الأوائل والأواخر ، وكتاب إبطال القول بالتولد . وكتاب فضائح الكرامية . وكتاب معيار النظر . وكتاب تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر . وكتاب الإيمان وأصوله . وكتاب الملل والنحل . وكتاب التحصيل فى أصول الفقه . وكتاب الفرق بين الفرق . وكتاب بلوغ المدى فى أصول الهدى وكتاب نفى خلق القرآن . وكتاب الصفات .

فضله ومكانته :

كان ذا مال وثروة ، وكان ينفق على أهل العلم والحديث ولم يكتسب بعلمه مالا . وكان قد تفقه على أبى إسحاق الاسفرايينى . ثم جلس بعده بمكانه بمسجد عقيل للإملاء . فأملى سنين عديدة واختلف إليه الأئمة فقرأوا عليه ومنهم ناصر المروزى وزين الإسلام القشيرى.

قال الفخر الرازى فى الرياض المونقة . كان يسير فى الرد على المخالفين سير الآجال فى الآمال وكان شديد التعصب فى الرد على المخالفين .

نماذج من شعره :

طلبت من الحبيب زكاة حسن ... على صغر من العمر البهى
فقال وهل على مثلى زكاة ... على قول العراقى الزكى
فقلت الشافعى لنا إمامٌ ... وقد فرض الزكاة على الصبى

وقال أيضا :

شبابى وشيبى دليلا رحيلى ... فسمعاً لذلك وذا من دليل
وقد مات من كان لى من عديل ... وحسبى دليلا رحيل العديل

وقال أيضاً :

ياسائلى عن قصتى ... دعنى أمت فى غصتى
المال فى أيدى الورى ... واليأس منه قصتى

وفاته :

خرج من نيسابور فى أيام فتنة التركمانية إلى أسفرايين فمات ودفن بها وكانت وفاته فى سنة ٤٢٩ هـ ودفن إلى جوار شيخه أبى إسحاق .

(المحقق)

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الفرق بين الفرق

رب يسر ولا تعسر

الحمد لله فاطر الخلق ومبدعه، ومظهر الحق ومنجده، الذى جعل الحق وزراً لمن اعتقده، وعمراً لمن اعتمده [1] وجعل الباطل مزلا لمن ابتغاه، ومذلا لمن اقتفاه والصلاة والسلام على الصفوة الصافية، والقدوة الهادية محمد وآله خيار الورى. ومنار الهدى.

سألتم أسعدكم الله بمطلوبكم شرح معنى الخبر المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم، فى افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة منها واحدة ناجية. تصير إلى جنة عالية، وبواقيها عادية [2] تصير إلى الهاوية والنار الحامية، وطلبتم الفرق بين الفرقة الناجية التى لا يزل بها القدم، ولا تزول عنها النعم، وبين فرق الضلال الذين يرون ظلام الظلم نوراً، واعتقاد الحق ثبورا وسيصلون سعيراً، ولا يجدون من دون الله نصيراً.

فرأيت إسعافكم بمطلوبكم من الواجب فى إبانة الدين القويم، والصراط المستقيم، وتمييزهما من الأهواء المنكوسة والآراء المعكوسة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من يحيا عن بينة، فأودعت مطلوبكم مضمون هذا الكتاب. وقسمت مضمونه خمسة أبواب هذه ترجمتها:

١ - باب فى بيان: الحديث المأثور فى افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة.

٢ - باب فى بيان: فرق الأمة على الجملة ومن ليس منها على الجملة.

٣ - باب فى بيان: فضائح كل فرقة من فرق الأهواء الضالة.

٤ - باب فى بيان: الفرق التى انتسبت إلى الإسلام وليست منه.

٥ - باب فى بيان: الفرقة الناجية وتحقيق نجاتها وبيان محاسن دين الإسلام.

فهذه جملة أبواب هذا الكتاب وسنذكر فى كل باب منها مقتضاه على شرطه إن شاء الله تعالى.

---

(١) العمر بوزن قفل. هو العيش أو الدين. ومعنى اعتمده: قصده.

(٢) من العدوان. والعدوان مجاوزة الحد.

الباب الأول

في بيان الحديث المأثور في افتراق الأمة :

أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد بن بشار الإسفرايني [١] . قال : أخبرنا عبد الله بن ناجية [٢] . قال : حدثنا وهب بن بقية [٣] ، عن خالد بن عبد الله [٤] ، عن محمد بن عمرو [٥] عن أبي سلمة [٦] ، عن أبي هريرة [٧] ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» .

أخبرنا : أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمذي العدل الثقة [٨] . قال : أخبرنا : أحمد بن الحسن بن عبد الجبار [٩] . قال : حدثنا الهيثم بن خارجة [١٠] . قال :

---

(١) ابن الدهقان، رحل إلى بغداد والموصل توفي في شوال ٣٧٠ﻫ وهو فوق التسعين.

(٢) أحد الأثبات المصنفين ، بربري الأصل، صنف مسندا في ١٣٢ جزءا وتوفي سنة ٣٠١ﻫ.

(٣) ويقال : وهبان بن بقية الواسطي الحافظ . روى عن هشيم وأقرانه توفي سنة ٢٣٩ﻫ.

(٤) الواسطي الطحان الحافظ . قال فيه إسحاق الأزرق : ما أدركت أفضل منه توفي سنة ١٧٩ ﻫ .

(٥) ابن علقمة بن وقاص الليثي المدني . كان حسن الحديث كثير العلم مشهورا أخرج له البخاري مقرونا بآخر . وتوفي سنة ١٤٥ ﻫ .

(٦) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني أحد الأئمة الكبار . توفي سنة ٩٤ﻫ.

(٧) هو : عبد الرحمن ـ في أشهر الأقوال ـ بن صخر الدوسي . الصحابي الجليل توفي سنة ٥٧ ﻫ .

(٨) سمع من مسدد بن قطن وابن شيرويه . وحدث بمسند ابن راهويه . توفي سنة ٣٦٦ ﻫ . وقيل له السمذي ـ فقد كان أبوه يبيع السمذ وهو الخبز .

(٩) الصوفي البغدادي . كان ثقة صاحب حديث . روى عن علي بن الجعد وابن معين وجماعة وتوفي سنة ٣٠٦ ﻫ .

(١٠) الحافظ سمع مالكا والليث . وروى عنه البخاري والنسائي وتوفي سنة ٢٢٧ﻫ ببغداد.

حدثنا إسماعيل بن عياش[١] عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم[٢]، عن عبد الله بن يزيد[٣] عن عبد الله بن عمرو[٤] قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل . تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة . قالوا يا رسول الله : وما الملة التى تنقلب . قال . ما أنا عليه وأصحابى » .

أخبرنا القاضى أبو محمد عبد الله بن عمر المالكى . قال : حدثنا : أبى ، عن أبيه . قال : حدثنا الوليد بن مسلم[٥] . قال : حدثنا الأوزاعى[٦] . قال : حدثنا قتادة[٧] ، عن أنس[٨] عن النبى عليه السلام . قال . « إن بنى إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة » .

قال عبد القاهر : للحديث الوارد على افتراق الأمة أسانيد كثيرة[٩] ، وقد رواه عن

---

(١) محدث الشام ، ومفتى أهل حمص . قال ابن معين : هو ثقة فى الشاميين . توفى سنة ١٨١ هـ .

(٢) شيخ أفريقيا وقاضيها . وأول من ولد بها من المسلمين . وهو ليس بقوى فى الحديث وفد على المنصور فوعظه بكلام خشن فاحتمله . وتوفى سنة ١٥٦ هـ . وقيل سنة ١٧٤ هـ .

(٣) أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلى . توفى سنة ١٠٠ هـ بأفريقيا .

(٤) ابن العاص السهمى . الصحابى الجليل ، كان كثير العلم كبير القدر . توفى سنة ٦٥ هـ على الصحيح .

(٥) هو محدث الشام . روى عن ابن أبى مريم والأوزاعى وابن جريج . وروى عنه الليث . وقد كان يغرب بأحاديث . وقال عنه أبو مسهر : كان مدلسا . توفى سنة ١٩٤ وقيل سنة ١٩٦ هـ .

(٦) إمام الشاميين . كان رأسا فى العلم والعمل . لم يكن بالشام أعلم منه . كان يحيى الليل صلاة وقرآنا وبكاء . مات فى الحمام : أغلقت عليه امرأته باب الحمام ونسيته فمات سنة ١٥٧ هـ .

(٧) عالم أهل البصرة . قال أحمد : قل أن تجد من يتقدم قتادة . مات سنة ١١٧ هـ .

(٨) قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وسنه عشر سنين . وصار خادما لرسول الله مات فى البصرة سنة ٩٣ هـ على الصحيح .

(٩) ويتضح فى هذه الروايات الاختلاف الشديد بينها . وكذلك ورود عبارات لم تعرف فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إنما عرفت بعد الاختلاف والتنابذ . وقيل إن عبارة كلها فى النار إلا واحدة ، من وضع الملاحدة أو الزنادقة . وكذلك كل رواية تجد فيها ضعيفا وكل حديث هذا شأنه لا يجوز الاستدلال به .

النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة : كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي الدرداء[١]، وجابر[٢]، وأبي سعيد الخدري[٣]، وأبي بن كعب[٤]، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي أمامة[٥]. وواثلة بن الأسقع[٦]. وغيرهم.

وقد روى عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقاً، وذكروا أن الفرقة الناجية منها فرقة واحدة وسائرها على الضلال فى الدنيا والبوار فى الآخرة.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : ذم القدرية وأنهم مجوس هذه الأمة، وروى عنه : ذم المرجئة مع القدرية، وروى عنه أيضاً : ذم المارقين وهم الخوارج، وروى عن أعلام الصحابة ذم القدرية، والمرجئة، والخوارج المارقة وقد ذكرهم على رضى الله عنه فى خطبته المعروفة بالزهراء وبرىء فيها من أهل النهروان. وقد علم كل ذى عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي عليه السلام لم يرد بالفرق المذمومة التى هى من أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا فى فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين لأن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين :

أحدهما : قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم فى فروع الفقه. وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون.

والثانى : قول من يرى فى كل فرع تصويب واحد من المختلفين فيه، وتخطئة الباقين من غير تضليل منه للمخطىء فيه، وإنما فصل النبي عليه السلام بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية فى أبواب العدل والتوحيد، أو فى الوعد والوعيد، أو فى بابى القدر والاستطاعة، أو فى تقدير الخير والشر، أو فى باب الهداية والضلالة، أو فى باب الإرادة والمشيئة. أو فى باب الرؤية والإدراك، أو فى باب صفات الله

---

(١) عويمر بن زيد الأنصارى الخزرجى. أسلم بعد غزوة بدر توفى سنة ٣٢ هـ فى دمشق.

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى الأنصارى. آخر أهل العقبة وفاة. وتوفى سنة ٧٨ هـ بالمدينة.

(٣) سعد بن مالك الأنصارى. أحد فقهاء الصحابة وأعيانهم. توفى سنة ٧٤ هـ.

(٤) أبو المنذر أبى بن كعب الأنصارى سيد القراء. توفى سنة ٢٢ وقيل سنة ١٩ هـ.

(٥) هو : صدى. على صورة المصغر - بن عجلان الباهلى. نزيل حمص توفى سنة ٨٦ هـ

(٦) واثلة بن الأسقع الليثى أحد أصحاب الصفة. وكان فارساً شجاعاً. توفى سنة ٨٥ هـ وقيل سنة ٨٦

عز وجل وأسمائه وأوصافه ، أو فى باب من أبواب التعديل والتجوير ، أو فى باب من أبواب النبوة وشروطها ونحوها من الأبواب التى اتفق عليها أهل السنة والجماعة من فريقى الرأى والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية ، والخوارج ، والروافض والنجارية ، والجهمية ، والمجسمة ، والمشبهة ومن جرى مجراهم من فرق الضلالة فإن المختلفين فى العدل والتوحيد والقدر والاستطاعة وفى الرؤية والصفات والتعديل والتجوير وفى شروط النبوة والإمامة يكفر بعضهم بعضا ، فصح تأويل الحديث المروى فى افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التى اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام فى أبواب الحلال والحرام . وليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع وسنذكر الفرق التى رجع إليهم تأويل الخبر المروى فى افتراق الأمة فى الباب الذى يلى ما نحن فيه إن شاء الله عز وجل .

الباب الثانى

من أبواب هذا الكتاب : فى كيفية افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة ، وفى ضمنه بيان الفرق الذين يجمعهم اسم ملة الإسلام فى الجملة . يقع فى هذا الباب فصلان :

أحدهما : فى بيان المعنى الجامع للفرق المختلفة فى اسم ملة الإسلام فى الجملة .

والفصل الثانى : فى بيان كيفية اختلاف الأمة وتحصيل عدد فرقها الثلاث والسبعين وسنذكر فى كل واحد من هذين الفصلين مقتضاه إن شاء الله عز وجل .

الفصل الأول

فى بيان المعنى الجامع للفرق المختلفة فى اسم ملة الإسلام على الجملة قبل التفصيل .

اختلف المنتسبون إلى الإسلام فى الذين يدخلون بالاسم العام فى ملة الإسلام فزعم أبو القاسم الكعبى فى مقالاته : أن قول القائل أمة الإسلام تقع على كل مقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن كل ماجاء به حق ، كائنا قوله بعد ذلك ما كان . وزعم قوم : أن أمة الإسلام كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة ، وزعمت الكرامية مجسمة خراسان أن أمة الإسلام جامعة لكل من أقر بشهادتى الإسلام لفظا . وقالوا : كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول فهو مؤمن حقا وهو من أهل ملة الإسلام سواء كان مخلصاً فيه أو منافقاً مضمراً للكفر فيه والزندقة ، ولهذا زعموا أن المنافقين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين حقاً ، وكان إيمانهم كإيمان جبريل ، وميكائيل ، والأنبياء ، والملائكة مع

لاعتقادهم النفاق وإظهار الشهادتين . وهذا القول مع قول الكعبي(١) فى تفسير أمة الإسلام ينتقض بقول العيسوية(٢) من يهود أصبهان فإنهم يقرون بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبأن كل ما جاء به حق ، ولكنهم زعموا أنه بعث إلى العرب لا إلى بنى إسرائيل ، وقالوا أيضاً : محمد رسول الله . وما هم معدودون فى فرق الإسلام . وقوم من موشكانية اليهود حكوا عن زعيمهم المعروف بموشكان(٣) أنه قال : إن محمداً رسول الله إلى العرب وإلى سائر الناس ما خلا اليهود . وإنه قال : إن القرآن حق وكل ما جاء به من الأذان والإقامة ، والصلوات الخمس ، وصيام شهر رمضان ، وحج الكعبة كل ذلك حق غير أنه مشروع للمسلمين دون اليهود ، وربما فعل ذلك بعض الموشكانية وقد أقروا بشهادتى أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأقروا بأن دينه حق . وما هم مع ذلك من أمة الإسلام لقولهم بأن شريعة الإسلام لا تلزمهم .

وأما قول من قال إن اسم ملة الإسلام أمر واقع على كل من يرى وجوب الصلاة إلى الكعبة المنصوبة بمكة فقد رضى بعض فقهاء الحجاز هذا القول وأنكره أصحاب الرأى لما روى عن أبى حنيفة(٤) أنه صحح إيمان من أقر بوجوب الصلاة إلى الكعبة وشك فى موضعها . وأصحاب الحديث لا يصححون إيمان من شك فى موضع الكعبة ، كما لا يصححون إيمان من شك فى وجوب الصلاة إلى الكعبة . والصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم ، وتوحيد صانعه ، وقدمه ، وصفاته ، وعدله ، وحكمته ، ونفى التشبيه عنه ، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالته إلى الكافة ، وبتأبيد شريعته ، وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة ، وأن الكعبة هى القبلة التى تجب الصلاة إليها فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدى إلى الكفر فهو السنى الموحد . وإن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء ، نظر فإن كان على بدعة

---

(١) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى الكعبى ، من شيوخ المعتزلة . رئيس « الكعبية » وتوفى سنة ٣١٩ هـ .

(٢) طائفة تنسب إلى أبى عيسى الأصبهانى اليهودى . كان معاصرا للمنصور .

(٣) الموشكانية فريق من ابوذعانية اليهود .

(٤) الإمام النعمان بن ثابت بن النعمان بن قيس بن المرزبان بن زوطى بن ماه . أحد الأئمة الأربعة . توفى رضى الله عنه سنة ١٥٠ هـ .

الباطنية ، أو البيانية ، أو المغيرية ، أو الخطابية الذين يعتقدون إلهية الأئمة أو إلهية بعض الأئمة ، أو كان على مذاهب الحلول ، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ ، أو على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ، أو على مذهب اليزيدية من الإباضية في قولها : بأن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان ، أو أباح ما نص القرآن على تحريمه ، أو حرم ما أباحه القرآن نصاً لا يحتمل التأويل فليس هو من أمة الإسلام ولا كرامة له .

وإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة ، أو الخوارج ، أو الرافضة الإمامية ، أو الزيدية ، أو من بدع النجارية ، أو الجهمية ، أو الضرارية ، أو المجسمة فهو من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين ، وفي أن لا يمنع حظه من الفيء والغنيمة إن غزا مع المسلمين ، وفي أن لا يمنع من الصلاة في المساجد . وليس من الأمة في أحكام سواها وذلك أن لا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ، ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية ، ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم . وقد قال علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه للخوارج : علينا ثلاث : لا نبدؤكم بقتال ، ولا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله . ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا والله أعلم .

الفصل الثاني

من هذا الباب في بيان كيفية اختلاف الأمة وتحصيل عدد فرقها الثلاث والسبعين .

كان المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقاً وأضمر نفاقاً . وأول خلاف وقع منهم اختلافهم في موت النبي عليه السلام . فزعم قوم منهم أنه لم يمت وإنما أراد الله تعالى رفعه إليه كما رفع عيسى ابن مريم إليه وزال هذا الخلاف وأقر الجميع بموته حين تلا عليهم أبو بكر الصديق[2] قول الله لرسوله عليه السلام : (إنك ميت وإنهم ميتون[3]) . وقال لهم : « من كان

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب . غني عن التعريف . كان جم العلم . شديد البأس . رابع الخلفاء الراشدين . ولد سنة ٢٣ قبل الهجرة . ومات مقتولا بالكوفة سنة ٤٠ هـ .

(٢) هو : عبد الله بن أبي قحافة . أول الصحابة . وأول الخلفاء الراشدين . ولد رضي الله عنه سنة ١ هـ قبل الهجرة . وتوفي بالمدينة سنة ١٣ هـ

(٣) الآية ٣٠ من سورة الزمر .

يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت[١]». ثم اختلفوا بعد ذلك في موضع دفن النبي عليه السلام فأراد أهل مكة رده إلى مكة لأنها مولده ومبعثه وقبلته، وموضع نسله، وبها قبر جده إسماعيل عليه السلام، وأراد أهل المدينة دفنه بها لأنها دار هجرته، ودار أنصاره، وقال آخرون بنقله إلى أرض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده إبراهيم الخليل عليه السلام. وزال هذا الخلاف بأن روى لهم أبو بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون[٢]» فدفنوه في حجرته بالمدينة، ثم اختلفوا بعد ذلك في الإمامة وأذعنت الأنصار إلى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجي[٣]، وقالت قريش: أن الإمامة لا تكون إلا في قريش، ثم أذعنت الأنصار لقريش لما روى لهم قول النبي عليه السلام «الأئمة من قريش»[٤]. وهذا الخلاف باق إلى اليوم لأن ضراراً أو الخوارج قالوا بجواز الإمامة في غير قريش، ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن فدك[٥]، وفي توريث التركات عن الأنبياء عليهم السلام، ثم نفذ في ذلك قضاء أبي بكر بروايته عن النبي عليه السلام: «إن الأنبياء لا يورثون[٦]». ثم اختلفوا بعد ذلك في مانعي وجوب الزكاة ثم اتفقوا على رأي أبي بكر في وجوب قتالهم، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال طليحة[٧] حين تنبأ وارتد حتى انهزم إلى الشام. ثم رجع في

---

(١) أخرج البخاري هذا الحديث في تاريخه.

(٢) وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى في موطأ الإمام مالك. وفي طبقات ابن سعد، وغيرهما من الكتب.

(٣) هو زعيم الخزرج كان مشهودا له بالكرم. مات في حوران سنة ١٥ هـ.

(٤) هذا الحديث ورد بسند جيد عند الطبراني وغيره. ولكن لم يثبت احتجاج أبي بكر به في يوم السقيفة، والبيعة.

(٥) فدك – قرية بخيبر وقيل بناحية الحجاز فيها عين ونخل. وقد أفاءها الله على رسوله، وكانت في يده في حياته. وبعد وفاته قال علي: إن النبي كان قد جعلها في حياته لفاطمة وولدها. وأبى العباس ذلك، وقضى أبو بكر بعدم توريثها وبعد وفاة أبي بكر سلمها عمر للعباس وعلي ولاية وليس ملكا. والنزاع في هذه المسألة شديد بين أهل السنة والشيعة.

(٦) في هذا المعنى أحاديث كثيرة منها «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».

(٧) طليحة بن خويلد الأسدي. كان صحابيا ثم ارتد وتنبأ وفي عهد عمر رجع إلى الإسلام فقبله عمر وحسن إسلامه وكان يعد بألف فارس واستشهد في موقعة نهاوند سنة ٢١ هـ.

أيام عمر[١] إلى الإسلام وشهد مع سعد بن أبي وقاص[٢] حرب القادسية ، وشهد بعد ذلك حرب نهاوند وقتل بها شهيداً .

ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال مسيلمة[٣] الكذاب إلى أن كفى الله تعالى أمره وأمر سجاح المتنبئة[٤] . وأمر الأسود بن زيد العنسي[٥] . ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال سائر المرتدين إلى أن كفى الله تعالى أمرهم ، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال الروم والعجم وفتح الله لهم الفتوح وهم فى أثناء ذلك كله على كلمة واحدة فى أبواب العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، وفى سائر أصول الدين . وإنما كانوا يختلفون فى فروع الفقه كميراث الجد مع الإخوة ، والاخوات مع الأب والام أو مع الاب ، وكمسائل العول والكلالة[٦] ، والرد وتعصيب الأخوات من الأب ، والأم ، أو من الأب مع البنت أو بنت الابن ، وكاختلافهم فى جر الولاء ، وفى مسألة الحرام ونحوها مما لم يورث اختلافهم فيه تضليلا ولا تفسيقا . وكانوا على هذه الجملة فى أيام أبى بكر ، وعمر وست سنين من خلافة عثمان[٧] ثم اختلفوا بعد ذلك فى أمر عثمان لأشياء نقموها منه حتى أقدم لأجلها ظالموه على قتله ، ثم اختلفوا بعد قتله فى قاتليه وخاذليه اختلافا باقياً إلى يومنا هذا .

---

(١) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثانى الخلفاء الراشدين . الإمام العادل المشهور. ولد سنة ٤٠ قبل الهجرة . ومات مقتولا بيد أبى لؤلؤة فيروز المجوسى سنة ٢٣ هـ .

(٢) أول من رمى بسهم فى سبيل الله . فاتح العراق . توفى فى قصره بالعقيق سنة ٥٥هـ وحمل على الأعناق إلى المدينة .

(٣) أبو ثمامة بن بكر بن حبيب سماه النبى « كذاب اليمامة » ادعى النبوة وحاربه المسلمون ومات مقتولا .

(٤) أم صادر سجاح بنت الحارث بن سويد . ادعت النبوة وتزوجت بمسيلمة الكذاب . وقيل أنها أسلمت بعد هلاك مسيلمة وماتت بالبصرة .

(٥) عبهلة بن كعب . ادعى النبوة فى حياة رسول الله ولقبه الرسول « كذاب صنعاء » وقتل فى سنة ١٢ هـ قتله صحابى هو فيروز الديلمى .

(٦) الميراث والعول والكلالة والتعصيب كلها مسائل فقهية معروفة فى أبواب المواريث فى كتب الفقه .

(٧) عثمان بن عفان . لقب بذى النورين لتزوجه بنتين لرسول الله هما رقية ثم أم كلثوم . ثالث الخلفاء الراشدين ولد سنة ٤٧ قبل الهجرة ومات مقتولا سنة ٣٥هـ وبقتله بدأت الفتنة .

ثم اختلفوا بعد ذلك فى شأن على وأصحاب الجمل ، وفى شأن معاوية[١] وأهل صفين[٢] ، وفى حكم الحكمين أبى موسى الأشعرى[٣] ، وعمرو بن العاص[٤] اختلافا باقيا إلى اليوم . ثم حدث فى زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية فى القدر والاستطاعة من معبد الجهنى[٥] وغيلان الدمشقى[٦] ، والجعد بن درهم[٧] وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله ابن عمر[٨] ، وجابر بن عبد الله ، وأبى هريرة ، وابن عباس[٩] ، وأنس بن مالك ، وعبد الله ابن أبى أوفى[١٠] ، وعقبة بن عامر الجهنى[١١] وأقرانهم . وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ولا يصلوا على جنائزهم ، ولا يعودوا مرضاهم ، ثم اختلفت الخوارج بعد ذلك فيما بينها فصارت مقدار عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرها . ثم حدث فى أيام الحسن

(١) معاوية بن أبى سفيان أسلم عام الفتح مع أبيه وكتب لرسول الله ومات بدمشق سنة ٦٠ هـ .

(٢) صفين - بوزن سكين . موضع قرب الرقة شمالى سوريا على شاطىء الفرات .

(٣) عبد الله بن قيس الأشعرى . صحابى جليل استعمله الرسول فى عدن ، وعمر على الكوفة والبصرة . توفى سنة ٤٤ هـ .

(٤) أسلم فى هدنة الحديبية ، وهاجر ، كان من دهاة العرب . ومات بمصر سنة ٤٣ هـ .

(٥) معبد بن خالد الجهنى البصرى . أول من تكلم فى القدر . قال الدارقطنى : « حديثه صالح ومذهبه ردىء » واختلف فى موته فقيل صلبه عبد الملك بن مروان . وقيل خرج مع الأشعث ، فعذبه الحجاج أشد أنواع العذاب ثم قتله فى سنة ٨٠ هـ .

(٦) غيلان بن مسلم : أخذ القول فى القدر عن معبد بن خالد وجاء به عمر بن عبد العزيز واستتابه . ثم قتله هشام بن عبد الملك .

(٧) كان يؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وكان مروان ينسب إليه فيقال : « مروان الجعدى » وهو أول من تكلم فى خلق القرآن . وقد ذبحه خالد بن عبد الله القسرى .

(٨) عبد الله بن عمر . ولد قبل مبعث النبى بسنة ، حضر الخندق . وهو من صالحى الصحابة وقرائهم وزهادهم . اعتزل الفتنة وقعد فى بيته لا يخرج إلا حاجا أو معتمرا أو غازيا إلى أن أدركته المنية بمكة وقد كف بصره . وكانت وفاته سنة ٧٣ هـ .

(٩) عبد الله بن عباس . الفقيه المفسر ، حبر الأمة . ولد قبل الهجرة بأربع سنين . ومات بالطائف وقد كف بصره سنة ٦٨ وقيل سنة ٧٠ وصلى عليه محمد بن الحنفية .

(١٠) عبد الله بن أبى أوفى الأسلمى . صحابى ابن صحابى . آخر الصحابة موتا بالكوفة . مات سنة ٨٧ هـ .

(١١) صحابى جليل ، ولى مصر لمعاوية ثم عزله وولاه غزو البحر . كان مقرئا فصيحا مات سنة ٥٨ هـ .

البصري[1] خلاف واصل بن عطاء الغزال في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب في بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة فقيل لهما ولأتباعهما معتزلة لاعتزالهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر.

وأما الروافض فإن السبئية منهم أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه. فقال بعضهم لعلي: أنت الإله فأحرق علي قوما منهم ونفى ابن سبأ[2] إلى ساباط المدائن، وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام لتسميتهم علياً إلها ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف: زيدية[3]، وإمامية، وكيسانية، وغلاة. وافترقت الزيدية فرقا والإمامية فرقا، والغلاة فرقا. كل فرقة منها تكفر سائرها. وجميع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام فأما فرق الزيدية، وفرق الإمامية فمعدودون في فرق الأمة وافترقت النجارية بناحية الري بعد الزعفراني فرقا يكفر بعضها بعضاً، وظهر خلاف البكرية من بكر ابن أخت عبد الواحد بن زياد، وخلاف الضرارية من ضرار بن عمرو وخلاف الجهمية من جهم بن صفوان، وكان ظهور جهم، وبكر، وضرار في أيام ظهور واصل بن عطاء في ضلالته، وظهرت دعوة الباطنية في أيام المأمون[4] من حمدان قرمط، ومن عبد الله بن ميمون القداح وليست الباطنية من فرق ملة الإسلام. بل هي من فرق المجوس.

---

(١) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وأمه مولاة أم سلمة. إمام أهل البصرة وحبر أهل زمانه. توفي سنة ١١٠ هـ.

(٢) كان يهوديا، فأظهر الإسلام وطاف ببلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل الشر بينهم، ودخل دمشق لذلك. ومنه تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة وعنه أخذوا القول بأن الجزء الإلهي يحل في الأئمة. وكانت هذه دعوة الخلفاء الفاطميين بمصر، وكان يثير الفتن بين صحابة رسول الله. وكان رأس الفتنة في مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) جعل المؤلف الزيدية من الرافضة. وهو ليس بصحيح فالزيدية هم أتباع زيد بن علي الذين بقوا معه. أما الرافضة فهم الذين تركوه بعد أن طلبوا إليه أن يتبرأ من الشيخين فقال: لقد كانا وزيري جدي فلا أتبرأ منهما. فرفضوه وتفرقوا عنه.

(٤) عبد الله المأمون بن الرشيد بويع بالخلافة سنة ١٩٨، وفي عهده ازدهرت الثقافة ونشطت حركة الترجمة واستمرت الفتوحات، ومات بطرسوس سنة ٢١٨ هـ.

على ما نبينه بعد هذا . وظهروا فى أيام محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر[1] بخراسان خلاف الكرامية المجسمة .

فأما الزيدية من الرافضة فمعظمها ثلاث فرق وهى : الجارودية ، والسليمانية ، وقد يقال الجريرية أيضاً ، والبترية . وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب فى أيام خروجه ، وكان ذلك فى زمن هشام بن عبد الملك[2] . والكيسانية منهم فرق كثيرة يرجع محصلها إلى فرقتين : إحداهما : تزعم أن محمد ابن الحنفية حى لم يمت وهم على انتظاره ، ويزعمون أنه المهدى المنتظر .

والفرقة الثانية منهم : يقرون بإمامته فى وقته وبموته وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره ويختلفون بعد ذلك فى المنقول إليه .

وأما الإمامية المفارقة للزيدية . والكيسانية . والغلاة فإنها خمس عشرة فرقة وهى :

المحمدية ، والباقرية ، والناووسية ، والشمطية ، والعمارية ، والإسماعلية ، والمباركية والموسوية والقطعية ، والاثنى عشرية والهشامية من أتباع هشام بن الحكم ، أو من أتباع هشام بن سالم الجواليقى ، والزرارية ، من أتباع زرارة بن أعين ، واليونسية من أتباع يونس القمى والشيطانية من أتباع شيطان الطاق ، والكاملية من أتباع أبى كامل وهو أفحشهم قولا فى على وفى سائر الصحابة رضى الله عنهم . فهذه عشرون فرقة من فرق الروافض منها : ثلاث زيدية ، وفرقتان من الكيسانية ، وخمس عشرة فرقة من الإمامية . فأما غلاتهم الذين قالوا بإلهية الأئمة ، وأباحوا محرمات الشريعة ، وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة ، كالبيانية والمغيرية ، والجناحية ، والمنصورية ، والخطابية ، والحلولية ومن جرى مجراهم فما هم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه . وسنذكرها فى باب مفرد بعد هذا الباب .

وأما الخوارج فإنها لما إختلفت صارت عشرين فرقة وهذه أسماؤها :

المحكمة الاولى ، والأزارقة ، ثم النجدات ، ثم الصفرية ، ثم العجاردة ، وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقا كثيرة منها : الخازمية ، والشعيبية ، والمعلومية ، والمجهولية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والإبراهيمية ، والواقفة ، وافترقت الإباضية

---

(١) نائب بغداد . كان جوادا عالما جيد الشعر . مرض بالخوانيق ومات به سنة ٢٥٣ هـ .

(٢) الخليفة الأموى . بقى فى الخلافة حوالى عشرين سنة . كان ذا رأى وعلم . كانت داره عند الخواصين فى دمشق وعلى أرضها بنيت مدرسة السلطان نور الدين . ومات سنة ١٢٥ هـ .

منها فرقا : حفصية ، وحارثية ، ويزيدية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها .

واليزيدية منهم : أتباع يزيد بن أبي أنيسة ليست من فرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تنسخ فى آخر الزمان بنبي يبعث من العجم .

وكذلك فى جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية ليست من فرق الإسلام لأنها أباحت نكاح بنات البنات ، وبنات البنين كما أباحته المجوس . وسنذكر اليزيدية والميمونية فى جملة الذين انتسبوا إلى الإسلام وما هم منهم ولا من فرقهم

وأما القدرية المعتزلة عن الحق فقد افترقت عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهذه أسماء فرقها : الواصلية ، والعمروية ، والهذلية . والنظامية ، والمرادرية ، والمعمرية والثمامية ، والجاحظية ، والخابطية ، والحمارية ، والخياطية . والشحامية ، وأصحاب صالح قبة ، والمريسية ، والكعبية ، والجبائية ، والبهشمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبائي فهي ثنتان وعشرون فرقة ثنتان منها ليستا من فرق الإسـلام وهما : الخابطية ، والحمارية وسنذكرهما فى الفرق التى انتسبت إلى الإسلام وليست منها .

وأما المرجئة فثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء فى الإيمان . وبالقدر على مذاهب القدرية فهم معدودون فى القدرية والمرجئة . كأبي شمر المرجيء[1] ، ومحمد بن شبيب البصري[2] ، والخالدى ، وصنف منهم قالوا بالإرجاء فى الإيمان ، ومالوا إلى قول جهم فى الأعمال والأكساب فهم من جملة الجهمية والمرجئة . وصنف منهم خالصة فى الإرجاء من غير قدر وهم خمس فرق : يونسية ، وغسانية ، وثوبانية ، وتومنية ومريسية . وأما النجارية فإنها اليوم بالرى أكثر من عشر فرق ومرجعها فى الأصل إلى ثلاث فرق : برغوثية وزعفرانية ، ومستدركة . وأما البكرية . والضرارية فكل واحدة منهما فرقة واحدة ليس لها تبع كثير . والجهمية أيضاً فرقة واحدة ، والكرامية بخراسان ثلاث فرق : حقائقية

---

(١) رأس الشمرية من المبتدعة . كان من أصحاب النظام المعتزلى . فهو من رجال منتصف القرن الثالث . وهو ممن جمع بين البدعتين . الأولى : الإرجاء . والثانية : نفى القدر وهو منبوذ عند الفريقين .

(٢) هو أيضاً ممن جمعوا بين بدعتى الإرجاء ونفى القدر ، ولذا هو منبوذ عند المرجئة والقدرية . وكان أيضا من أصحاب النظام ومن رجال منتصف القرن الثالث .

وطراقية . وإسحاقية ، لكن هذه الفرق الثلاث منها لا يكفر بعضها بعضاً فعددناها كلها فرقة واحدة . فهذه الجملة التى ذكرناها تشتمل على ثنتين وسبعين فرقة منها عشرون روافض ، وعشرون خوارج ، وعشرون قدرية ، وعشرون مرجئة ، وثلاث نجارية وبكرية ، وضرارية ، وجهمية ، وكرامية ، فهذه ثنتان وسبعون فرقة[١] .

فأما الفرقة الثالثة والسبعون فهى أهل السنة والجماعة من فريق الرأى والحديث دون من يشترى لهو الحديث ، وفقهاء هذين الفريقين وقراؤهم ، ومحدثوهم ، ومتكلمو أهل الحديث منهم كلهم متفقون على مقالة واحدة فى توحيد الصانع ، صفاته ، وعدله ، وحكمته وفى أسمائه ، وصفاته ، وفى أبواب النبوة والإمامة ، وفى أحكام العقبى وفى سائر أصول الدين ، وإنما يختلفون فى الحلال والحرام من فروع الأحكام وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق وهم الفرقة الناجية ويجمعها الإقرار بتوحيد الصانع وقدمه ، وقدم صفاته الأزلية ، وإجازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل مع الإقرار بكتب الله ورسله وبتأبيد شريعة الإسلام ، وإباحة ما أباحه القرآن ، وتحريم ما حرمه القرآن مع قبول ماصح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتقاد الحشر والنشر ، وسؤال الملكين فى القبر ، والإقرار بالحوض والميزان فمن قال بهذه الجملة التى ذكرناها ولم يخلط إيمانه بها بشىء من بدع الخوارج ، والروافض ، والقدرية وسائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرقة الناجية إن ختم الله له بها ودخل الجنة ، فى هذه الجملة جمهور الأمة وسوادها الأعظم من أصحاب مالك[٢] والشافعى[٣] ، وأبى حنيفة ، والأوزاعى ، والثورى[٤] وأهل الظاهر . فهذا ما أردنا بيانه فى هذا الباب ونذكر فى الباب الذى يليه تفصيل مقالة كل فرقة من فرق الأهواء الذين ذكرناهم إن شاء الله عز وجل .

---

(١) هذا الإجمال المذكور على ظاهره هو أكثر من ذلك . ولعل المصنف يرى صنفين صنفا واحدا له اسمان . مثل القدرية والمرجئة .

(٢) أحد الأئمة الأربعة . إمام دار الهجرة . صاحب الموطأ ولد سنة ٩٣ وتوفى سنة ١٧٩ هـ .

(٣) عالم قريش وفقيه عصره . ولد بغزة ونقل إلى مكة وله سنتان توفى فى مصر سنة ٢٠٤ هـ .

(٤) فقيه ، سيد أهل زمانه علما وعملا . ولد سنة ٩٥ ومات بالبصرة مختفيا سنة ١٦١ هـ .

الباب الثالث

من أبواب هذا الكتاب : في بيان تفصيل مقالات فرق الأهواء . وبيان فضائح كل فرقة منها على التفصيل .

هذا باب يشتمل على فصول ثمانية وهذه ترجمتها :

١ - فصل : في بيان مقالات فرق الرفض .

٢ - فصل : في بيان مقالات فرق الخوارج .

٣ - فصل : في بيان مقالات فرق الاعتزال والقدر .

٤ - فصل : في بيان مقالات فرق المرجئة .

٥ - فصل : في بيان مقالات فرق النجارية .

٦ - فصل : في بيان مقالات الضرارية ، والبكرية ، والجهمية .

٧ - فصل : في بيان مقالات الكرامية .

٨ - فصل : في بيان مقالات المشبهة الداخلة في غمار الفرق التي ذكرناها ، وسنذكر في كل فصل منها مقتضاه على شرطه إن شاء الله عز وجل .

الفصل الأول

من فصول هذا الباب : في بيان مقالات فرق الرفض .

قد ذكرنا قبل هذا أن الزيدية منهم : ثلاث فرق . والكيسانية منهم : فرقتان . والإمامية منهم : خمس عشرة فرقة ونبدأ بذكر الزيدية [1]، ثم الإمامية ، ثم الكيسانية على الترتيب - إن شاء الله عز وجل .

ذكر الجارودية من الزيدية :

أولا: أتباع المعروف بأبي الجارود[2] وقد زعموا : أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة على بالوصف دون الاسم . وزعموا أيضاً أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على ،

(١) ليس الزيدية من الرافضة .

(٢) زياد بن المنذر الثقفي . أبو الجارود الأعمى الكوفي . من غلاة الشيعة يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله . ومات بعد سنة ١٥٠ هـ

وقالوا أيضاً : إن الحسن [١] بن على كان هو الإمام بعد على ثم أخوه الحسين [٢] كان إماما بعد الحسن . وافترقت الجارودية فى هذا الترتيب فرقتين فرقة قالت : إن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ، ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده ، ثم صارت الإمامة بعد الحسن والحسين شورى فى ولدى الحسن والحسين فمن خرج منهم شاهراً سيفه داعياً إلى دينه وكان عالما وعارفا فهو الإمام . وزعمت الفرقة الثانية منهم : أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى نص على إمامة الحسن بعد على . وإمامة الحسين بعد الحسن .

ثم افترقت الجارودية بعد هذا فى الإمام المنتظر فرقا منهم : من لم يعين واحداً بالانتظار وقال : كل من شهر سيفه ودعا إلى دينه من ولدى الحسن والحسين فهو الإمام ، ومنهم : من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب [٣] ولا يصدق بقتله ولا بموته ويزعم أنه هو المهدى المنتظر الذى يخرج فيملك الأرض . وقول هؤلاء فيه كقول المحمدية من الإمامية فى انتظارها محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ومنهم : من ينتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان [٤] ولا يصدق بموته ، ومنهم : من ينتظر محمد بن عمر [٥] الذى خرج بالكوفة ولا يصدق بقتله ولا بموته . فهذا قول الجارودية

---

(١) سبط رسول الله وريحانته . توفى مسموما فى دلاعة (نوع من المحار) سنة ٤٩ ه‍ .

(٢) سبط رسول الله وريحانته . هو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة ولد سنة ٤ هجرية . نشأ فى بيت النبوة . استشهد الحسين فى كربلاء سنة ٦١ ه‍ فى عهد يزيد بن معاوية .

(٣) هو المعروف بالنفس الزكية . خرج بالمدينة وبويع له فى الآفاق . وحاربه المنصور وقتل سنة ١٤٥ فى المعركة وبعث برأسه إلى المنصور .

(٤) قال عنه الأشعرى : خرج بخراسان ببلدة يقال لها الطالقان فى خلافة المعتصم فوجه إليه جيشاً بقيادة عبد الله بن طاهر فانهزم محمد وحمل إلى المعتصم فحبسه معه فى قصره . فاختلف الناس فى أمره . فمن قائل : هرب . ومن قائل : مات . ومن الزيدية من يزعم أنه حى وأنه سيخرج .

(٥) قال الأشعرى : خرج بالكوفة أيام المستعين فوجه إليه الحسين بن إسماعيل بأمر محمد ابن عبد الله بن طاهر فقتل أبا الحسين ، وكان خروج يحيى فى سنة ٢٤٨ وقيل سنة ٢٠ ه‍ .

وتكفيرهم واجب ، لتكفيرهم أصحاب رسول الله عليه السلام .

ذكر السليمانية أو الجريرية منهم : هؤلاء أتباع سليمان بن جرير الزيدى [١] الذى قال: إن الإمامة شورى ، وإنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة ، وأجاز إمامة المفضول ، وأثبت إمامة أبى بكر وعمر وزعم أن الأمة تركت الأصلح فى البيعة لهما لأن علياً كان أولى بالإمامة منهما إلا أن الخطأ فى بيعتهما لم يوجب كفراً ، ولا فسقاً ، وكفر سليمان بن جرير بالأحداث التى نقمها الناقمون منه . وأهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر عثمان رضى الله عنه .

ذكر البترية منهم : هؤلاء أتباع رجلين أحدهما الحسن بن صالح بن حى [٢] ، والآخر كثير النواء الملقب بالأبتر [٣] . وقولهم كقول سليمان بن جرير فى هذا الباب غير أنهم توقفوا فى عثمان ولم يقدموا على ذمه ولا على مدحه : وهؤلاء أحسن حالا عند أهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير . وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حى فى مسنده الصحيح ، ولم يخرج محمد بن إسماعيل البخارى حديثه فى الصحيح . ولكنه قال فى كتاب « التاريخ الكبير » : الحسن بن صالح بن حى الكوفى سمع سماك بن حرب ومات سنة سبع وستين ومائة وهو من ثور همدان ، وكنيته أبو عبد الله .

قال عبد القاهر : هؤلاء البترية ، والسليمانية ، من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية لإقرار الجارودية على تكفير أبى بكر ، وعمر ، والجارودية يكفرون السليمانية ، والبترية لتركهما تكفير أبى بكر وعمر . وحكى شيخنا أبو الحسن الأشعرى فى مقالته عن قوم من الزيدية يقال لهم اليعقوبية أتبـــاع رجل اسمه يعقوب أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر ولكنهم لا يتبرءون ممن تبرأ منهما .

---

(١) سليمان بن جرير كان يقول : ان الصحابة تركوا الأصلح بتركهم مبايعة على . وكفره أهل السنة لأنه كان يكفر عثمان بما ارتكب من الأحداث . وقد ظهر أيام المنصور .

(٢) من كبار الشيعة الزيدية وعظمائهم وعلمائهم . كان فقيها . وله فى التوحيد كتاب إمامة ولد على من فاطمة ، وفى الفقه كتاب « الجامع » ولد سنة ١٠٠ . ومات متخفيا سنة ١٦٨ هـ . وإليه تنسب أيضا الصالحية من الزيدية .

(٣) جعل الشهرستانى البترية قسمين . الصالحية أتباع الحسن بن صالح والبترية أتباع كثير النواء الملقب بالأبتر . وهو المتوفى سنة ١٦٩ هـ وقيل ١٦٨ .

قال عبد القاهر : اجتمعت الفرق الثلاث الذين ذكرناهم من الزيدية على القول بأن أصحاب الكبائر من الأمة يكونون مخلدين فى النار فهم من هذا الوجه كالخوارج الذين أيأسوا أشراء المذنبين من رحمة الله تعالى ، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، إنما قيل لهذه الفرق الثلاث وأتباعها زيدية لقولهم بإمامة زيد[١] بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب فى وقته ، وإمامة ابنه يحيى [٢] بن زيد بعد زيد . وكان زيد بن على قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والى العراق وهو : يوسف بن عمر الثقفى [٣] عامل هشام بن عبد الملك على العراقين فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفى قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبى بكر وعمر اللذين ظلما جدك على بن أبى طالب . فقال زيد : إنى لا أقول فيهما إلا خيراً ، وما سمعت أبى يقول فيهما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بنى أمية الذين قاتلوا جدى الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار . ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم : رفضتمونى . ومن يومئذ سموا رافضة وثبت معه نضر بن خزيمة العنسى[٤] . ومعاوية بن إسحاق بن يزيد بن حارثة[٥] فى مقدار مائتى رجل وقاتلوا جند يوسف بن عمر الثقفى حتى قتلوا عن آخرهم . وقتل زيد ثم نبش من قبره وصلب ، ثم أحرق بعد ذلك ، وهرب ابنه يحيى بن زيد إلى خراسان وخرج بناحية الجوزجان على نصر بن سيار[٦] والى خراسان فبعث نصر بن سيار إليه سلم بن أحوز المازنى [٧] فى ثلاثة آلاف رجل فقتلوا يحيى بن زيد ومشهده بجوزجان معروف .

---

(١) كان قد بايعه كثير فى أيام هشام بن عبد الملك وخرج على بنى مروان . وحاربه يوسف بن عمر الثقفى . وقتله يوسف وصلبه . وكان كثير العلم فقيها . وهو من شيوخ أبى حنيفة . وكان مقتله فى سنة ١٢١ هـ .

(٢) خرج يحيى فى أيام الوليد بن عبد الملك بالجوزجان . وقد قتل وحز رأسه وحمله إلى الوليد وظل مصلوبا إلى أن خرج أبو مسلم الخراسانى فأنزله وصلى عليه ودفنه .

(٣) كان جوادا فصيحا ولى اليمن ثم العراق لهشام بن عبد الملك وحبسه يزيد بن الوليد إلى أن قتل سنة ١٢٧ هـ .

(٤) استشهد مع زيد بن على عند خروجه سنة ١٢١ هـ .

(٥) هو ممن استشهد مع زيد أيضا سنة ١٢١ هـ .

(٦) ولاه هشام بن عبد الملك خراسان . ولم يزل واليا عليها حتى وقعت الفتنة فخرج يريد العراق فمات بالطريق بناحية ساوة .

(٧) كان قائداً من قواد نصر بن سيار فى أواخر عهد بنى مروان .

قال عبد القاهر : روافض الكوفة موصوفون بالغدر والبخل وقد سار المثل بهم فيهما حتى قيل أبخل من كوفى ، وأغدر من كوفى . والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء :

أحدها : أنهم بعد قتل على رضى الله عنه بايعوا إبنه الحسن فلما توجه لقتال معاوية غدروا به فى ساباط المدائن فطعنه سنان الجعفى فى جنبه فصرعه عن فرسه وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية .

والثانى : انهم كاتبوا الحسين بن على رضى الله عنه ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية (١) فاغتر بهم وخرج إليهم فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله ابن زياد (٢) يداً واحدة عليه حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء .

والثالث : غدرهم بزيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر ثم نكثوا بيعته وأسلموه عند اشتداد القتال حتى قتل وكان من أمره ما كان.

ذكر الكيسانية من الرافضة : هؤلاء أتباع المختار بن أبى عبيد الثقفى (٣) الذى قام بثأر الحسين بن على بن أبى طالب وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء ، وكان المختار يقال له كيسان . وقيل إنه أخذ مقالته عن مولى لعلى رضى الله عنه كان اسمه كيسان وافترقت الكيسانية فرقا يجمعها شيئان .

أحدهما : قولهم بإمامة محمد بن الحنفية (٤) وإليه يدعو المختار بن أبى عبيد .

والثانى : قولهم بجواز البداء على الله عز وجل . ولهذه البدعة قال بتكفيرهم كل من لا يجيز البداء على الله سبحانه ، واختلفت الكيسانية فى سبب إمامة محمد بن الحنفية . فزعم بعضهم : أنه كان إماما بعد أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه واستدل على ذلك بأن عليا دفع إليه الراية يوم الجمل وقال له : « أطعنهم طعن أبيك تحمد * لا خير فى الحرب إذا لم توبد

---

(١) الخليفة الأموى الذى وقعت فى عهده موقعة الحرة ، وقتل الحسين بن على وجمعا كثيراً من بنى هاشم ، مات سنة ٦٤ هـ .

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه . مات سنة ٦٧ هـ .

(٣) حفيد مسعود الثقفى عظيم القريتين خرج يطلب ثأر الحسين وكان يعرف بكيسان .

(٤) أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بنى حنيفة . وكان عالما شجاعا توفى سنة ٨١ هـ .

وقال آخرون منهم : إن الإمامة بعد على كانت لابنه الحسن ، ثم للحسين بعد الحسن. ثم صارت إلى محمد بن الحنفية بعد أخيه الحسين بوصية أخيه الحسين إليه حين هرب من المدينة إلى مكة حين طولب بالبيعة ليزيد بن معاوية . ثم افترق الذين قالوا بإمامة محمد ابن الحنفية فزعم قوم منهم يقال لهم الكربية أصحاب أبى كرب الضرير [1] : أن محمد بن الحنفية حى لم يمت وأنه فى جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه . وعن يمينه أسد ، وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه وهو المهدى المنتظر .

وذهب الباقون من الكيسانية إلى الإقرار بموت محمد بن الحنفية واختلفوا فى الإمام بعده . فمنهم من زعم : أن الإمامة بعده رجعت إلى ابن أخيه على بن الحسين زين العابدين [2] . ومنهم من قال : برجوعها بعده إلى أبى هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية [3] واختلف هؤلاء فى الإمام بعد أبى هاشم . فمنهم : من نقلها إلى محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب [4] بوصية أبى هاشم إليه وهذا قول الراوندية. ومنهم: من زعم أن الإمامة بعد أبى هاشم صارت إلى بيان بن سمعان [5] وزعموا أن روح الله تعالى كانت فى أبى هاشم ثم انتقلت منه إلى بيان . ومنهم : من زعم أن تلك الروح انتقلت من أبى هاشم إلى عبد الله بن عمرو بن حرب [6] وادعت هذه الفرقة إلهية عبد الله بن عمرو بن حرب ، والبيانية والحربية

---

(١) هو من غلاة الكيسانية .

(٢) هو الإمام زين العابدين مات سنة ٩٣ . وفيه يقول الفرزدق :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

(٣) كان صاحب الشيعة وأوصى إلى محمد بن على بن عبد الله بن عباس وصرف الشيعة إليه ودفع إليه كتبه ومات عنده . وكانت وفاته سنة ٩٨ فى أيام سليمان بن عبد الملك .

(٤) والد الخليفتين: السفاح والمنصور وكان دعاة العباسيين يلقبونه بالإمام ومات سنة ١٢٤ هـ .

(٥) ادعى أول الأمر أن جزءاً إلهيا حل فى على ، ثم فى محمد بن الحنفية ، ثم فى ابنه أبى هاشم ، ثم فى بيان نفسه . وادعى النبوة حتى قتله خالد القسرى وصلبه سنة ١١٩ هـ .

(٦) كان أول أمره على دين البيانية ثم زعم أن روح الله انتقلت إلى ابن حرب .

كلتاهما من فرق الغلاة نذكرهما فى الباب الذى نذكر فيه فرق الغلاة ، وكان كثير [1] الشاعر على مذهب الكيسانية الذين ادعوا حياة محمد بن الحنفية ولم يصدقوا بموته ولذلك قال فى قصيدة له :

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً ... برضوى عنده عسل وماء

قال عبد القاهر أجبناه على أبياته هذه بقولنا :

ولاة الحق أربعة ولكن ... لثانى اثنين[2] قد سبق العلاء
وفاروق[3] الورى أضحى إماما ... وذو النورين[4] بعد له الولاء
على بعدهم أضحى إماماً ... بترتيبى لهم نزل القضاء
ومبغض من ذكرناه لعين ... وفى نار الجحيم له الجزاء
وأهل الرفض قوم كالنصارى ... حيارى مالحيرتهم دواء

وقال كثير أيضاً فى رفضه : —

برئت إلى الإله من ابن أروى ... ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق ... غداة دعا أمير المؤمنينا

وقد أجبناه عن هذين البيتين : —

برئت من الإله ببغض قوم ... بهم أحيا الإله المؤمنينا
وماضر ابن أروى منك بغض ... وبغض البر دين الكافرينا

---

(١) من شعراء بنى أمية . كان يقول بتناسخ الارواح . ومات سنة ١٠٥ هـ . بالمدينة .

(٢) هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

(٣) هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٤) هو عثمان بن عفان رضى الله عنه .

أبو بكر لنا حقا إمام على رغم الروافض أجمعينا
وفاروق الورى عمر بحق يقال له أمير المؤمنينـــا

وقال كثير فى قصيدة أيضاً : ـ

ألا قل للوصى فدتك نفسى أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر وألوك منا وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرآ مقامك عندهم ستين عاما
وماذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمجرى شعب رضوى تراجعه الملائكة الكلاما
وإن له لرزقا كل يوم وأشربة يعل بها الطعاما

وقد أجبناه عن هذا الشعر بقولنا : ـ

لقد أفنيت عمرك بانتظار لمن وارى التراب له عظاما
فليس بشعب رضواء إمام تراجعه الملائكة الكلاما
ولا من عنـــده عسل وماء وأشربة يعل بهـا الطعاما
وقد ذاق ابن خولة طعم موت كما قد ذاق والده الحماما
ولو خلد امرؤ لعلو مجد لعاش المصطفى أبداً وداما

وكان الشاعر المعروف بالسيد الحميرى [1] أيضا على مذهب الكيسانية الذين ينتظرون محمد ابن الحنفية ويزعمون أنه محبوس بجبل رضوى إلى أن يؤذن له بالخروج ولهذا قال فى شعر له : ـ

ولكن كل من فى الأرض فان بذا حكم الذى خلق الأناما

وكان أول من قام بدعوة الكيسانية إلى إمامة محمد ابن الحنفية المختار بن أبى عبيد ،

---

(١) هو إسماعيل بن محمد ، الشهير بشاعر الشيعة . وكان يرى الرجعة . وقد مات ببغداد سنة ١٧٩ هـ .

الثقفى وكان السبب فى ذلك أن عبيد الله بن زياد لما فرغ من قتل مسلم بن عقيل[1] ، وفرغ من قتل الحسين بن على رضى الله عنه رفع إليه أن المختار بن أبي عبيد كان ممن خرج مع مسلم بن عقيل ثم اختفى فأمر بإحضاره فلما دخل عليه رماه بعمود كان فى يده فشتر عينه وحبسه فتشفع إليه فى أمره قوم فأخرجه من الحبس وقال له : قد أجلتك ثلاثة أيام فإن خرجت فيها من الكوفة وإلا ضربت عنقك فخرج المختار هاربا من الكوفة إلى مكة وبايع عبد الله بن الزبير[2] وبقى معه إلى أن قاتل ابن الزبير جند يزيد بن معاوية الذين كانوا تحت راية الحصين بن نمير السكونى واشتدت نكاية المختار فى تلك الحروب على أهل الشام ، ثم مات يزيد بن معاوية ورجع جند الشام إلى الشام واستقام لابن الزبير ولاية الحجاز واليمن ، والعراق ، وفارس ولقى المختار من ابن الزبير جفوة فهرب منه إلى الكوفة وواليها يومئذ عبد الله بن يزيد الأنصارى[3] من قبل عبد الله بن الزبير . فلما دخل الكوفة بعث رسله إلى شيعة الكوفة ونواحيها إلى المدائن ودعاهم إلى البيعة له ووعدهم أنه يخرج طالباً بثأر الحسين بن على رضى الله عنه ودعاهم إلى محمد ابن الحنفية وزعم أن ابن الحنفية قد استخلفه وأنه قد أمرهم بطاعته وعزل ابن الزبير فى خلال ذلك عبد الله بن يزيد الأنصارى عن الكوفة ، وولاها عبد الله بن مطيع العدوى[4] واجتمع إلى المختار من بايعه فى السر وكانوا زهاء سبعة عشر ألف رجل ودخل فى بيعته عبيد الله بن الحر[5] الذى لم يكن فى زمانه أشجع منه ، وإبراهيم بن مالك الأشتر ، ولم يكن فى شيعة الكوفة أجل منه ولا أكثر منه تبعاً فخرج به على والى الكوفة عبد الله بن مطيع وهو يومئذ فى عشرين ألفا ودامت الحرب بينهما أياما ووقعت الهزيمة فى آخرها على الزبيرية واستولى المختار على الكوفة ونواحيها وقتل كل من كان بالكوفة من الذين قاتلوا الحسين بن على بكربلاء ثم خطب الناس فقال فى خطبته : ـ

---

(١) هو مسلم بن عقيل بن أبى طالب . ابن أخى على رضى الله عنه .

(٢) أمه أسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين) وهو أول مولود ولد للمسلمين فى المدينة وقد قتله الحجاج بن يوسف فى المسجد الحرام فى عهد عبدالملك بن مروان ثم صلبه سنة ٧٣ﻫ .

(٣) استعمله ابن الزبير أميرا على الكوفة ، وكان الشعبى كاتبه وتوفى سنة ٦٨ ﻫ .

(٤) كان شجاعا جلدا . وكان على جيش قريش يوم الحرة وجرح مع ابن الزبير ومات

(٥) كان شجاعا . وقتل سنة ٦٨ ﻫ

« الحمد لله الذي وعد وليه النصر، وعدوه الخسر، وجعلهما إلى آخر الدهر قضاء مقضيا ووعداً مأتياً ، يا أيها الناس قد سمعنا دعوة الداعي وقبلنا قول الداعي، فكم من باغ وباغية وقتلى في الواعية ، فهلموا عباد الله إلى بيعة الهدى ، ومجاهدة العدى ، فإني أنا المسلط على المحلين ، والطالب بثأر ابن بنت خاتم النبيين ، ثم نزل عن منبره وأنفذ بصاحب شرطته إلى دار عمر بن سعد[1] حتى أخذ رأسه ، ثم أخذ رأس ابنه جعفر بن عمر وهو ابن أخت المختار وقال : ذاك برأس الحسين ، وهذا برأس ابن الحسين الكبير ، ثم بعث بإبراهيم بن مالك الأشتر مع ستة آلاف رجل إلى حرب عبيد الله بن زياد وهو يومئذ بالموصل في ثمانين ألفا من جند الشام قد ولاه عليهم عبد الملك بن مروان فلما التقى الجيشان على باب الموصل انهزم جند الشام وقتل منهم سبعون ألف في المعركة وقتل عبيد الله بن زياد والحصين ابن نمر السكوني[2] . وأنفذ إبراهيم بن الأشتر برؤوسهم إلى المختار فلما تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة ، والعراقين إلى حدود أرمينية تكهن بعد ذلك وسجع كأسجاع الكهنة . وحكى أيضاً : أنه ادعى نزول الوحي عليه، فن أسجاعه قوله « أما والذي أنزل القرآن وبين الفرقان ، وشرع الأديان ، وكره العصيان ، لأقتلن البغاة من أزد عمان ، ومذحج وهمدان ، ونهد وخولان ، وبكر وهزان، وثعل ونبهان ، وعبس وذبيان ، وقيس غيلان» ثم قال : « وحق السميع العليم ، العلي العظيم ، العزيز الحكيم ، الرحمن الرحيم لأعركن عرك الأديم أشراف بني تميم» ثم رفع خبر المختار إلى ابن الحنفية وخاف من جهة الفتنة في الدين . فأراد قدوم العراق ليصير إليه الذين اعتقدوا إمامته ، وسمع المختار ذلك فخاف من قدومه العراق ذهاب رياسته وولايته فقال لجنده : أنا على بيعة المهدي ولكن للمهدي علامة وهو أن يضرب بالسيف ضربة فإن لم يقطع السيف جلده فهو المهدي ، وانتهى قوله هذا إلى ابن الحنفية فأقام بمكة خوفا من أن يقتله المختار بالكوفة ، ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان وحملوه على دعوى النبوة فادعاها عند خواصه وزعم أن الوحي ينزل عليه وسجع بعد ذلك فقال : « أما ومنشىء السحاب ، الشديد العقاب

---

(١) عمر بن سعد بن أبي وقاص كان من دعاة الشر . قتله المختار بن أبي عبيد سنة ٦٦ﻫ وكان هو الذي قاد الجيش لقتال الحسين بأمر عبيد الله بن زياد .

(٢) عده ابن قتيبة من المنافقين . وقد قتل مع ابن زياد سنة ٦٧ ﻫ

السريع الحساب ، العزيز الوهاب . القدير الغلاب لأنبشن قبر ابن شهاب [1] المفترى الكذاب المجرم المرتاب ، ثم ورب العالمين، ورب البلد الأمين لأقتلن الشاعر المهين ، وراجز المارقين وأولياء الكافرين ، وأعوان الظالمين ، وأخوان الشياطين . الذين اجتمعوا على الأباطيل وتقولوا على الأقاويل وليس خطابي إلا لذوي الأخلاق الحميدة ، والأفعال السديدة والآراء العتيدة والنفوس السعيدة ».

ثم خطب بعد ذلك فقال في خطبته : « الحمد لله الذي جعلني بصيراً ، ونور قلبي تنويراً والله لأحرقن بالمصر دورا ، ولأنبشن بها قبوراً ولأشفين منها صدوراً ، وكفى بالله هاديا ونصيرا ». ثم أقسم فقال : « برب الحرم، والبيت المحرم، والركن المكرم . والمسجد المعظم وحق ذي القلم . ليرفعن لي علم . من هنا إلى أضم . ثم إلى أكناف ذي سلم » . ثم قال : « أما ورب السماء ، لتنزلن نار من السماء . فلتحرقن دار أسماء فأنهى هذا القول إلى أسماء بن خارجة [2] فقال : قد سجع بي أبو إسحاق وأنه سيحرق داري وهرب من داره . وبعث المختار إلى داره من أحرقها بالليل وأظهر من عنده أن ناراً من السماء نزلت فأحرقتها . ثم إن أهل الكوفة خرجوا على المختار لما تمكن واجتمعت السبئية إليه مع عبيد أهل الكوفة لأنه وعدهم أن يعطيهم أموال ساداتهم وقاتل بهم الخارجين عليه فظفر بهم وقتل منهم الكثير ، وأسر جماعة منهم وكان في الأسراء رجل يقال له سراقة بن مرداس البارقي [3] فقدم إلى المختار وخاف البارقي أن يأمر بقتله فقال للذين أسروه وقدموه إلى المختار: ما أنتم أسرتمونا ولا أنتم هزمتمونا بعدتكم ، وإنما هزمنا الملائكة الذين رأيناهم على الخيل البلق فوق عسكركم . فأعجب المختار قوله هذا فأطلق عنه فلحق بمصعب بن الزبير [4] بالبصرة وكتب منها إلى المختار هذه الأبيات : —

ألا أبلغ أبا إسحاق أني ‌ ‌ رأيت البلق دهما مصمتات

---

(١) ليس هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري شيخ أهل الحجاز والشام : لأن المختار قال هذا في عشر السبعين . وإن صح هذا فهو يقصد مسلم بن شهاب والد ابن شهاب فقد كان مع ابن الزبير حينما خرج على بني مروان .

(٢) من سادات أهل المدينة ومن أجلاء التابعين : توفى سنة ٦٥ على الأرجح .

(٣) إما أن يكون من قبيله باليمن . وإما أن يكون من موضع قريب من الكوفة . وهو شاعر معروف .

(٤) قتل في معركة ضد عبد الملك بن مروان . فأثخن بالجراح وطعن وهو يقول : يالثارات المختار . وكان مقتله سنة ٧٢ هـ على الأرجح .

أرى عينىّ مالم تنظراه[1] كلانا عالم بالترهات
كفرت بوحيكم وجعلت نذراً على قتالكم حتى الممات

وفى هذا الذى ذكرناه بيان سبب كهانة المختار ودعواه الوحى إليه.

وأما سبب قوله بجواز البداء على الله عز وجل فهو: أن إبراهيم بن الأشتر لما بلغه أن المختار تكهن وادعى نزول الوحى إليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة وعلم مصعب بن الزبير أن إبراهيم بن الأشتر لا ينصر المختار فطمع عند ذلك فى قهر المختار ولحق به عبيد الله بن الحر الجعفى، ومحمد بن الأشعث الكندى[2]، وأكثر سادات الكوفة غيظاً منهم على المختار لاستيلائه على أموالهم وعبيدهم، وأطمعوا مصعباً فى أخذ الكوفة قهراً فخرج مصعب من البصرة فى سبعة آلاف رجل من عنده سوى من انضم إليه من سادات الكوفة وجعل على مقدمته المهلب بن أبى صفرة[3] مع أتباعه من الأزد وجعل أعنة الخيل إلى عبيد الله بن معمر التيمى[4]. وجعل الأحنف بن قيس على خيل تميم فلما انتهى خبرهم إلى المختار أخرج صاحبه أحمد بن شميط[5] إلى قتال مصعب فى ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره. وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم وزعم أن الوحى قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميط وأكثر قواد المختار ورجع فلولهم إلى المختار وقالوا له: لماذا تعدنا بالنصر على عدونا ؟!! فقال: إن الله تعالى كان قد وعدنى ذلك لكنه بدا له. واستدل على الله بقول الله عز وجل: «يمحو الله ما يشاء ويثبت[6]» فهذا كان سبب قول الكيسانية بالبداء.

ثم إن المختار باشر قتال مصعب بن الزبير بنفسه بالمذار من ناحية الكوفة وقتل فى تلك الواقعة محمد بن الأشعث الكندى. قال المختار: طابت نفسى بقتله إن لم يكن قد بقى من قتلة الحسين غيره ولا أبالى بالموت بعد هذا. ثم وقعت الهزيمة على المختار وأصحابه فانهزموا إلى دار الإمارة بالكوفة وتحصن فيها مع أربعمائة من أتباعه وحاصرهم مصعب فيها ثلاثة

(١) يروى هذا البيت «أرى عينى مالم ترأياه» وروى «مالم ترياه».
(٢) أمه أخت أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقد قتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ.
(٣) القائد الباسل. كان أميراً فى جيش سعيد بن عثمان بن عفان. ولى خراسان لابن الزبير وحارب الأزارقة ومات سنة ٨٢ هـ.
(٤) أحد بنى تيم رهط أبى بكر الصديق. وليس التيمى. وكان قائداً لمصعب بن الزبير.
(٥) كان من أصحاب المختار وقواده. وقتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧ هـ
(٦) الآية ٣٩ من سورة الرعد.

أيام حتى فنى طعامهم ثم خرجوا إليه فى اليوم الرابع مستقتلين فقتلوا وقتل المختار معهم قتله أخوان يقال لهما طارف ، وطريف أبناء عبد الله بن دجاجة من بنى حنيفة وقال أعشى همدان فى ذلك :-

لقـــد نبئت والأنبـــاء تنمى ... بما لاقى الـكوارث بالمـــذار

وما إن سرنى إهلاك قـــومى ... وإن كانوا وحقـك فى خسار

ولكنى سررت بمـــا يلاقى ... أبـــو إسحاق من خزى وعار

فهذا بيان سبب قول الكيسانية بجواز البداء على الله عز وجل ، واختلفت الكيسانية الذين انتظروا محمد ابن الحنفية وزعموا أنه حى محبوس بجبل رضوى إلى أن يؤذن له بالخروج واختلفوا فى سبب حبسه هنالك بزعمهم . فمنهم من قال : لله فى أمره سر لا يعلمه إلا هو ولا يعرف سبب حبسه . ومنهم من قال : إن الله تعالى عاقبه بالحبس لخروجه بعد قتل الحسين بن على إلى يزيد بن معاوية وطلبه الأمان منه وأخذه عطاءه ثم لخروجه فى وجه ابن الزبير من مكة إلى عبد الملك بن مروان هاربا من ابن الزبير . وزعموا أن صاحبه عامر بن واثلة الكنانى (١) سار بين يديه وقال فى ذلك المسير لأتباعه: يا إخوتى : ياشيعتى : لا تبعدوا ووازروا المهدى كما تهتدوا . محمد الخيرات ، يا محمد أنت الإمام الطاهر المسدد . لا ابن الزبير السامرى . الملحد، ولا الذى نحن إليه نقصد. وقالوا : انه كان يجب عليه أن يقاتل ابن الزبير ولا يهرب فعصى ربه بتركه قتاله ، وعصاه بقصده عبد الملك بن مروان وكان قد عصاه قبل ذلك بقصده يزيد بن معاوية ، ثم انه رجع من طريقه إلى ابن مروان إلى الطائف ، ومات بها ابن عباس ودفنه ابن الحنفية بالطائف ، ثم سار منها إلى الذر فلما بلغ شعب رضوى اختلفوا فيه . فزعم المقرون بموته أنه مات فيه وزعم المنتظرون له أن الله حبسه هنالك وغيبه عن أعيون الناس عقوبة له على الذنوب التى أضافوها إليه إلى أن يؤذن له بالخروج وهو المهدى المنتظر .

ذكر الإمامية من الرافضة :

هؤلاء الإمامية المخالفة ربدية ، والكيسانية ، والغلاة خمس عشرة فرقة :-
الكاملية ، والمحمدية ، والباقرية، والناووسية ، والشميطية ، والعمارية ، والإسماعيلية ، والمباركية، والموسوية، والقطعية، والاثنى عشرية ، والهشامية، والزرارية، واليونسية والشيطانية

(١) رأى النبى ﷺ وكان آخر الذين رأوه موتا . ومات بعد سنة ١٠٠ هـ .

ذكر الكاملية منهم: هؤلاء أتباع رجل من الرافضة كان يعرف بأبي كامل[١]، وكان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي، وكفر علي بتركه قتالهم وكان يلزمه قتالهم كما لزمه قتال أصحاب صفين، وكان بشار بن برد الشاعر الأعمى[٢] على هذا المذهب وروى أنه قيل له: ماتقول في الصحابة؟ قال: كفروا. فقيل له: فما تقول في علي فتمثل بقول الشاعر:

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا[٣]

وحكى أصحاب المقالات عن بشار أنه ضم إلى ضلالته في تكفير الصحابة وتكفير علي معهم ضلالتين أخريين:

إحداهما: قوله برجعته إلى الدنيا قبل يوم القيامة كما ذهب إليه أصحاب الرجعة من الرافضة.

الثانية: قوله بتصويب إبليس في تفضيل النار على الأرض. واستدلوا على ذلك بقول بشار في شعر له:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وقد رد عليه صفوان الأنصاري في قصيدته التي قال فيها:

زعمت بأن النار أكرم عنصراً وفي الأرض تحيا في الحجارة والزند
ويخلق في أرجائها وأرومها أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد
وفي القعر من لج البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
ولا بد من أرض لكل مطير وكل سبوح في الغمائر ذي خد
كذاك وما ينساخ في الأرض ماشيا على بطنه يمشي الجانب للقصد
وفي قلل الأجبال فوق مقطم زبرجد املاك الورى ساعة الحشد
وفي الحرة الرجلاء كم من معادن لهن مغارات تبجسن بالنقد
من الذهب الإبريز والفضة التي تروق وتغني ذا القناعة والزهد
وكل فلز من نحاس وآنك ومن زئبق حي ونوشادر سندي

---

(١) رئيس الكاملية من فرق الرافضة.

(٢) شاعر مجيد. خدم الملوك. وحضر مجالس الخلفاء وأخذ جوائزهم. رمى بالزندقة، ودان بالرجعة وكفر جميع الأمة فتبرأ منه واصل فهجاه بعد أن كان يمدحه. وقتله المهدي ضربا بالسياط سنة ١٦٧ هـ.

(٣) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي.

وفيها زرانيخ وشب ومرقب ومرمر فشا غير كاب ولا مكدى
وفيها ضروب القار والزفت والمها وأصناف كبريت طاولة الوقد
ومن أثمد جوز وكلس وفضة ومن توتيا فى معاربها هندى
وكل يواقيت الانام وحليها من الارض والأحجار فاخرة الجد
وفيها مقام الحل والركن والصفا ومستلم الحجاج من جنة الخلد
مفاخر للطين الذى كان أصلنا ونحن بنوه غير شك ولا جحد
فذلك تدبير ونفع وحكمة وأوضح برهان على الواحد الفرد
فيا بن حليف الشؤم واللؤم والعمى وأبعد خلق الله من طرق الرشد
أتهجو أبا بكر وتخلع بعده عليا وتعزو كل ذاك إلى برد
كأنك غضبان على الدين كله وطالب دخل لا يبيت على حقد
توائب أقماراً وأنت مشوه وأقرب خلق الله من نسب القرد

وقد هجا حماد عجرد[1] بشاراً وقال فى هجائه :-

ويا أقبح من قرد إذا عمى القرد

وقيل إن بشاراً ما جزع من شيء جزعه من هذا البيت وقال : يرانى فيصفنى ولا أراه فأصفه .

قال عبد القاهر : أكفر هؤلاء الكاملية من وجهين :-

أحدهما : من جهة تكفيرها جميع الصحابة من غير تخصيص .

والثانى : من جهة تفضيلها النار على الأرض وقد ذكرنا بعض فضائح بشار بن برد وقد فعل الله به ما استحقه وذلك أنه هجا المهدى[2] فأمر به حتى غرق فى دجلة ، ذلك له خزى فى الدنيا ولأهل ضلالته فى الآخرة عذاب أليم .

ذكر الحمدية : هؤلاء ينتظرون محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ولا يصدقون بقتله ولا بموته ويزعمون أنه فى جبل حاجر من ناحية نجد إلى أن يؤمر بالخروج ، وكان المغيرة بن سعيد العجلى[3] مع ضلالاته فى التشبيه يقول لأصحابه : إن

---

(١) شاعر هجاء بذىء اللسان ، لم يسلم أحد من لسانه ومات سنة ١٩١ هـ .
(٢) ثالث خلفاء بنى العباس توفى سنة ١٦٩ هـ .
(٣) زعم أن محمد بن على الباقر أوصى إليه وتبعه جماعة من أهل الضلال وقتله وصلبه خالد القسرى سنة ١١٩ هـ .

المهدى المنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على ويستدل على ذلك بأن اسمه محمد كاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه عبد الله كاسم أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال فى الحديث عن النبي عليه السلام قوله فى المهدى : « أن اسمه يوافق اسمى واسم أبيه اسم أبى » فلما أظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على دعوته بالمدينة استولى على مكة والمدينة ، واستولى أخوه إبراهيم بن عبد الله على البصرة، واستولى أخوهما الثالث ، وهو : إدريس بن عبد الله على بعض بلاد المغرب وكان ذلك فى زمان الخليفة أبى جعفر المنصور (١) فبعث المنصور إلى حرب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بعيسى ابن موسى (٢) فى جيش كثيف وقاتلوا محمداً بالمدينة وقتلوه فى المعركة . ثم أنفذ بعيسى بن موسى أيضاً إلى حرب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على مع جنده فقتلوا إبراهيم بباب حمرين على ستة عشر فرسخا من الكوفة ، ومات فى تلك الفتنة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بأرض المغرب وقيل إنه سم بها ، ومات عبد الله بن الحسن ابن الحسن والد أولئك الإخوة الثلاثة فى سجن المنصور وقبره بالقادسية وهو مشهد معروف يزار . فلما قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالمدينة اختلفت المغيرية فيه فرقتين ؛

فرقة : أقروا بقتله وتبرءوا من المغيرة بن سعيد العجلى وقالوا : إنه كذب فى قوله إن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن هو المهدى الذى ملك الأرض لأنه قتل وما ملك الأرض.

وفرقة منهم : ثبتت على موالاة المغيرة بن سعيد العجلى وقالت : إنه صدق فى قوله إن المهدى محمد بن عبد الله وإنه لم يقتل وإنما غاب عن عيون الناس وهو فى جبل حاجر من ناحية نجد مقيم هناك إلى أن يؤمر بالخروج فيخرج ويملك الأرض وتعقد البيعة بمكة بين الركن والمقام ويحيا له من الأموات سبعة عشر رجلا يعطى كل واحد منهم حرفا من حروف الاسم الأعظم فيهزمون الجيوش . وزعم هؤلاء أن الذى قتله جند عيسى بن موسى بالمدينة لم يكن محمد بن عبد الله بن الحسن . فهذه الطائفة يقال لهم المحمدية لانتظارهم محمد بن عبد الله ابن الحسن . وكان جابر بن يزيد الجعفى على هذا المذهب وكان يقول : برجعة الأموات إلى الدنيا قبل القيامة وفى ذلك قال شاعر هذه الفرقة فى شعر له :

---

(١) ثانى خلفاء بنى العباس . وهو الملقب بالمنصور . كانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ١٥٨ هـ .

(٢) من قواد المنصور وقد عهد له بالخلافة بعد ابنه المهدى . وخلعه المهدى وأعطاه مالا كثيرا وتوفى سنة ١٦٨ هـ .

إلى يوم يؤوب الناس فيه　　إلى دنياهم قبل الحساب

وقال أصحابنا لهذه الطائفة : إن أجزتم أن يكون المقتول بالمدينة غير محمد بن عبد الله بن الحسن وأجزتم أن يكون المقتول هنا شيطانا تصور للناس فى صورة محمد بن عبد الله بن الحسن فأجيزوا بأن يكون المقتولون بكربلاء غير الحسين وأصحابه وإنما كانوا شياطين تصوروا للناس بصورة الحسين وأصحابه وانتظروا حسينا كما انتظرتم محمد بن عبد الله بن الحسن أو انتظروا علياً كما انتظرته السبئية منكم الذين زعموا أنه فى السحاب والذى قتله عبد الرحمن بن ملجم [1] كان شيطانا تصور للناس بصورة على وهذا ما لا انفصال لهم عنه والحمد لله على ذلك .

ذكر الباقرية منهم : هؤلاء قوم ساقوا الإمامة من على بن أبى طالب رضى الله عنه فى أولاده إلى محمد بن على المعروف بالباقر [2] . وقالوا : ان علياً نص على إمامة ابنه الحسن ونص الحسن على إمامة أخيه الحسين ، ونص الحسين على إمامة ابنـــه على بن الحسين زين العابدين . ونص زين العابدين على إمامة محمد بن على المعروف بالباقر ، وزعموا أنه هو المهدى المنتظر بما روى أن النبى عليه السلام قال لجابر بن عبد الله الأنصارى : « إنك تلقاه فاقرئه منى السلام » وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة وكان قد عمى فى آخر عمره ، وكان يمشى فى المدينة ويقول : ياباقر ، ياباقر . متى ألقاك فمر يوماً فى بعض سكك المدينة .

فناولته جارية صبيا كان فى حجرها فقال لها : من هذا ؟ فقالت : هذا محمد بن على بن الحسين بن على . فضمه إلى صدره وقبل رأسه ويديه ، ثم قال : يابنى جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام . ثم قال جابر : قد نعيت الى نفسى . فمات فى تلك الليلة .

وحجتهم فى هذا أن رسول الله بعث يقرىء عليه السلام فدل على أنه المهدى المنتظر . قلنا : وقد قال رسول الله لعمر وعلى : « أقرئا عنى أويساً السلام » ولم يوجب ذلك كونه المهدى المنتظر . وقد تواترت الروايات بموت الباقر عليه السلام كما تواترت الرواية بقتل أويس القرنى بصفين . ولا يصح انتظار واحد منهما بعد موته .

ذكر الناووسية : وهم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينتسب إلى ناووس بها . وهم

---

(١) هو الذى اغتال أمير المؤمنين على بن أبى طالب وقد مات سنة ٤٠ هـ .

(٢) كان من أئمة أهل البيت . وهو من فقهاء المدينة . توفى سنة ١١٤ هـ .

يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنص الباقر عليه، وزعموا أنه لم يمت وأنه المهدى المنتظر وزعم قوم أن الذى كان يتبدى للناس لم يكن جعفراً ، وإنما تصور للناس فى تلك الصورة وانضم إلى هذه الفرقة قوم من السبئية فزعموا جميعا أن جعفراً كان عالما بجميع معالم الدين فى العقليات والشرعيات فإذا قيل للواحد منهم : ماتقول فى القرآن أوفى الرؤية ، أو فى غير ذلك من أصول الدين أوفى فروعه ؟ يقول : أقول فيهما كان يقوله جعفر الصادق، يقلدونه.

ذكر الشميطية : وهم منسوبون إلى يحيى بن شميط وقد ساقوا الإمامة بطريق النص من جعفر إلى ابنه محمد بن جعفر وأقروا بموت جعفر وزعموا أن جعفراً أوصى بها لابنه محمد . ثم أداروا الإمامة فى أولاد محمد بن جعفر ، وزعموا أن المنتظر من ولده .

ذكر العمارية : وهم منسوبون إلى زعيم منهم يسمى عماراً . وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق ثم زعموا أن الإمام بعده ولده عبد الله . وكان أكبر أولاده وكان أفطح الرجلين ، ولهذا قيل لأتباعه الأفطحية .

ذكر الإسماعيلية : وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل وافترق هؤلاء فرقتين :

فرقة : منتظرة لإسماعيل بن جعفر مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل فى حياة أبيه . وفرقة : قالت كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر حيث إن جعفراً نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده فلما مات إسماعيل فى حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل وإلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية وسنذكرهم فى فرق الغلاة بعد هذا .

ذكر الموسوية منهم : هؤلاء الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر ثم زعموا أن الإمام بعد جعفر كان ابنه موسى [1] بن جعفر وزعموا أن موسى بن جعفر حى لم يمت وأنه هو المهدى المنتظر وقالوا : انه دخل دار الرشيد [2] ولم يخرج منها . وقد علمنا إمامته وشككنا فى موته فلا نحكم فى موته إلا بيقين فقيل لهذه الفرقة الموسوية : إذا شككتم فى حياته وموته

---

(١) هو الإمام موسى الكاظم . قبره معروف ببغداد . وقد توفى سنة ١٧٣ هـ .

(٢) خامس خلفاء بنى العباس . كان شهما شجاعا حازما . له مشاركة قوية فى الفقه والعلم والأدب . ولد بالرى سنة ١٤٨ هـ وغزا غزوات عديدة . ومات سنة ١٩٣ هـ وقد دامت خلافته ٢٣ سنة . وكان عصره من أزهى العصور الإسلامية .

فشككوا فى إمامته ولا تقطعوا القول بأنه باق وإنه هو المهدى المنتظر . هذا مع علمكم بأن مشهد موسى بن جعفر معروف فى الجانب الغربى من بغداد يزار . ويقال لهذه الفرقة موسوية لانتظارها موسى بن جعفر ويقال لها الممطورة أيضا لأن يونس بن عبد الرحمن القمى (١) كان من القطعية وناظر بعض الموسوية فقال فى بعض كلامه : أنتم أهون على عينى من الكلاب الممطورة .

ذكر المباركية : هؤلاء يرون الإمامة فى ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر كدعوى الباطنية فيه . وقد ذكر أصحاب الأنساب فى كتبهم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب .

ذكر القطعية منهم : هؤلاء ساقوا الإمامة من جعفر الصادق (٢) إلى ابنه موسى وقطعوا بموت موسى ، وزعموا أن الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذى هو سبط على ابن موسى الرضا . ويقال لهم الاثنا عشرية أيضا لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثانى عشر من نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه واختلفوا فى سن هذا الثانى عشر عند موته فمنهم من قال : كان ابن أربع سنين . ومنهم من قال : كان ابن ثمانى سنين واختلفوا فى حكمه فى ذلك الوقت . فمنهم من زعم أنه فى ذلك الوقت كان إماماً عالما بجميع ما يجب أن يعلمه الإمام وكان مفروض الطاعة على الناس ومنهم من قال : كان فى ذلك الوقت إماما على معنى أن الإمام لا يكون غيره . وكانت الأحكام يومئذ إلى العلماء من أهل مذهبه إلى أوان بلوغه . فلما بلغ تحققت إمامته ، ووجبت طاعته وهو الآن الإمام الواجب طاعته وإن كان غائبا .

ذكر الهشامية منهم : هؤلاء فرقتان فرقة تنسب إلى هشام بن الحكم الرافضى (٣) والفرقة الثانية تنسب إلى هشام بن سالم الجواليقى وكلتا الفرقتين قد ضمت إلى حيرتها فى الإمامة

---

(١) قيل إن على بن إسماعيل قال لهم : ما أنتم إلا كلاب ممطورة . وقيل إن القائل : زرارة بن أعين .

(٢) هو الإمام السادس من الاثنى عشر عند الإمامية . ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط . وتوفى سنة ١٤٨ ه

(٣) قيل إنه أدرك زمان المأمون . وكان رافضيا مجسما . وإن كان بعض العلماء يرى أن ما نسب إليه معظمه مدسوس عليه لصلته بالبرامكة . وقد مات مستترا بعد نكبة البرامكة . فى عهد الرشيد .

ضلالتها فى التجسيم وبدعتها فى التشبيه .

ذكر قول هشام بن الحكم : زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل ، عريض عميق وأن طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه ، ولم يثبت طولا غير الطويل ، ولا عرضا غير العريض . وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول أزيد على ذهابه فى جهة العرض ، وزعم أيضا أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة ، وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها وزعم أيضا : أنه ذو لون ، وطعم ، ورائحة ، ومجسة . وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو رائحته ، ورائحته هو مجسته . ولم يثبت لوناً وطعما هما غير نفسه بل زعم أنه هو اللون وهو الطعم . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ، ثم خلق المكان بأن تحرك فحدث مكانه بحركته فصار فيه ومكانه هو العرش .

وحكى بعضهم عن هشام أنه قال فى معبوده أنه سبعة أشبار بشبر نفسه كأنه قاسه على الإنسان لأن كل إنسان فى الغالب من العادة سبعة أشبار بشبر نفسه .

وذكر أبو الهذيل فى بعض كتبه أنه لقى هشام بن الحكم فى مكة عند جبل أبى قبيس فسأله : أيهما أكبر معبوده أم هذا الجبل ؟ قال : فأشار إلى أن الجبل يوفى عليه تعالى وأن الجبل أعظم منه .

وحكى ابن الراوندى فى بعض كتبه عن هشام أنه قال : بين الله وبين الأجسام المحسوسة تشابه من بعض الوجوه لولا ذلك ما دلت عليه .

وذكر الجاحظ فى بعض كتبه عن هشام أنه قال : إن الله عز وجل إنما يعلم ما تحت الثرى بالشعاع المتصل منه والذاهب فى عمق الأرض وقالوا لولا مماسة شعاعه لما وراء الأجسام الساترة لما رأى ما وراءها ولا علمها .

وذكر أبو عيسى الوراق فى كتابه أن بعض أصحاب هشام أجابه إلى أن الله عز وجل ماس لعرشه لا يفصل عن العرش ولا يفصل العرش عنه . وقد روى أن هشاما مع ضلالته فى التوحيد ضل فى صفات الله أيضاً فأحال القول بأن الله لم يزل عالما بالأشياء . وزعم أنه علم الأشياء بعد أن لم يكن عالما بها بعلم . وأن العلم صفة له ليست هى هو ولا غيره ولا بعضه . قال : ولا يقال لعلمه أنه قديم ولا محدث لأنه صفة وزعم أن الصفة لا توصف . وقال أيضا فى قدرة الله وسمعه ، وبصره ، وحياته ، وإرادته أنها لا قديمة ولا محدثة لأن الصفة لا توصف وقال فيها : إنها لا هى هو ولا غيره . وقال أيضا لو كان لم يزل عالما بالمعلومات لكانت المعلومات أزلية لأنه لا يصح عالم إلا بمعلوم موجود كأنه أحال تعلق العلم بالمعدوم .

وقال أيضاً : لو كان عالما بما يفعله عباده قبل وقوع الأفعال منهم لم يصح اختيار العباد وتكليفهم . وكان هشام يقول فى القرآن : إنه لا خالق ولا مخلوق ، ولا يقال إنه غير مخلوق لأنه صفة والصفة لا توصف عنده . واختلفت الرواية عنه فى أفعال العباد . فروى عنه أنها مخلوقة لله عز وجل وروى عنه أنها معان وليست بأشياء ولا أجسام لأن الشيء عنده لا يكون إلا جسما . وكان هشام يجيز على الأنبياء العصيان مع قوله بعصمة الأئمة من الذنوب . وزعم أن نبيه ﷺ عصى ربه عز وجل فى أخذ الفداء من أسارى بدر ، غير أن الله عز وجل عفا عنه وتأول على ذلك قول الله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر »(١) وفرق فى ذلك بين النبى والإمام بأن النبى إذا عصى أتاه الوحى بالتنبيه على خطاياه ، والإمام لا ينزل عليه الوحى فيجب أن يكون معصوما عن المعصية . وكان هشام على مذهب الإمامية فى الإمامة ، وأكفره سائر الإمامية بإجازته المعصية على الأنبيا . وكان هشام يقول بنفى نهاية أجزاء الجسم وعنه أخذ النظام إبطال الجزء الذى لا يتجزأ .

وحكى زبرقان عنه فى مقالته أنه قال بمداخلة الأجسام بعضها فى بعض كما أجاز النظام تداخل الجسمين اللطيفين فى حيز واحد .

وحكى عنه زبرقان أنه قال : الإنسان شيئان : بدن ، وروح . والبدن موات والروح حساسة مدركة فاعلة وهى نور من الأنوار . وقال هشام فى سبيل الزلزلة : إن الأرض مركبة من طبائع مختلفة يمسك بعضها بعضا فإذا ضعفت طبيعة منها غلبت الأخرى فكانت الزلزلة . فإن ازدادت الطبيعة ضعفا كان الخسف .

وحكى زبرقان عنه أنه أجاز المشى على الماء لغير نبى مع قوله بأنه لا يجوز ظهور الأعلام المعجزة على غير نبى .

ذكر هشام بن سالم الجواليقى(٢): هذا الجواليقى مع رفضه، على مذهب الإمامية مفرط فى التجسيم والتشبيه ، لأنه زعم أن معبوده على صورة الإنسان ولكنه ليس بلحم ولا دم بل هو نور ساطع بياضا . وزعم أنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان وله يد ، ورجل ، وعين ، وأذن ، وأنف ، وفم وأنه يسمع بغير ما يبصر به . وكذلك سائر حواسه متغايرة وأن نصفه الأعلى مجوف ، ونصفه الأسفل مصمت .

---

(١) الآية ٢ من سورة الفتح .

(٢) من أشد الروافض ، والمجسمة .

وحكى أبو عيسى الوراق : أنه زعم أن لمعبوده وفرة سوداء وأنه نور أسود وباقيه نور أبيض .

وحكى شيخنا أبو الحسن الأشعرى[1] فى مقالاته : أن هشام بن سالم قال فى إرادة الله تعالى بمثل قول هشام بن الحكم فيها وهى : إن إرادته حركة وهى معنى لاهى الله ولا غيره . وإن الله تعالى إذا أراد شيئا تحرك فكان كما أراد . قال : ووافقهما أبو مالك الحضرمى ، وعلى بن هيثم وهما من شيوخ الروافض إن إرادة الله تعالى حركة غير أنهما قالا إن إرادة الله تعالى غيره .

وحكى أيضاً عن الجواليقى أنه قال فى أفعال العباد أنها أجسام لأنه لاشىء فى العالم إلا الأجسام ، وأجاز أن يفعل العباد الأجسام وروى مثل هذا القول عن شيطان الطاق أيضاً .

ذكر الزرارية منهم : هؤلاء أتباع زرارة بن أعين[2] ، وكان على مذهب الأفطحية القائلين بإمامة عبد الله بن جعفر ، ثم انتقل إلى مذهب الموسوية وبدعته المنسوبة إليه قوله : بأن الله عز وجل لم يكن حياً ، ولا قادراً ، ولا سميعا ، ولا بصيراً ، ولا عالما ، ولا مريداً حتى خلق لنفسه حياة ، وقدرة ، وعلما ، وإرادة ، وسمعا ، وبصراً فصار بعد أن خلق لنفسه هذه الصفات حيا ، قادرا ، عالما ، مريدا ، سميعاً ، بصيرا . وعلى منوال هذا الضال نسجت القدرية البصرية فى القول بحدوث كلام الله . وعليه نسجت الكرامية قولها بحدوث قول الله وإرادته وإدراكاته .

ذكر اليونسية منهم : هؤلاء أتباع يونس بن عبد الرحمن القمى وكان فى الإمامية على مذهب القطعية الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر وأفرط يونس هذا فى باب التشبيه فزعم أن الله عز وجل يحمله حملة عرشه وهو أقوى منهم ، كما أن الكرسى يحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه واستدل على أنه محمول بقوله : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية »[3] وقال أصحابنا الآية دالة على أن العرش هو المحمول دون الرب تعالى .

---

(١) شيخ أهل السنة والجماعة . نشأ فى الاعتزال ثم هداه الله إلى الحق . أخذ الجدل عن أبى على الجبائى . والحديث عن زكريا الساجى . حكى ابن حزم أنه ألف خمسة وخمسين تصنيفا . وكان قانعا متعففا وكتابه مقالات الإسلاميين مشهور ومات سنة ٣٢٤ هـ وقيل سنة ٣٣٠ .

(٢) كان أول أمره على مذهب الأفطحية ثم انتقل إلى الموسوية ويقال إنه رجع عن التشيع وتوفى سنة ١٥٠ هـ .

(٣) الآية ١٦ من سورة الحاقة .

ذكر الشيطانية منهم : هؤلاء أتباع محمد بن النعمان الرافضى الملقب بشيطان الطاق[1] كان فى زمان جعفر الصادق وعاش بعده مدة وساق الإمامة إلى ابنه موسى . وقطع بموت موسى وانتظر بعض أسباطه ، وشارك هشام بن سالم الجواليقى فى دعواه ، أن أفعال العباد أجسام وإن العبد يصح أن يفعل الجسم ، وشارك هشام بن الحكم . وزعم أن الله تعالى إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها ولا يكون قبل تقديره الأشياء عالما بها . وإلا ما صح تكليف العباد .

قال عبد القاهر : ذكرنا فى هذا الفصل فرق الرفض من الزيدية ، والكيسانية ، والإمامية . والكيسانية منهم اليوم مغمورون فى غمار أخلاط الزيدية والإمامية . وبين الزيدية والإمامية منهم معاداة تورث تضليل بعضهم بعضا وقال بعض شعراء الإمامية يهجو الزيدية :

يا أيها الزيدية المهمله   إمامكم ذا آفة مرسله
يا رخمات الجو تبا لكم   غصتم فأخرجتم لنا جندله

فأجابه شاعر الزيدية :

إمامنا منتصب قائم   لا كالذى يطلب بالغربله
كل إمام لا يرى جهرة   ليس يساوى عندنا خردله

قال عبد القاهر : قد أجبنا الفريقين عن شعرهما بقولنا :

يا أيها الرافضة المبطله   دعواكم من أصلها مبطله
إمامكم إن غاب فى ظلمة   فاستدركوا الغائب بالمشعله
أو كان مغموراً بأغماركم   فاستخرجوا المغمور بالغربله
لكن إمام الحق فى قولنا   من سنة أو آية منزله
وفيهما للمهتدى مقنع   كفى بهذين لنا منزله

---

(١) الشيعة تلقبه « مؤمن الطاق » وإضافته إلى سوق فى طاق المحامل بالكوفة كان يجلس فيها لصرف : وكان معاصرا لأبى حنيفة رضى الله عنه .

الفصل الثانى

من فصول هذا الباب : فى بيان مقالات فرق الخوارج.

قد ذكرنا قبل هذا أن الخوارج عشرون فرقة وهذه أسماؤها : المحكمة الأولى ، والأزارقة ، والنجدات ، والصفرية ، ثم العجاردة المفترقة فرقا منها الخازمية ، والشعيبية والمعلومية ، والمجهولية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها ، والصلتية ، والأخنسية ، والشبيبية ، والشيبانية ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والحمزية ، والشمراخية ، والإبراهيمية ، والواقفة ، والإباضية ، والإباضية منهم افترقت فرقا معظمها فريقان حفصية ، وحارثية . فأما اليزيدية من الإباضية والميمونية من العجاردة فإنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة وسنذكرهما فى باب ذكر فرق الغلاة بعد هذا إن شاء الله عز وجل.

وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها فذكر الكعبى فى مقالاته : إن الذى يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار على ، وعثمان ، والحكمين ، وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين . والإكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر .

وقال شيخنا أبو الحسن الذى يجمعها إكفار على ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ، ومن رضى بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر . ولم يرض ما حكاه الكعبى من إجماعهم على تكفير مرتكبى الذنوب . والصواب : ما حكاه شيخنا أبو الحسن عنهم ، وقد أخطأ الكعبى فى دعواه إجماع الخوارج على تكفير مرتكبى الذنوب منهم . وذلك أن النجدات من الخوارج لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم وقد قال قوم من الخوارج : إن التكفير إنما يكون بالذنوب التى ليس فيها وعيد مخصوص . فأما الذى فيه حد أو وعيد فى القرآن فلا يزاد صاحبه على الاسم الذى ورد فيه . مثل : تسميته زانيا ، وسارقا ونحو ذلك . وقد قالت النجدات : إن صاحب الكبيرة من موافقيهم كافر نعمة وليس فيه كفر دين وفى هذا بيان خطأ الكعبى فى حكايته عن جميع الخوارج تكفير أصحاب الذنوب كلهم منهم ومن غيرهم ، وإنما الصواب فيما يجمع الخوارج كلها ما حكاه شيخنا أبو الحسن رحمه الله من تكفيرهم عليا ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضى بالتحكيم .

ونذكر الآن تفصيل كل فرقة منهم إن شاء الله عز وجل .

ذكر المحكمة الأولى منهم : يقال للخوارج محكمة ، وشراة واختلفوا في أول من انشرى منهم فقيل عروة بن حدير[1] أخو مرداس الخارجي ، وقيل أولهم يزيد بن عاصم المحاربي [2] وقيل رجل من ربيعة من بني يشكر كان مع علي بصفين فلما رأى اتفاق الفريقين على الحكمين استوى على فرسه وحمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلا وحمل على أصحاب علي وقتل منهم رجلا ثم نادى بأعلى صوته . ألا إني قد خلعت علياً ومعاوية وبرئت من حكمهما . ثم قاتل أصحاب علي حتى قتله قوم من همدان ، ثم إن الخوارج بعد رجوع علي من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء وهم يومئذ اثنا عشر ألفا ولذلك سميت الخوارج حرورية وزعيمهم يومئذ عبد الله بن الكواء[3] ، وشبث بن ربعي[4] وخرج إليهم علي يناظرهم فوضحت حجته عليهم فاستأمن إليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان وانحاز الباقون منهم إلى النهروان وأمروا على أنفسهم رجلين . أحدهما : عبدالله بن وهب الراسبي[5] . والآخر : حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية[6] . والتقوا في طريقهم إلى نهروان برجل رأوه يهرب منهم فأحاطوا به وقالوا له من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب بن الأرت[7] . فقالوا له : حدثنا حديثاً سمعته عن أبيك عن رسوله الله صلى الله عليه وسلم . فقال : سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي فمن استطاع أن يكون مقتولا فلا يكونن قاتلا » . فشد عليه رجـــل من الخوارج

---

(١) ويقال : عروة ابن أدية . وهو صواب . لحدير أبوه أوجده . أما أدية فهي أمه . قتله زياد بن أبيه .

(٢) من المحكمة الأولى وهلك في النهروان .

(٣) أول أمير للخوارج حين اعتزلوا عليا وخرجوا عليه . وهو أحد الذين اختاروا أبا موسى الأشعري في قصة التحكيم .

(٤) كان أحد الذين يؤمرهم علي . ويقال إنه كان مؤذنا لسجاح حين ادعت النبوة . ثم التحق بجيش الخوارج .

(٥) أول من أمره الخوارج عليهم وقتل سنة ٣٨ هـ .

(٦) من رؤساء الخوارج . قتل سنة ٣٨ هـ في موقعة النهروان .

(٧) قتله الخوارج فسال دمه . وبقروا بطن أم ولده وبسببه استحل علي قتال الخوارج .

يقال له مسمع بسيفه فقتله فجرى دمه فوق ماء النهر كالشراك إلى الجانب الآخر ثم إنهم دخلوا منزله وكان فى القرية التى قتلوه على بابها فقتلوا ولده وجاريته أم ولده ثم عسكروا بنهروان وانتهى خبرهم إلى على رضى الله عنه فسار إليهم فى أربعة آلاف من أصحابه وبين يديه عدى بن حاتم الطائى[1] وهو يقول :-

نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا ... برايات صدق كالنسور الخوافق
إلى شر قوم من شراة تحزبوا ... وعادوا إله الناس رب المشارق
طغاة عماة مارقين عن الهدى ... وكل برىء فى قوله غير صـــادق
وفينـــا على ذو المعالى يقودنا ... إليهم جهاراً بالسيوف البوارق

فلما قرب على منهم أرسل إليهم أن سلموا قاتل عبد الله بن خباب فأرسلوا إليه : إنا كلنا قتله ولئن ظفرنا بك قتلناك . فأتاهم على فى جيشه وبرزوا إليه بجمعهم فقال لهم قبل القتال : ماذا نقمتم منى ؟ فقالوا له : أول مانقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا فى عسكرهم من المال ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية ؟ ! فقال : إنما أبحت لكم أموالهم بدلا مما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومى عليهم . والنساء والذرية لم يقاتلونا وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام ولم يكن منهم ردة عن الإسلام ولا يجوز استرقاق من لم يكفر . وبعد لو أبحت لكم النساء أيكم يأخذ عائشة[2] فى سهمه ؟ فخجل القوم من هذا ثم قالوا له : نقمنا عليك محو إمرة أمير المؤمنين على اسمك فى الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية فى ذلك . فقال : فعلت مثل مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو[3] : لو علمت أنك رسول الله لما نازعتك ولكن اكتب باسمك واسم أبيك فكتب : (هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو) وأخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لى منهم يوماً مثل ذلك . فكانت قصتى فى هذا مع الأبناء قصة رسول الله عليه السلام مع الآباء . فقالوا له : فلم قلت للحكمين إن كنت أهلا للخلافة فأثبتانى - فإن كنت فى شك من خلافتك فغيرك

---

(١) مضرب الأمثال فى الجود والكرم وسيد طيء . ومات عن مائة وعشرين سنة فى سنة ٦٨ هـ .

(٢) عقد عليها رسول الله بمكة ودخل بها فى المدينة وقبض رسول الله وهى بنت ثمانى عشرة سنة وتوفيت رضى الله عنها سنة ٥٧ هـ .

(٣) هو رسول قريش وممثلها فى صلح الحديبية أسلم وحسن إسلامه وتوفى سنة ١٨ هـ .

بالشك فيك أولى . فقال : إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية ، ولو قلت للحكمين احكما لى بالخلافة لم يرض بذلك معاوية . وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران إلى المباهلة وقال لهم : « تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين[1] » . فأنصفهم بذلك عن نفسه . ولو قال : أبتهل فاجعل لعنة الله عليكم لم يرض النصارى بذلك . لذلك أنصفت أنا معاوية من نفسى ولم أدر غدر عمرو بن العاص . قالوا : فلم حكمت الحكمين فى حق كان لك ؟ . فقال : وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم سعد بن معاذ[2] فى بنى قريظة ولو شاء لم يفعل ، وأقمت أنا أيضاً حكما لكن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكم بالعدل وحكمى خدع حتى كان من الأمر ما كان . فهل عندكم شىء سوى هذا ؟ . فسكت القوم وقال أكثرهم : صدق والله . وقالوا التوبة ، واستأمن إليه منهم يومئذ ثمانية آلاف وانفرد منهم أربعة آلاف بقتاله مع عبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير البجلى . وقال على للذين استأمنوا إليه : اعتزلونى فى هذا اليوم . وقال لأصحابه قاتلوهم فوالذى نفسى بيده لا يقتل منا عشرة ولا ينجو عشرة منهم . فقتل من أصحاب على يومئذ تسعة وهم : ذؤيبة بن وبرة البجلى ، وسعد بن مجالد السبيعى ، وعبد الله بن حماد الجريرى ، ورفاعة بن وائل الأرحبى ، والفياض بن خليل الأزدى ، وكيسوم بن سلمة الجهنى ، وعتبة بن عبيد الخولانى ، وجميع ابن جشم الكندى ، وحبيب بن عاصم الأودى . قتل هؤلاء التسعة تحت راية على رضى الله عنه فحسب . وبرز حرقوص بن زهير إلى على وقال : يا ابن أبى طالب لا نريد بقتالك إلا وجه الله والدار الآخرة . وقال له على : بل مثلكم كما قال الله عز وجل « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا[3] » منهم أنت ورب الكعبة . ثم حمل عليه فى أصحابه وقتل عبد الله بن وهب فى المبارزة ، وصرع ذو الثدية عن فرسه وقتلت الخوارج يومئذ فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس صار منهم رجلان إلى سجستان ومن أتباعهما خوارج سجستان . ورجلان إلى اليمن ومن أتباعهما إباضية اليمن ، ورجلان صارا إلى عمان ومن أتباعهما خوارج عمان ، ورجلان صارا إلى

---

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران .

(٢) سيد الأوس . أصيب فى غزوة الخندق ومات متأثرا بجراحه سنة ٥ هـ . وقال رسول الله : اهتز عرش الرحمن لموت سعد .

(٣) الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤ من سورة الكهف .

ناحية الجزيرة ومن أتباعهما كان خوارج الجزيرة . ورجل منهم صار إلى تل موزن . وقال علي لأصحابه يومئذ : اطلبوا ذا الثدية فوجدوه تحت دالية ورأوا تحت يده إعند الإبط مثل ثدى المرأة فقال : صدق الله ورسوله (١) وأمره فقتل . فهذه قصة المحكمة الأولى وكان دينهم إكفار علي ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، ومعاوية وأصحابه ، والحكمين ، ومن رضى بالتحكيم ، وإكفار كل ذى ذنب ومعصية .

ثم خرج على علي بعد ذلك من الخوارج جماعة كانوا على رأى المحكمة الأولى منهم : أشرس بن عوف وخرج عليه بالأنبار ، وغفلة التيمى من تيم عدى خرج عليه بماسبذان ، والأشهب بن بشر العرنى خرج عليه بجرجرايا ، وسعد بن قفل خرج عليه بالمدائن . وأبو مريم السعدى خرج عليه فى سواد الكوفة . فأخرج علي إلى كل واحد جيشاً مع قائد حتى قتلوا أولئك الخوارج ثم قتل علي رضى الله عنه فى تلك السنة فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين (٢) من الهجرة .

فلما استوت الولاية لمعاوية خرج عليه وعلى من بعده إلى زمان الإزارقة قوم كانوا على رأى المحكمة الأولى . منهم : عبد الله بن جوشا الطائى خرج على معاوية بالنخيلة من سواد الكوفة فأخرج معاوية إليه أهل الكوفة حتى قتلوا أولئك الخوارج . ثم خرج عليه حوثرة بن وداع الأسدى وكان من المستأمنين إلى علي يوم النهروان ، فى سنة إحدى وأربعين . ثم خرج قرة بن نوفل الأشجعى ، والمستورد بن علقمة التيمى على المغيرة بن شعبة وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية فقتلا فى حربه . ثم خرج معاذ بن جرير على المغيرة فقتل فى حربه . ثم خرج زياد بن خراش العجلى على زياد بن أبيه فقتل فى حربه . وخرج قريب بن مرة على عبيد الله بن زياد ، وخرج عليه أيضاً زحاف بن زحر الطائى واستعرضا الناس فى الطريق بالسيف فأخرج ابن زياد إليهما بعباد بن الحصين الحبطى فى جيش فقتلوا

---

(١) من ذو الثدية على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقسم الغنائم يوم بدر . فقال اعدل يا محمد . فقال النبى : ويلك . فمن يعدل إذا لم أعدل . خبت إذاً وخسرت إن كنت لا أعدل فقام عمر وقال يارسول الله : مرنى أن أضرب عنقه فإنه منافق . فقال رسول الله : أخشى أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى . ثم قال رسول الله : إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . حديث صحيح على شرط البخارى .

(٢) لا يختلف أحد فى أن عليا استشهد ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة من رمضان سنة ٤٠ هـ

أولئك الخوارج . فهؤلاء هم الخوارج الذين عاونوا على المحكمة الأولى قبل فتنة الأزارقة والله أعلم .

ذكر الأزارقة منهم : هؤلاء أتباع نافع بن الازرق الحنفي المكنى بأبي راشد [1] ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة . والذى جمعهم من الدين أشياء منها : قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون . وكانت المحكمة الاولى يقولون إنهم كفرة لا مشركون . ومنها : قولهم إن القعدة ممن كان على رأيهم عن الهجرة إليهم مشركون وإن كانوا على رأيهم . ومنها : انهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم أن يدفع إليه أسير من مخالفيهم وأمروه بقتله فإن قتله صدقوه فى دعواه أنه منهم ، وإن لم يقتله قالوا هذا منافق ومشرك وقتلوه . ومنها : انهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم . وقتل أطفالهم ، وزعموا أن الأطفال مشركون وقطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون فى النار . واختلفوا فى أول من أحدث ماانفردت الأزارقة به من إكفار القعـــدة عنهم . ومن امتحان من قصد عسكرهم . فمنهم من : زعم أن أول من أحدث ذلك منهم : عبد ربه الكبير [2] ، ومنهم من قال : عبد ربه الصغير [3] ، ومنهم من قال : أول من قال ذلك رجل منهم اسمه عبد الله بن الوضين [4] وخالف نافع بن الأزرق فى ذلك واستتابه منه فلما مات ابن الوضين رجع نافع وأتباعه إلى قوله وقالوا : كان الصواب معه ولم يكفر نافع نفسه بخلافه إياه حين خالفه وأكفر من يخالفه بعد ذلك . ولم يتبرأ من المحكمة الأولى فى تركهم إكفار القعدة عنهم وقال : إن هذا شيء مازلنا نأخذ به دونهم ، وأكفر من يخالفهم بعد ذلك فى إكفار القعدة عنهم . وزعم نافع وأتباعه أن دار مخالفيهم دار كفر ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء . وأنكرت الأزارقة الرجم ، واستحلوا كفر الأمانة التى أمر الله تعالى

---

(١) كان خروجه بالبصرة فى عهد عبد الله بن الزبير . واشتدت شوكته وكثر أتباعه فى سنة ٦٥ هـ وبعث إليه عبدالله بن الحارث مسلم بن عبس على رأس جيش . وقتل نافع شيخ الأزارقة .

(٢) كان عبد ربه الكبير بائع رمان وقد انضم إليه الخوارج المنشقون على قطرى ابن الفجاءة .

(٣) كان عبد ربه الصغير قبل أن يتردى فى الضلال معلم كتاب وقد انضم إليه شطر أتباع قطرى بن الفجاءة ومعظمهم من الموالى والعجم .

(٤) هو من رءوس الأزارقة وقد مات سنة ٦٠ هـ .

بأدائها وقالوا : ان مخالفينا مشركون فلا يلزمنا أداء أمانتنا إليهم ، ولم يقيموا الحد على قاذف الرجل المحصن وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء ، وقطعوا يد السارق فى القليل والكثير ولم يعتبروا فى السرقة نصاباً ، وأكفرتهم الأمة فى هذه البدع التى أحدثوها بعد كفرهم الذى شاركوا فيه المحكمة الأولى فباءوا بكفر على كفر كمن باء بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين .

ثم الأزارقة بعد اجتماعها على البدع التى حكيناها عنهم بايعوا نافع بن الأزرق وسموه أمير المؤمنين . وانضم إليهم خوارج عمان واليمامة فصاروا أكثر من عشرين ألفا واستولوا على الأهواز وما وراءها من أرض فارس وكرمان وجبوا خراجها ، وعامل البصرة يومئذ عبد الله بن الحارث الخزاعى من قبل عبد الله بن الزبير فأخرج عبد الله بن الحارث جيشاً مع مسلم بن عبس بن كريز بن حبيب بن عبد شمس لحرب الأزارقة فاقتتل الفريقان بدولاب الأهواز فقتل مسلم بن عبس وأكثر أصحابه . فخرج إلى حربهم من البصرة عمر بن عبيد الله ابن معمر التيمى فى ألفى فارس فهزمته الأزارقة ، فخرج إليهم حارثة بن بدر الغدانى فى ثلاثة آلاف من جند البصرة فهزمتهم الأزارقة فكتب عبد الله بن الزبير من مكة إلى المهلب بن أبى صفرة [1] وهو يومئذ بخراسان يأمره بحرب الأزارقة وولاه ذلك فرجع المهلب إلى البصرة وانتخب من جندها عشرة آلاف وانضم إليه قومه من الأزد فصار فى عشرين ألفاً وخرج وقاتل الأزارقة وهزمهم عن دولاب الأهواز إلى الأهواز ومات نافع بن الأزرق فى تلك الهزيمة وبايعت الأزارقة بعده عبيد الله بن مأمون التميمى وقاتلهم المهلب بعد ذلك بالأهواز فقتل عبيد الله بن مأمون فى تلك الوقعة . وقتل أيضاً أخوه عثمان بن مأمون مع ثلاثمائة من أشد الأزارقة وانهزم الباقون منهم إلى ايدج وبايعوا قطرى بن الفجاءة [2] وسموه أمير المؤمنين . وقاتلهم المهلب بعد ذلك حروبا كانت سجالا وانهزمت الأزارقة فى آخرها إلى سابور من أرض فارس وجعلوها دار هجرتهم وثبت المهلب وبنوه وأتباعهم على قتالهم تسع عشرة سنة بعضها فى أيام عبد الله بن الزبير وباقيها فى زمان خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق وأقر الحجاج المهلب على

---

(١) كان المهلب شجاعا حمى البصرة من الخوارج حتى سميت بصرة المهلب مات سنة ٨٢هـ

(٢) خرج أيام عبد الله بن الزبير . وفى أيام عبد الملك بن مروان وجه إليه جيشا بقيادة الحجاج فقتله ، وهو صاحب القصيدة المشهورة التى أولها :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعى

حرب الأزارقة فدامت الحرب في تلك السنين بين المهلب وبين الأزارقة كراً وفراً فيما بين فارس والأهواز إلى أن وقع الخلاف بين الأزارقة ففارق عبد ربه الكبير قطرياً وصار إلى واد بجيرفت كرمين في سبعة آلاف رجل وفارقه عبد ربه الصغير في أربعة آلاف وصار إلى ناحية أخرى من كرمان ، وبقى قطرى فى بضعة عشر ألف رجل بأرض فارس وقاتله المهلب بها وهزمه إلى أرض كرمان وتبعه وقاتله بأرض كرمان وهزمه منها إلى الرى .

ثم قاتل عبد ربه الكبير فقتله وبعث بابنه يزيد بن المهلب إلى عبد ربه الصغير فأتى عليه وعلى أصحابه ، وبعث الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش كثيف إلى قطرى بعد أن انحاز من الرى إلى طبرستان فقتلوه بها وأنفذوا برأسه إلى الحجاج ، وكان عبيدة بن هلال اليشكرى (١) قد فارق قطريا وانحاز إلى قومس فتبعه سفيان بن الأبرد وحاصره فى حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه وطهر الله بذلك الأرض من الأزارقة والحمد لله على ذلك

ذكر النجدات منهم : هؤلاء أتباع نجدة بن عامر الحنفى (٢) وكان السبب فى رياسته وزعامته أن نافع بن الأزرق لما أظهر البراءة من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه وسماهم مشركين واستحل قتل أطفال مخالفيه ونسائهم ، وفارقه أبو فديك ، وعطية الحنفى ، وراشد الطويل ، ومقلاص ، وأيوب الأزرق وجماعة من أتباعهم وذهبوا إلى اليمامة فاستقبلهم نجدة بن عامر فى جنده من الخوارج يريدون اللحوق بعسكر نافع فأخبروهم بأحداث نافع وردوهم إلى اليمامة وبايعوا بها نجدة بن عامر وأكفروا من قال بإكفار القعدة منهم عن الهجرة إليهم ، وأكفروا من قال بإمامة نافع وأقاموا على إمامة نجدة إلى أن اختلفوا عليه فى أمور نقموها منه فلما اختلفوا عليه صاروا ثلاث فرق . فرقة صارت مع عطية بن الأسود الحنفى (٣) إلى سجستان وتبعهم خوارج سجستان ولهذا قيل لخوارج سجستان فى ذلك الوقت عطوية . وفرقة صارت مع أبى فديك حرباً على نجدة وهم الذين قتلوا نجدة ، وفرقة عذروا نجدة فى أحداثه وأقاموا على إمامته . والذى نقمه على نجدة أتباعه أشياء . منها : أنه بعث جيشا فى غزو البر ، وجيشا فى غزو البحر ففضل الذين بعثهم فى البر على الذين بعثهم

---

(١) من أصحاب قطرى بن الفجاءة . يقول عن نفسه * انا ابن خير قومه هلال شيخ على دين أبى بلال ـ وذاك دينى آخر الليالى * وقد قتله سفيان بن الأبرد سنة ٧٧ هـ .

(٢) رأس النجدات من الخوارج ، استولى على اليمامة والبحرين وقد قتله أتباعه سنة ٦٩هـ.

(٣) قال الأشعرى فى « مقالات الإسلاميين » : « فأما عطية بن الأسود وأصحابه الذين يسمون العطوية ، فإنه لم يحدث قولا أكثر من أنه أنكر على نافع ماأحدثه من أقاويله ففارقه ، ثم أنكر على نجدة ففارقه ومضى إلى سجستان » .

فى البحر فى الرزق والعطاء . ومنها : أنه بعث جيشاً فأغاروا على مدينة الرسول عليه السلام وأصابوا منها جارية من بنات عثمان بن عفان فكتب إليه عبد الملك فى شأنها فاشتراها من الذى كانت فى يديه وردها إلى عبد الملك بن مروان فقالوا له : إنك رددت جارية لنا على عدونا . ومنها : أنه عذر أهل الخطأ فى الاجتهاد بالجهالات . وكان السبب فى ذلك أنه بعث ابنه المطرح مع جند من عسكره إلى القطيف فأغاروا عليها وسبوا منها النساء والذرية وقوموا النساء على أنفسهم ونكحوهن قبل إخراج الخمس من الغنيمة وقالوا : إن دخلت النساء فى قسمنا فهو مرادنا وأن زادت قيمهن على نصيبنا من الغنيمة غرمنا الزيادة من أموالنا ، فلما رجعوا إلى نجدة سألوه عما فعلوا من وطء النساء ومن أكل طعام الغنيمة قبل إخراج الخمس منها وقبل قسمة أربعة أخماسها بين الغانمين : فقال لهم : لم يكن لكم ذلك فقالوا : لم نعلم أن ذلك لا يحل لنا فعذرهم بالجهالة ثم قال : إن الدين أمران :

أحدهما : معرفة الله تعالى ، ومعرفة رسله ، وتحريم دماء المسلمين ، وتحريم غصب أموال المسلمين ، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى جملة فهذا واجب معرفته على كل مكلف . وما سواه فالناس معذورون بجهالته حتى يقيم عليه الحجة فى الحلال والحرام . فمن استحل باجتهاده شيئا محرما فهو معذور . ومن خاف العذاب على المجتهد المخطىء قبل قيام الحجة عليه فهو كافر .

الثانى : ومن بدع نجدة أنه تولى أصحاب الحدود من موافقيه وقال : لعل الله يعذبهم بذنوبهم فى غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة . وزعم أن النار يدخلها من خالفه فى دينه . ومن ضلالاته أيضاً أنه أسقط حد الخمر ، ومنها أيضا أنه قال : من نظر نظرة صغيرة ، أو كذب كذبة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك . ومن زنى ، وسرق ، وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم . إذا كان من موافقيه على دينه . فلما أحدث هذه الأحاديث وعذر أتباعه بالجهالات استتابه أكثر أتباعه من أحداثه ، وقالوا له : اخرج إلى المسجد وتب من أحداثك ففعل ذلك.

ثم إن قوما منهم ندموا على استتابته وانضموا إلى العاذرين له وقالوا له : أنت الإمام ولك الاجتهاد ولم يكن لنا أن نستتيبك فتب من توبتك واستتب الذين استتابوك وإلا نابذناك . ففعل ذلك فافترق عليه أصحابه وخلعه أكثرهم وقالوا له : اختر لنا إماما فاختار أبا فديك(١) وصار راشد الطويل مع أبى فديك يدا واحدة . فلما استولى أبو فديك على

(١) كان أبو فديك من أصحاب نجدة . ثم خالفه وأنكر عليه فقتله .

اليمامة على أن أصحاب نجدة إذا عادوا من غزواتهم أعادوا نجدة إلى الإمارة فطلب نجدة ليقتله فاختفى نجدة فى دار بعض عاذريه ينتظر رجوع عساكره الذين كان قد فرقهم فى سواحل الشام ونواحى اليمن. ونادى منادى أبى فديك من دلنا على نجدة فله عشرة آلاف درهم. وأى مملوك دلنا عليه فهو حر. فدلت عليه أمة الذين كان نجدة عندهم فأنفذ أبو فديك راشدا الطويل فى عسكر إليه فكبسوه وحملوا رأسه إلى أبى فديك فلما قتل نجدة صارت النجدات بعده ثلاث فرق: فرقة أكفرته وصارت إلى أبى فديك كراشد الطويل، وأبى بيهس، وأبى الشمراخ وأتباعهم. وفرقة عذرته فيما فعل وهم النجدات اليوم، وفرقة من النجدات بعدوا عن اليمامة وكانوا بناحية البصرة شكوا فيما حكى من أحداث نجدة وتوقفوا فى أمره وقالوا: لا ندرى هل أحدث تلك الأحداث أم لا فلا نبرأ منه إلا باليقين، وبقى أبو فديك بعد قتل نجدة إلى أن بعث إليه عبد الملك ابن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى فى جند، فقتلوا أبا فديك وبعثوا برأسه إلى عبد الملك بن مروان فهذه قصة النجدات.

ذكر الصفرية من الخوارج: هؤلاء أتباع زياد بن الأصفر[1] وقولهم فى الجملة كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، والأزارقة يرون ذلك، وقد زعمت فرقة من الصفرية، أن ما كان من الأعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له: كزان، وسارق، وقاذف، وقاتل عمد، وليس صاحبه كافرا ولا مشركا، وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر وإن المؤمن المذنب يفقد اسم الإيمان فى الوجهين جميعا. وفرقة ثالثة من الصفرية قالت بقول من قال من البيهسية أن صاحب الذنب لا يحكم عليه بالكفر حتى يرفع إلى الوالى فيحده، فصارت الصفرية على هذا التقدير ثلاث فرق:

فرقة: تزعم أن صاحب كل ذنب مشرك كما قالت الأزارقة.

والثانية: تزعم أن اسم الكفر واقع على صاحب ذنب ليس فيه حد، والمحدود فى ذنبه خارج عن الإيمان وغير داخل فى الكفر.

والثالثة: تزعم أن اسم الكفر يقع على صاحب الذنب إذا حده الوالى على ذنبه، وهذه الفرق الثلاث من الصفرية يخالفون الأزارقة فى الأطفال والنساء كما بيناه قبل هذا

---

(١) قيل فى سبب تسميتهم الصفرية إما لاصفرار وجوههم من أثر ما تكلفوه من السهر والعبادة أو إلى الأصفر زعيمهم.

وكل الصفرية يقولون بموالاة عبد الله بن وهب الراسبي، وحرقوص بن زهير وأتباعهما من المحكمة الأولى ويقولون بإمامة أبي بلال مرداس الخارجي بعدهم، وبإمامة عمران ابن حطان السدوسي بعد أبي بلال.

فأما أبو بلال مرداس فإنه خرج في أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عبيد الله ابن زياد فبعث إليه عبيد الله بن زياد زرعة بن مسلم العامري[1] في ألفي فارس وكان زرعة يميل إلى قول الخوارج فلما اصطف الفريقان للقتال، قال زرعة لأبي بلال: أنتم على الحق ولكننا نخاف من ابن زياد أن يسقط عطاءنا فلا بد لنا من قتالكم فقال له أبو بلال: وددت لو كنت قبلت فيكم قول أخي عروة فإنه أشار على بالاستعراض لكم كما استعرض قريب وزحاف الناس في طرقهم بالسيف ولكني خالفتهما وخالفت أخي. ثم حمل أبو بلال وأتباعه على زرعة وجنده فهزموهم. ثم إن عبيد الله بن زياد بعث إليه بعباد بن أخضر التيمي[2] فقاتل أبا بلال بتوج وقتله مع أتباعه. فلما ورد على ابن زياد خبر قتل أبي بلال قتل من وجدهم بالبصرة من الصفرية وظفر بعروة[3] أخي مرداس فقال له: أشرت على أخيك مرداس بالاستعراض للناس فقد انتقم الله للناس منك، ومن أخيك، ثم أمر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه. فلما قتل مرداس اتخذت الصفرية عمران بن حطان إماما وهو الذي رثى مرداساً بقصائد يقول في بعضها:

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه   ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

وكان عمران بن حطان هذا ناسكا شاعراً شديداً في مذهب الصفرية وبلغ من خبثه في غزوة على رضي الله عنه أنه رثى عبد الرحمن بن ملجم وقال في ضربه عليا: —

يا ضربة من منيب ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا

قال عبد القاهر وقد أجبناه عن شعره هذا بقولنا:

يا ضربة من كفور ما استفاد بها   إلا الجزاء بما يصليه نيرانا

---

(١) وقيل اسمه: أسلم بن زرعة كان من قواد عبيد الله بن زياد. ولقد تقاعس في قتال الخوارج حتى قتله الخوارج سنة ٥٨ هـ وقد قال: لأن يذمني ابن زياد حيا خير من أن يمدحني ميتا.

(٢) قيل إنه اهتبل اشتغال الخوارج بصلاة الجمعة. بعد أن كان قد وادعهم على ترك القتال حتى يصلوا الجمعة ولكنه مال عليهم فقتلهم جميعا. وقد قتل سنة ٦١ هـ.

(٣) هو من رءوس الخوارج قتله زياد أو ابنه عبيد الله سنة ٥٨ هـ.

إنى لألعنه دينــا وألعن من يرجو له أبداً عفواً وغفرانا
ذاك الشق لأشقى النــاس كلهم أخفهم عند رب النــاس ميزانا

ذكر العجاردة من الخوارج : العجاردة كلها أتباع عبد الكريم بن عجرد[1] ، وكان عبد الكريم من أتباع عطية بن الأسود الحنفى وكانت العجاردة مفترقة عشر فرق يجمعها القول بأن الطفل يدعى إذا بلغ وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام أو يصفه هو . وفارقوا الأزارقة فى شىء آخر . وهو : ان الأزارقة استحلت أموال مخالفيهم بكل حال . والعجاردة لا يرون أموال مخالفيهم فيئا إلا بعد قتل صاحبه . فكانت العجاردة على هذه الجملة إلى أن افترقت فرقها التى نذكرها بعد هذا .

ذكر الخازمية منهم : هؤلاء أكثر عجاردة سجستان وقد قالوا فى باب القــدر ، والاستطاعة ، والمشيئة بقول أهل السنة . أن لا خالق إلا الله ولا يكون إلا ما شاء الله . وأن الاستطاعة مع الفعل ، وأكفروا الميمونية الذين قالوا فى باب القدر والاستطاعة بقول القدرية المعتزلة عن الحق . ثم إن الخازميــة خالفوا أكثر الخوارج فى الولاية والعداوة وقالوا إنهما صفتان لله تعالى . وإن الله عز وجل إنما يتولى العبد على ما هو صائر إليه من الإيمان . وإن كان فى أكثر عمره كافرا . ويبرى منه ما يصير إليه من الكفر فى آخر عمره وإن كان فى أكثر عمره مؤمنا . وإن الله تعالى لم يزل محباً لأوليائه ومبغضا لأعدائه . وهذا القول منهم موافق لقول أهل السنة فى الموافاة غير أن أهل السنة ألزموا الخازمية على قولها بالموافاة أن يكون على ، وطلحة[2] ، والزبير[3] ، وعثمان من أهل الجنة لأنهم من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة[4] » وقالوا لهم : إذا كان الرضا من الله تعالى عن العبد إنما يكون عن علم أنه يموت على الإيمان وجب أن يكون المبايعون تحت الشجرة على هذه الصفة . وكان على ، وطلحة ، والزبير منهم ، وكان عثمان يومئذ أسيراً فبايع له النبى عليه السلام وجعل يده

---

(١) رئيس العجاردة من الخوارج .

(٢) أحد العشرة المبشرين بالجنة . قتل فى موقعة الجمل المشهورة سنة ٣٦ هـ .

(٣) هو سيف من سيوف الله ابن عمة رسول الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة وقد قتل غدرا بيد ابن جرموز فى يوم الجمل سنة ٣٦ هـ .

(٤) الآية ١٨ من سورة الفتح .

بدلا عن يده وصح بهذا بطلان قول من أكفر هؤلاء الأربعة .

ذكر الشعيبية منهم : قول هؤلاء فى باب القدر والاستطاعة والمشيئة كقول الخازمية وإنما ظهر ذكر الشعيبية حين نازع زعيمهم المعروف بشعيب[1] رجلا من الخوارج اسمه ميمون . وكان السبب فى ذلك أنه كان لميمون على شعيب مال فتقاضاه . فقال له شعيب : أعطيكه إن شاء الله فقال له ميمون : قد شاء الله ذلك الساعة . فقال شعيب : لو كان قد شاء ذلك لم أستطع أن لا أعطيكه فقال ميمون : قد أمرك الله بذلك وكل ما أمر به فقد شاءه ومالم يشأ لم يأمر به فافترقت العجاردة عند ذلك . فتبع قوم شعيباً ، وتبع آخرون ميموناً وكتبوا فى ذلك إلى عبد الكريم بن عجرد وهو يومئذ فى حبس السلطان فكتب فى جوابهم : إنما نقول ما شاء الله كان ، وما لم يشألم يكن ،ولا نلحق بالله سوءاً . فوصل الجواب إليهم بعد موت ابن عجرد وادعى ميمون أنه قال بقوله لأنه قال: لا نلحق بالله سوءا . وقال شعيب : بل قال بقولى لأنه قال نقول : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . ومالت الخازمية على كفرها فى العجاردة إلى شعيب ، ومالت الحمزية مع القدرية إلى ميمون . ثم زادت الميمونية على كفرها فى القدر نوعا من المجوسية فأباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ورأوا قتال السلطان ومن رضى بحكمه فرضاً . فأما من أنكره فلا يرون قتله إلا إذا أغار عليهم أو طعن فى دينهم أو كان دليلا للسلطان. وسنذكر الميمونية فى جملة الغلاة الخارجين عن الملة فى باب بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وقد كان من جملة الميمونية رجل يقال له خلف . ثم خالف الميمونية فى القدر والاستطاعة والمشيئة وقال فى هذه الثلاثة بقول أهل السنة ،وتبعه على ذلك خوارج كرمان ومكران فيقال لهم الخلفية. وهم الذين قاتلوا حمزة بن أكرك الخارجى فى أرض كرمان .

ذكر الخلفية منهم . هم أتباع خلف[2] الذى قاتل حمزة الخارجى . والخلفية لا يرون القتال إلا مع إمام منهم . وصارت الخلفية إلى قول الأزارقة فى شىء واحد، وهو دعواهم أن أطفال مخالفيهم فى النار .

ذكر المعلومية والمجهولية منهم : هاتان فرقتان من جملة الحازمية ثم إن المعلومية منهما خالفت سلفها فى شيئين : —

أحدهما : دعواها أن من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو جاهل به والجاهل به كافر .

---

(١) شعيب بن محمد كان من العجاردة إلا أنه برىء من ميمون حين أظهر القول بالقدر .

(٢) هو رئيس الخلفية من الخوارج الذين بكرمان .

والثانى : أنهم قالوا إن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى . ولكنهم قالوا فى الاستطاعة والمشيئة بقول أهل السنة فى أن الاستطاعة مع الفعل وأنه لا يكون إلا ما شاء الله. وهذه الفرقة تدعى إمامة من كان على دينها وخرج بسيفه على أعدائه من غير براءةمنهم عن القعدة منهم . وأما الجهولية منهم : فقولهم كقول المعلومية غير أنهم قالوا من عرف الله ببعض أسمائه فقد عرفه ،وأكفروا المعلومية منهم فى هذا الباب .

ذكر الصلتية منهم : هؤلاء منسوبون إلى صلت بن عثمان[1]، وقيل صلت بن أبى الصلت وكان من العجاردة غير أنه قال : إذا استجاب لنا الرجل وأسلم توليناه وبرئنا من أطفاله لأنه ليس لهم إسلام حتى يدركوا فيدعوا حينئذ إلى الإسلام فيقبلوه .وبإزاء هذه الفرقة فرقة أخرى وهى التاسعة من العجاردة زعموا أنه ليس لأطفال المؤمنين ولا لأطفال المشركين ولاية ولا عداوة حتى يدركوا فيدعوا إلى الإسلام فيقبلوا أو ينكروا .

ذكر الحمزية منهم : هؤلاء أتباع حمزة بن أكرك[2] الذى عاث فى سجستان، وخراسان، ومكران . وقهستان ، وكرمان وهزم الجيوش الكثيرة وكان فى الأصل من العجاردة الخازمية ثم خالفهم فى باب القدر والاستطاعة فقال فيهما بقول القدرية فأكفرته الخازمية فى ذلك ، ثم زعم مع ذلك أن أطفال المشركين فى النار فأكفرته القدرية فى ذلك . ثم إنه والى القعدة من الخوارج مع قوله بتكفير من لا يوافقه على قتال مخالفيه من فرق هذه الأمة مع قوله بأنهم مشركون . وكان إذا قاتل قوماً وهزمهم أمر بإحراق أموالهم وعقر دوابهم وكان مع ذلك يقتل الأسراء من مخالفيهم ، وكان ظهوره فى أيام هارون الرشيد فى سنة تسع وسبعين ومائة . وبقى الناس فى فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون ولما استولى على بعض البلدان جعل قاضيه أبا يحيى يوسف بن بشار ، وصاحب جيشه رجلا اسمه حيويه بن معبد ، وصاحب حرسه عمرو بن صاعدوكان معه جماعة من شعراء الخوارج كطلحة بن فهد ، وأبى الجلندى ، وأقرانهم . وبدأ بقتال البيهسية من الخوارج وقتل الكثير منهم فسموه عند ذلك أمير المؤمنين وقال الشاعر طلحة بن فهد فى ذلك :

أمير المؤمنين على رشاد ... وخير هداية ، نعم الأمير

---

(١) وقيل عثمان بن أبى الصلت ، وقيل الصلت بن أبى الصلت .

(٢) كان حمزة فى الأصل من العجاردة الخازمية ثم خالفهم فى باب القدر فهو خارجى قدرى وقد ظهر أيام الرشيد وبقى إلى صدر خلافة المأمون وقد مات حمزة جريحا بعد أن قتل الألوف من أصحابه .

أمير يفضل الأمراء فضلا كما فضل السها القمر المنير

ثم إن حمزة أسرى سرية إلى الخازمية من الخوارج بناحية فلجرد فقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم قصد بنفسه هراة فمنعه أهلها من دخولها فاستعرض الناس خارج المدينة وقتل منهم الكثير فخرج إليه عمرو بن يزيد الأزدى وهو يومئذ والى هراة مع جنده فدامت الحرب بينهم شهراً وقتل من أرض هراة جماعة وقتل من أصحاب حمزة هيصم الشارى وكان داعية حمزة يدعو الناس إلى ضلالته . ثم أغار حمزة على كروخ من رستاق هراة وأحرق أموالهم وعقر أشجارهم . ثم حارب ابن يزيد الأزدى بقرب بوشنج وقتل عمراً . ثم انتصب على بن عيسى بن ماهان وهو يومئذ والى خراسان لحرب حمزة فانهزم منه إلى أرض سجستان بعدأن قتل من قواده ستون رجلا سوى أتباعه فلما وصل إلى سجستان منعه أهل زرنج عن دخول البلد فاستعرض الناس بالسيف فى صحراء البلد .

ثم تنكر لأهل زرنج بأن ألبس أصحابه السواد يوهمهم أنهم أصحاب السلطان وأنذرهم بذلك منذر فمنعوه من دخول البلدة فعقر نخلهم فى سوادهم وقتل المجتازين فى صحاريهم ثم قصد نهر شعبة وقتل بها الكثير من الخوارج الخلفية وعقر أشجارهم، وأحرق أموالهم وانهزم منه رئيس للخليفة اسمه مسعود بن قيس وعبر فى هزيمته واديا وغرق فيه وشك أتباعه فى موته وهم ينتظرونه اليوم . ثم رجع حمزة من كرمان وأغار فى طريقه على رستاق جست من رساتيق نيسابور ، وكان بهم قوم من الخوارج الثعالبة فقتلهم حمزة ودامت فتنته بخراسان ، وكرمان ، وقهستان ، وسجستان إلى آخر أيام الرشيد وصدر فى خلافة المأمون لاشتغال جند أكثر خراسان بقتال رافع بن ليث بن نصر بن سيار على باب سمرقند . فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب إلى حمزة كتابا استدعاه فيه إلى طاعته فما ازداد إلا عتواً فى أمره . فبعث المأمون بطاهر بن الحسين لقتال حمزة فدارت بين طاهر وحمزة حروب قتل فيها من الفريقين مقدار ثلاثين ألفاً أكثرهم من أتباع حمزة وانهزم فيها حمزة إلى كرمان وأتى طاهر على القعدة عن حمزة ممن كانوا على رأيه وظفر بثلاثمائة منهم فأمر بشد كل رجل منهم بالحبال بين شجرتين قد جذبت رؤوسهما بعضها إلى بعض ثم قطع الرجل بين الشجرتين فرجعت كل واحدة من الشجرتين بالنصف من بدن المشدود عليها. ثم إن المأمون استدعى طاهر بن الحسين من خراسان وبعث به إلى منصبه فطمع حمزة فى خراسان فأقبل فى جيشه من كرمان فخرج إليه عبدالرحمن النيسابورى فى عشرين ألف رجل من غزاة نيسابور ونواحيها فهزموا حمزة بإذن الله وقتلوا الألوف من أصحابه وانفلت منهم حمزة جريحا ومات فى هزيمته

هذه وأراح الله عز وجل منه ومن أتباعه العباد بعد ذلك وكانت هذه الوقعة التى هلك بعدها حمزة الخارجى القدرى من مفاخر أهل نيسابور والحمد لله على ذلك .

ذكر الثعالبة منهم : هؤلاء أتباع ثعلبة بن مشكان[1] والثعالبة تدعى إمامته بعد عبد الكريم بن عجرد وتزعم أن عبدالكريم بن عجرد كان إماما قبل أن خالفه ثعلبة فى حكم الأطفال فلما اختلفا فى ذلك كفر ابن عجرد وصار ثعلبة إماما . والسبب فى اختلافهما أن رجلا من العجاردة خطب إلى ثعلبة بنته فقال له : بين مهرها . فأرسل الخاطب امرأة إلى أم تلك البنت يسألها هل بلغت البنت فإن كانت قد بلغت ووصفت الإسلام على الشرط الذى تعتبره العجاردة لم يبال كم كان مهرها ، فقالت أمها : هى مسلمة فى الولاية بلغت أم لم تبلغ فأخبر بذلك عبد الكريم بن عجرد ، وثعلبة بن مشكان فاختار عبد الكريم البراءة من الأطفال قبل البلوغ وقال ثعلبة نحن على ولايتهم صغاراً وكباراً إلى أن يبين لنا منهم إنكار الحق ، فلما اختلفا فى ذلك برىء كل واحد منهما من صاحبه ، وصار أتباع كل واحد منها فرقاً . وقد ذكرنا فرق العجاردة قبل هذا ، وصارت الثعالبة بعد ذلك ست فرق فرقة أقامت على إمامة ثعلبة ولم تقل بإمامة أحد بعده ولم يكترثوا لما ظهر فيهم من خلاف الأخنسية والمعبدية .

ذكر المعبدية منهم : والفرقة الثانية منهم معبدية قالت بإمامة رجل منهم بعد ثعلبة اسمه معبد خالف جمهور الثعالبة فى أخذ الزكاة من العبيد وإعطائهم منها وأكفر من لم يقل بذلك وأكفره سائر الثعالبة فى قوله .

الأخنسية : والفرقة الثالثة منهم الأخنسية أتباع رجل منهم كان يعرف بالأخنس[2] وكان فى بدء أمره على قول الثعالبة فى موالاة الأطفال ثم خنس من بينهم فقال : يجب علينا أن نتوقف عن جميع من فى دار التقية إلا من عرفنا منه إيمانا فنواليه عليه أو كفرا فنبرأ منه . وقالوا بتحريم القتل والاغتيال فى السر وأن يبدأ أحد من أهل القبلة بقتال حتى يدعى الأمن عرفوه بعينه وصار له تبع على هذا القول وبرىء من سائر الثعالبة وبرىء منه سائرهم .

الشيبانية : والفرقة الرابعة من الثعالبة شيبانية . هم أتباع شيبان بن سلمة الخارجى[3] الذى خرج فى أيام أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس وأعان أبا مسلم على أعدائه فى حروبه وكان مع ذلك يقول بتشبيه الله سبحـــانه لخلقه فأكفره سائر الثعالبة مع أهل السنه فى قوله

---

(١) وقيل ثعلبة بن عامر ، وكان من أتباع عجرد ثم اختلفا وبرىء كل واحد منهما من صاحبه .

(٢) هو الأخنس بن قيس .

(٣) أعان أبا مسلم الخراسانى فى حروبه ثم انقلب على أبى مسلم وقتل سنة ١٣٠ هـ .

بالتشبيه ، وأكفرته الخوارج كلها فى معاونته أبا مسلم(١) والذين أكفروه من الثعالبة يقال لهم زيادية أصحاب زياد بن عبد الرحمن . والشيبانية يزعمون أن شيبان تاب من ذنوبه وقالت الزيادية إن ذنوبه كان منها مظالم العباد التى لا تسقط بالتوبة . وأنه أعان أبا مسلم على قتاله مع الثعالبة كما أعانه على قتاله مع بنى أمية .

ذكر الرشيدية منهم : والفرقة الخامسة من الثعالبة يقال لها رشيدية نسبوا إلى رجل اسمه رشيد وانفردوا بأن قالوا فيما سقى بالعيون والأنهار الجارية نصف العشر . وإنما يجب العشر الكامل فيما سقته السماء فحسب . وخالفهم زياد بن عبد الرحمن فأوجب فيما سقى بالعيون والأنهار الجارية العشر الكامل .

ذكر المكرمية منهم : والفرقة الثالثة من الثعالبة يقال لهم المكرمية أتباع أبى مكرم(٢) زعموا أن تارك الصلاة كافر لا لأجل ترك الصلاة لكن لجهله بالله عز وجل ، وزعموا أن كل ذى ذنب جاهل بالله والجهل بالله كفر . وقالوا أيضا بالموافاة فى الولاية والعداء . فهذا بيان فرق الثعالبة وبيان أقوالها .

ذكر الإباضية وفرقها : أجمعت الإباضية على القول بإمامة عبد الله بن إباض(٣) ، وافترقت فيما بينها فرقا يجمعها القول بأن كفار هذه الأمة يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة براء من الشرك والإيمان ، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار . وأجازوا شهادتهم ، وحرموا دماءهم فى السر ، واستحلوها فى العلانية ، وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم وزعموا أنهم فى ذلك محاربون لله ولرسوله لا يدينون دين الحق ، وقالوا

(١) هو مؤسس دولة العباسيين ، وكان له قوم يسمون المسلمية يقولون بإمامته وقتله المنصور سنة ١٦٨ ﻫ .

(٢) هو مكرم بن عبد الله العجلى كما فى الملل والنحل للشهرستانى .

(٣) عبد الله بن إباض من بنى مرة بن عبيد . رأس الإباضية ، وقيل إنه رجع عن بدعته فتبرأ منه أتباعه واستمرت نسبتهم إليه ، وقد خرج فى أيام مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ، وقيل أن الإباضية قوم من الحرورية لهم هوى ينسبون إليه .

باستحلال بعض أموالهم دون بعض، والذى استحلوه الخيل، والسلاح. فأما الذهب والفضة فإنهم يردونهما على أصحابهما عند الغنيمة. ثم افترقت الإباضية فيما بينهم أربع فرق، وهى: الحفصية، والحارثية، واليزيدية، وأصحاب طاعة لايراد الله بها، واليزيدية منهم غلاة لقولهم بنسخ شريعة الإسلام فى آخر الزمان، وسنذكرهم فى باب فرق الغلاة المنتسبين إلى الإسلام بعد هذا. وإنما نذكر فى هذا الباب: الحفصية، والحارثية، وأصحاب طاعة لايراد الله بها.

ذكر الحفصية منهم: هؤلاء قالوا بإمامة حفص بن أبى المقدام وهو الذى زعم أن بين الشرك والإيمان معرفة الله تعالى وحدها. فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة، أو نار. أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر المحرمات فهو كافر برىء من الشرك، ومن جهل بالله تعالى وأنكره فهو مشرك، وتأول هؤلاء فى عثمان بن عفان مثل تأويل الرافضة فى أبى بكر، وعمر، وزعموا أن علياً هو الذى أنزل الله تعالى فيه « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام[1] ». وأن عبد الرحمن بن ملجم هو الذى أنزل فيه: « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله[2] » ثم قالوا بعد هذا كله إن الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله عز وجل، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله عز وجل، وهذا نقيض قولهم إن الفصل بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده، وأن من عرفه فقد برىء من الشرك وإن كفر بما سواه من رسول، أو جنة، أو نار، فصار قولهم فى هذا الباب متناقضا.

ذكر الحارثية منهم: هؤلاء أتباع حارث بن يزيد الإباضى[3] وهم الذين قالوا فى باب القدر بمثل قول المعتزلة وزعموا أيضا أن الاستطاعة قبل الفعل وأكفرهم سائر الإباضية فى ذلك لأن جمهورهم على قول أهل السنة فى أن الله تعالى خالق أعمال العباد، وفى أن الاستطاعة مع الفعل، وزعمت الحارثية أنه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى إلا عبد الله بن إباض وبعده حارث بن يزيد الإباضى.

ذكر أصحاب طاعة لايراد الله بها: زعم هؤلاء أنه يصح وجود طاعات كثيرة ممن لايريد الله تعالى بها. كما قال أبو الهذيل وأتباعه من القدرية، وقال أصحابنا إن ذلك لا يصح إلا فى طاعة واحدة وهو النظر الأول فإن صاحبه إذا استدل به كان مطيعا لله تعالى فى فعله

---

(١) الآية ٢٠٤ من سورة البقرة. (٢) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

(٣) يزعم الإباضية أنه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى إلا عبد الله بن إباض ثم حارث بن يزيد.

وإن لم يقصد به التقرب إلى الله تعالى لاستحالة تقربه إليه قبل معرفته فإذا عرف الله تعالى فلا يصح منه بعد معرفته طاعة منه لله تعالى إلا بعد قصده التقرب بهـــا إليه . وزعمت الإباضية كلها أن دور مخالفيهم من أهل مكة دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى عندهم واختلفوا فى النفاق على ثلاثة أقوال . فقال فريق منهم : إن النفاق براءة من الشرك والإيمان جميعاً . واحتجوا بقول الله عز وجل فى المنافقين : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا والله رءوف بالعباد(١) » . وفرقة منهم قالت : لانزيل اسم النفاق عن موضعه ولا نسمى بالنفاق غير القوم الذين سماهم الله تعالى منافقين ، ومن قال منهم بأن المنافق ليس بمشرك زعم أن المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا موحدين ، وكانوا أصحاب كبائر فكفروا وأن لم يدخلوا فى حد الشرك .

قال عبد القاهر بعد الجملة التى حكيناها عنهم شذوذ من الأقوال انفردوا بها : ـ

منها : أن فريقاً منهم زعموا أن لاحجة لله تعالى على الخلائق فى التوحيد وغيره إلا بالخبر وما يقوم مقام الخبر من إشارة وإيماء .

ومنها : أن قوماً منهم قالوا : كل من دخل فى دين الإسلام وجبت عليه الشرائع والأحكام سمعها أو عرفها أو لم يسمعها . وقال سائر الأمة لايأثم بترك مالم يقف عليه منها إلا إن ثبتت عليه الحجة فيه .

ومنها : أن قوماً منهم قالوا : بجواز أن يبعث الله تعالى إلى خلقه رسولا بلا دليل يدل على صدقه .

ومنها : أن قوماً منهم قالوا : من ورد عليه الخبر بأن الله تعالى قد حرم الخمر ، أو أن القبلة قد حولت فعليه أن يعلم أن الذى أخبره به مؤمن أو كافر وعليه أن يعلم ذلك بالخبر وليس عليه أن يعلم أن ذلك عليه بالخبر .

ومنها : قول بعضهم : ليس على الناس المشى إلى الصلاة ولا الركوب والمسير للحج . ولاشىء من الأسباب التى يتوصل بها إلى أداء الواجب . وإنما يجب عليهم فعل الطاعات الواجبة بأعيانها دون أسبابها الموصلة إليها .

ومنها : قولهم جميعا بوجوب استتابة مخالفيهم فى تنزيل أو تأويل فإن تابوا وإلا قتلوا

(١) الآية ١٤٣ من سورة النساء .

سواء كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله أو فيما لا يسع جهله . وقالوا : من زنى أو سرق أقيم عليه الحد ثم استتيب فإن تاب وإلا قتل . وقالوا : إن العالم يفنى كله إذا أفنى الله أهل التكليف ولا يجوز إلا ذلك لأنه إنما خلقه لهم . وأجازت الإباضية وقوع حكمين مختلفين في شيء واحد من وجهين، كمن دخل زرعا بغير إذن مالكه فإن الله قد نهاه عن الخروج منه إذا كان خروجه منه مفسداً للزرع وقد أمره به . وقالوا : لا يتبع المدبر في الحرب إذا كان من أهل القبلة وكان موحدا ولا نقتل منهم امرأة ولا ذرية ، وأباحوا قتل المشبهة ، واتبا مدبرهم وسبي نسائهم وذراريهم وقالوا : إن هذا كما فعله أبو بكر بأهل الردة .

وقد كان من الإباضية رجل يعرف بإبراهيم دعا قوماً من أهل مذهبه إلى داره وأمر جارية له كانت على مذهبه بشيء فأبطأت عليه فحلف ليبيعنها في الأعراب . فقال له رجل منهم اسمه ميمون[1] وليس هو صاحب الميمونية من العجاردة : كيف تبيع جارية مؤمنة إلى الكفرة ؟. فقال له ابراهيم : إن الله تعالى قد أحل البيع وقد مضى أصحابنا وهم يستحلون ذلك . فتبرأ منهم ميمون وتوقف آخرون منهم في ذلك وكتبوا بذلك إلى علمائهم فأجابوهم بأن بيعها حلال وبأنه يستتاب ميمون ، ويستتاب من توقف في إبراهيم فصاروا في هذا ثلاث فرق : إبراهيمية ، وميمونية ، وواقفة . وتبع إبراهيم على إجازة هذا البيع قوم يقال لهم الضحاكية وأجازوا نكاح المسلمة من كفار قومهم في دار التقية . فأما في دار حكمهم فلا يستحلون ذلك . وقوم منهم : توقفوا في هذه المسلمة وفي أمر الزوجة . وقالوا : إن ماتت لم نصل عليها ولم نأخذ ميراثها لأنا لا ندرى ما حالها . وتبع بعد هؤلاء الإبراهيمية قوم يقال لهم البيهسية أصحاب أبي بيهس هيصم بن عامر[2] . قالوا ، إن ميموناً كفر بأن حرم بيع الأمة في دار التقية من كفار قومنا وكفرت الواقفة بأن لم يعرفوا كفر ميمون ، وصواب إبراهيم ، وكفر إبراهيم بأن لم يتبرأ من الواقفة . قالوا : وذلك أن الوقوف ليس فيما تسع الأبدان وإنما الوقوف على الحكم بعينه ما لم يوافقه أحد فإذا وافقه أحد من المسلمين لم يسع من حضر ذلك إلا أن يعرف من عرف الحق ودان به ، ومن أظهر الباطل ودان به . ثم إن البيهسية قالت إن من واقع ذنبا لم نشهد عليه بالكفر

---

(١) قال الشهرستاني : ميمون بن خالد ، وفي شرح المواقف : ميمون بن عمران .

(٢) كان هيصم مفسدا في الأرض وقد ظهر في زمن الوليد ، وقد قتله عثمان بن حيان المري والي المدينة بعد أن قطع يديه ورجليه .

حتى يرفع إلى الوالى ويحد ولا نسميه قبل الرفع إلى الوالى مؤمناً ولا كافرا . وقال بعض البيهسية فإذا كفر الإمام كفرت الرعية . وقال بعضهم : كل شراب حلال الأصل موضوع عمن سكر منه كل ما كان منه فى السكر من ترك الصلاة ، والشتم لله عز وجل وليس فيه حد ولا كفر مادام فى سكره .

وقال قوم من البيهسية يقال لهم العوفية : السكر كفر إذا كان معه غيره من ترك الصلاة ونحوه . وافترقت العوفية من البيهسية فرقتين . فرقة قالت : من رجع عنا من دار هجرته ومن الجهاد إلى حال القعود برئنا منه . وفرقة قالت : بل نتولاه لأنه رجع إلى أمر كان مباحا له قبل هجرته إلينا . وكلا الفريقين قال : إذا كفر الإمام كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد . والإباضية والبيهسية بعد هذا مذاهب قد ذكرناها فى كتاب « الملل والنحل »(1) وفيما ذكرنا منه فى هذا الكتاب كفاية .

ذكر الشبيبية منهم : هؤلاء يعرفون بالشبيبية لانتسابهم إلى شبيب بن يزيد الشيبانى (2) المكنى بأبى الصحارى ويعرفون بالصالحية أيضا لانتسابهم إلى صالح بن مسرح الخارجى (3) وكان شبيب بن يزيد الخارجى من أصحاب صالح ثم تولى الأمر بعده على جنده وكان السبب فى ذلك أن صالح بن مسرح التميمى كان مخالفا للأزارقة ، وقد قال أنه كان صفريا وقيل إنه لم يكن صفريا ، ولا أزرقيا وكان خروجه على بشر بن مروان فى أيام ولايته على العراق من جهة أخيه عبد الملك بن مروان وبعث بشر إليه بالحارث بن عمير . وذكر المداينى أن خروج صالح كان على الحجاج بن يوسف ، وأن الحجاج بعث بالحارث بن عمير إلى قتاله وأن القتال وقع بين الفريقين على باب حصن جلولاء وانهزم صالح جريحا فلما أشرف على الموت قال لأصحابه : قد استخلفت عليكم شبيبا . وأعلم أن فيكم من هو أفقه منه ، ولكنه رجل شجاع ، مهيب فى عدوكم فليعنه الفقيه منكم بفقهه . ثم مات وبايع أتباعه شبيبا إلى أن خالف صالحا فى شىء واحد وهو : أنه مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمورهم وخرجت

(1) ليس هو كتاب الشهرستانى بل كتاب للمؤلف منه نسخة مخطوطة فى مكتبة الأوقاف ببغداد .

(2) خرج أول أمره بالموصل وبعث إليه الحجاج خمسة من قواده فكان يقتلهم واحدا بعد الآخر ثم ذهب إلى الكوفة وحاصر الحجاج . إلى أن مات غريقا فى دجيل سنة ٧٧ هـ .

(3) هو رأس الصفرية . ولما دنت وفاته أوصى إلى شبيب بن يزيد . ومات سنة ٧٦ هـ بالموصل وقبره هناك ، ولا يخرج أحد من الصفرية إلى قبره إلا وحلق رأسه هناك .

على مخالفيهم وزعموا أن غزالة أم شبيب كانت الإمام بعد قتل شبيب إلى أن قتلت واستدلوا على ذلك بأن شبيبا لما دخل الكوفة أقام أمه على منبر الكوفة حتى خطبت. وذكر أصحاب التواريخ أن شبيبا فى ابتداء أمره قصد الشام ونزل على روح بن زنباع[1] وقال له : سل أمير المؤمنين أن يفرض لى فى أهل الشرف فإن لى فى بنى شيبان تبعاً كثيراً . فسأل روح ابن زنباع عبد الملك بن مروان ذلك . فقال : هذا رجل لا أعرفه وأخشى أن يكون حروريا ، فذكر روح لشبيب أن عبد الملك بن مروان ذكر أنه لا يعرفه. فقال : سيعرفنى بعد هذا . ورجع إلى بنى شيبان وجمع من الخوارج الصالحية مقدار ألف رجل واستولى بهم على ما بين كسكر والمدائن . فبعث الحجاج إليه بعبيد بن أبى المخارق المتنبىء فى ألف فارس فهزمه شبيب . فوجه إليه بعبد الرحمن بن محمد الأشعث فهزمه شبيب. وبعث بعتاب ابن ورقاء التيمى فقتله شبيب . وما زال كذلك حتى هزم للحجاج عشرين جيشا فى مدة سنتين ثم إنه كبس الكوفة ليلا ومعه ألف من الخوارج ومعه أمه غزالة ، وامرأته جهيزة فى مائتين من نساء الخوارج قد اعتقلن الرماح وتقلدن السيوف . فلما كبس الكوفة ليلا قصد المسجد الجامع وقتل حراس المسجد والمعتكفين فيه ونصب أمه غزالة على المنبر حتى خطبت . وقال خزيمة بن فاتك الأسدى[2] فى ذلك :—

أقامت غزالة سوق الضرر ... لأهل العراقين حولا قميطا
سمت للعراقين فى جيشها ... فلاقى العراقان منها أطيطا

وصبر الحجاج لهم فى داره لأن جيشه كانوا متفرقين إلى أن اجتمع جنده إليه بعد الصبح وصلى شبيب بأصحابه فى المسجد وقرأ فى ركعتى الصبح سورتى البقرة وآل عمران ثم وافاه الحجاج فى أربعة آلاف من جنده واقتتل الفريقان فى سوق الكوفة إلى أن قتل أصحاب شبيب وانهزم شبيب فيمن بقى معه إلى الأنبار فوجه الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبى فى ثلاثة آلاف لطلب شبيب فنزل سفيان على شط الدجيل وركب شبيب جسر الدجيل ليعبر إليه وأمر سفيان أصحابه بقطع حبال الجسر فاستدار الجسر وغرق شبيب مع فرسه . وهو يقول : « ذلك تقدير العزيز العليم[3] » وبايع أصحاب شبيب فى الجانب الآخر من الدجيل غزالة أم شبيب وعقد سفيان بن الأبرد الجسر وعبر مع جنده إلى

(١) كان أميراً لفلسطين من قبل عبد الملك بن مروان توفى سنة ٨٤هـ.
(٢) شاعر مجيد ممن ذكرهم الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى .
(٣) الآية ٣٨ من سورة يس .

أولئك الخوارج وقتل أكثرهم وقتل غزالة أم شبيب وامرأته جهزة وأسر الباقين من أتباع شبيب وأمر الغواصين بإخراج شبيب من الماء وأخذ رأسه وأنفذه مع الأسرى إلى الحجاج فلما وقف الأسرى بين يدى الحجاج أمر بقتل رجل منهم قال له اسمع منى بيتين أختم بهما عملى ثم أنشأ يقول :

أبرا إلى الله من عمرو وشيعته ... ومن على ومن أصحاب صفين
ومن معاوية الطاغى وشيعته ... لا بارك الله فى القوم الملاعين

وأمر بقتله وبقتل جماعة منهم وأطلق الباقين .

قال عبد القاهر : يقال للشبيبية من الخوارج : أنكرتم على أم المؤمنين عائشة خروجها إلى البصرة مع جندها الذى كل واحد منهم محرم لها لأنها أم جميع المؤمنين فى القرآن وزعمتم أنها كفرت بذلك وتلوتم عليها قول الله تعالى « وقرن فى بيوتكن »[1] ، فهلا تلوتم هذه الآية على غزالة أم شبيب وهلا قلتم بكفرها وكفر من خرجن معها من نساء الخوارج إلى قتال جيوش الحجاج ، وإن أجزتم لهن ذلك لأنه كان معهن أزواجهن أو بنوهن أو إخوتهن فقد كان مع عائشة أخوها عبد الرحمن ، وابن اختها عبد الله بن الزبير وكل واحد منهما محرم لها . وجميع المسلمين بنوها وكل واحد محرم لها فهلا أجزتم لها ذلك . على أن من أجاز منكم إمامة غزالة فإمامتها لائقة به وبدينه والحمد لله على العصمة من البدعة .

الفصل الثالث

من فصول هذا الباب :

فى بيان مقالات فرق الضلال من القدرية المعتزلة عن الحق :

قد ذكرنا قبل هذا أن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهن : الواصلية ، والعمروية . والهذلية ، والنظامية والأسوارية ، والمعمرية ، والإسكافية ، والجعفرية ، والبشرية ، والمرادرية ، والهشامية ، والثمامية ، والجاحظية ، والخابطية ، والحمارية ، والخياطية ، وأصحاب صالح قبة ، والمريسية ، والشحامية ، والكعبية ، والجبائية والبهشمية المنسوبة إلى أبى هاشم بن الجبائى فهذه ثنتان وعشرون فرقة . فرقتان منها : من جملة فرق الغلاة فى الكفر . نذكرهما فى الباب الذى نذكر فيه فرق الغلاة وهما : الخابطية ، والحمارية . وعشرون منها قدرية محضة يجمعها كلها فى بدعتها أمور :

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

منها : نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته[1] الأزلية، وقولها بأنه ليس لله عز وجل علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر ولا صفة أزلية وزادوا على هذا بقولهم إن الله تعالى لم يكن له فى الأزل اسم ولا صفة . ومنها : قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار ، وزعموا أنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره ، واختلفوا فيه هل هو راء لغيره أم لا فأجازه قوم منهم وأباه قوم آخرون منهم .

ومنها : اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله عز وجل وحدوث أمره ونهيه وخبره ، وكلهم يزعمون أن كلام الله عز وجل حادث وأكثرهم اليوم يسمون كلامه مخلوقا . ومنها : قولهم جميعاً بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشىء من أعمال الحيوانات وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وأنه ليس لله عز وجل فى أكسابهم ولا فى أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير . ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية .

ومنها : اتفاقهم على دعواهم فى الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين وهى أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر ولأجل هذا سماهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها .

ومنها : قولهم أن كل ما لم يأمر الله تعالى به أو نهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئاً منها . وزعم الكعبى فى مقالاته أن المعتزلة اجتمعت على أن الله عز وجل شىء لا كالأشياء ، وأنه خالق الأجسام والأعراض ، وأنه خلق كل ما خلقه لا من شىء وعلى أن العباد يفعلون أعمالهم بالقدرة التى خلقها الله سبحانه وتعالى فيهم . قال : وأجمعوا على أنه لا يغفر لمرتكبى الكبائر بلا توبة . وفى هذا الفصل من كلام الكعبى غلط منه على أصحابه من وجوه :

منها : قوله أن المعتزلة اجتمعت على أن الله تعالى شىء لا كالأشياء وليست هذه الخاصية لله تعالى وحده عند جميع المعتزلة فإن الجبائى وابنه أبا هاشم قد قالا : إن كل قدرة

---

(١) الحق أن علم الله وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه ، إنما هى صفات زائدة ونعوت لله أبدية . وفى نفى هذه الصفات نفى للموصوف . انظر فى ذلك مفصلا كتاب « لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات » للإمام الرازى بتحقيقنا .

محدثة شيء لا كالأشياء ولم يخصوا ربهم بهذا المدح .

ومنها : حكايته عن جميع المعتزلة قولها : بأن الله عزوجل خالق الأجسام والأعراض وقد علم أن الأصم من المعتزلة ينفي الأعراض كلها ، وأن المعروف منهم بمعمر يزعم أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من الأعراض ، وأن ثمامة يزعم أن الأعراض المتولدة لا فاعل لها فكيف يصح دعواه إجماع المعتزلة على أن الله سبحانه خالق الأجسام والأعراض ، وفيهم من ينكر وجود الأعراض ، وفيهم من يثبت الأعراض ويزعم أن الله تعالى لم يخلق شيئاً منها . وفيهم من يزعم أن المتولدات أعراض لا فاعل لها ، والكعبي مع سائر المعتزلة زعموا أن الله تعالى لم يخلق أعمال العباد وهي أعراض عند من أثبت الأعراض . فبان غلط الكعبي في هذا الفصل على أصحابه .

ومنها : دعوى إجماع المعتزلة على أن الله خلق ما خلق لا من شيء وكيف يصح إجماعهم على ذلك . والكعبي مع سائر المعتزلة سوى الصالحي يزعمون أن الحوادث كلها كانت قبل حدوثها أشياء . والبصريون منهم يزعمون أن الجواهر والأعرض كانت في حال عدمها جواهر وأعراضا وأشياء . والواجب على هذا الفصل أن يكون الله خلق الشيء من شيء ، وإنما يصح القول بأنه خلق الشيء لا من شيء على أصول أصحابنا الصفاتية الذين أنكروا كون المعدوم شيئاً . وأما دعوى إجماع المعتزلة على أن العباد يفعلون أفاعيلهم بالقدرة التي خلقها الله تعالى فيهم(١) فغلط منه عليهم لأن معمرا منهم زعم :أن القدرة فعل الجسم القادر بها وليست من فعل الله تعالى . والأصم منهم ينفي وجود القدرة لأنه ينفي الأعراض كلها . وكذلك دعوى إجماع المعتزلة على أن الله سبحانه لا يغفر لمرتكبي الكبائر من غير توبه منهم غلط منه عليهم . لأن محمد بن شبيب البصري ، والصالحي ، والخالدي هؤلاء الثلاثة من شيوخ المعتزلة . وهم واقفية في وعيد مرتكبي الكبائر ، وقد أجازوا من الله

---

(١) ذلك هو الجبر . فالجبرية لا يثبتون للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل . وأول من ابتدع نسبة الخلق إلى المخلوق هو الجبائي من المعتزلة . وقد خلط في ذلك خلطا شديدا وقد فصل هذا الموضوع المسعودي تفصيلا مفيدا فليراجع .

تعالى مغفرة ذنوبهم من غير توبة فبان بما ذكرناه غلط الكعبي فيما حكاه عن المعتزلة وصح أن المعتزلة يجمعها ما حكيناه عنهم مما أجمعوا عليه . فأما الذين اختلفوا فيه فيما بينهم فعلى ما نذكره في تفصيل فرقهم إن شاء الله عز وجل .

ذكر الواصلية منهم : هؤلاء أتباع واصل بن عطاء الغزال[1] رأس المعتزلة وداعيهم إلى بدعتهم بعد معبد الجهني[2] ، وغيلان الدمشقي . وكان واصل من منتابي مجالس الحسن البصري في زمان فتنة الأزارقة وكان الناس يومئذ مختلفين في أصحاب الذنوب من أمة الإسلام على فرق . فرقة تزعم : أن كل مرتكب الذنب صغير أو كبير مشرك بالله . وكان هذا قول الأزارقة من الخوارج . وزعم هؤلاء أن أطفال المشركين مشركون ولذلك استحلوا قتل أطفال مخالفيهم وقتل نسائهم سواء كانوا من أمة الإسلام أو من غيرهم . وكانت الصفرية من الخوارج يقولون في مرتكبي الذنوب بأنهم كفرة مشركون كما قالته الأزارقة غير أنهم خالفوا الأزارقة في الأطفال . وزعمت النجدات من الخوارج أن صاحب الذنب الذي أجمعت الأمة على تحريمه كافر مشرك ، وصاحب الذنب الذي اختلفت الأمة فيه حكم على اجتهاد أهل الفقه فيه وعذروا مرتكب ما لا يعلم بجهالة تحريمه إلى أن تقوم الحجة عليه فيه . وكانت الإباضية من الخوارج يقولون : إن مرتكب ما فيه الوعيد مع معرفته بالله عز وجل وبما جاء من عنده كافر كفران نعمة ، وليس بكافر كفر شرك . وزعم قوم من أهل ذلك العصر أن صاحب الكبيرة من هذه الأمة منافق . والمنافق شر من الكافر المظهر لكفره . وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون : إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمن لما فيه من معرفته بالرسل والكتب المنزلة من الله تعالى ، ولمعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حق ولكنه فاسق بكبيرته ، وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان والإسلام ، وعلى هذا القول الخامس مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام

---

(١) أبو الجعد واصل بن عطاء الغزال . وسمي كذلك لأنه كان يجلس في سوق الغزالين عند صديق له اسمه أبو عبد الله الغزال ليعرف المتعففات من النساء ليدفع إليهن صدقتهن .

(٢) قيل أن معبد الجهني أخذ القول بالقدر عن رجل عراقي كان نصرانياً ثم أسلم ثم ارتد ثانية إلى النصرانية فأخذ عنه معبد

التابعين فلما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز واختلف الناس عند ذلك فى أصحاب الذنوب على الوجوه الخمسة التى ذكرناها خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لامؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتى الكفر والإيمان ، فلما سمع الحسن البصرى من واصل بدعته هذه التى خالف بها أقوال الفرق قبله طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية من سوارى مسجد البصرة وانضم إليه قرينه فى الضلالة عمرو بن عبيد بن باب كعبد صريخه أمه فقال الناس يومئذ فيهما أنهما قد اعتزلا قول الأمة وسمى أتباعهما من يومئذ معتزلة(١) . ثم إنهما أظهرا بدعتهما فى المنزلة بين المنزلتين وضما إليها دعوة الناس إلى قول القدرية على رأى معبد الجهنى . فقال الناس يومئذ لواصل إنه مع كفره قدرى وجرى المثل بذلك فى كل كافر قدرى . ثم إن واصلا وعمراً وافقا الخوارج فى تأبيد عقاب صاحب الكبيرة فى النار مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر . ولهذا قيل للمعتزلة إنهم مخانيث الخوارج لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود فى النار سموهم كفرة وحاربوهم . والمعتزلة رأت لهم الخلود فى النار ولم تجسر على تسميتهم كفرة ولا جسرت على قتال أهل فرقة منهم فضلا عن قتال جمهور مخالفيهم ولهذا نسب إسحاق بن سويد العدوى واصلا ، وعمرو بن عبيد إلى الخوارج لاتفاقهم على تأبيد عقاب أصحاب الذنوب فقال فى بعض قصائده :

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا علياً يردون السلام على السحاب

ثم إن واصلا فارق السلف ببدعة ثالثة . وذلك أنه وجد أهل عصره مختلفين فى على وأصحابه ، وفى طلحة ، والزبير ، وعائشة ، وسائر أصحاب الجمل . فزعمت الخوارج أن

---

(١) قيل إن السبب فى تسميتهم بالمعتزلة . ماورد من أن واصلا لما اختلف مع الحسن البصرى وقال إنه : يرى أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين منزلتى الكفر والإيمان ، وأنه ليس بالكافر المطلق ولا بالمؤمن المطلق . وجلس واصل إلى سارية من سوارى مسجد البصرة ليقرر هذا الرأى . فقال الحسن : « اعتزلنا واصل » ومن هنا سموا المعتزلة . وقيل إن هذه التسمية كانت تطلق على الجماعة الذين اعتزلوا فريقى على ومعاوية وفى الطبرى : أن قيس ابن سعد كتب إلى على يقول : إن قبلى رجالا معتزلين . وقد سألونى أن أكف عنهم وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس . وقيل إن السبب هو أنهم اعتزلوا الحرب بين الفريقين : الخوارج ، أهل السنة . انظر المقريزى وابن خلكان .

طلحة ، والزبير ، وعائشة وأتباعهم يوم الجمل كفروا بقتالهم علياً وأن علياً كان على الحق فى قتال أصحاب الجمل وفى قتال أصحاب معاوية بصفين إلى وقت التحكيم ثم كفر بالتحكيم وكان أهل السنة والجماعة يقولون بصحة إسلام الفريقين فى حرب الجمل. وقالوا إن علياً كان على الحق فى قتالهم. وأصحاب الجمل كانوا عصاة مخطئين فى قتال على ولم يكن خطؤهم كفراً ولا فسقاً يسقط شهادتهم وأجازوا الحكم بشهادة عدلين من كل فرقة من الفريقين وخرج واصل عن قول الفريقين وزعم أن فرقة من الفريقين فسقة لا بأعيانهم وأنه لا يعرف الفسقة منهما وأجازوا أن يكون الفسقة من الفريقين علياً وأتباعه كالحسن، والحسين، وابن عباس ، وعمار[1] بن ياسر. وأبى أيوب الأنصارى وسائر من كان مع على يوم الجمل وأجازكون الفسقة من الفريقين عائشة، وطلحة، والزبير، وسائر أصحاب الجمل ثم قال فى تحقيق شكه فى الفريقين لو شهد على وطلحة أو على والزبير أو رجل من أصحاب على ورجل من أصحاب الجمل عندى على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما لعلمى بأن أحدهما فاسق لا بعينه كما لا أحكم بشهادة المتلاعنين لعلمى بأن أحدهما فاسق لا بعينه. ولو شهد رجلان من أحد الفريقين أيهما كان قبلت شهادتهما .

ولقد سخنت عيون الرافضة القائلين بالاعتزال بشك شيخ المعتزلة فى عدالة على وأتباعه ومقالة واصل فى الجملة كما قلنا فى بعض أشعارنا :

مقالة ماوصلت بواصل بل قطع الله به أوصالها

وسنذكر تمام أبيات هذه القصيدة بعد هذا إن شاء الله عز وجل .

ذكر العمروية منهم : هؤلاء أتباع عمرو بن عبيد بن باب مولى بنى تميم وكان جده من سبى كابل وماظهرت البدع والضلالات فى الأديان إلا من أبناء السبايا كما روى فى الخبر .وقد شارك عمرو واصلا فى بدعة القدر وفى ضلالة قولهما بالمنزلة بين المنزلتين وفى ردهما شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب على . وزاد عمرو على واصل فى هذه البدعة فقال : بفسق كلتا الفرقتين المتقاتلين يوم الجمل . وذلك أن واصلا إنما رد شهادة رجلين أحدهما : من أصحاب الجمل ، والآخر من أصحاب على رضى الله عنه وقبل شهادة رجلين كلاهما من أحد الفريقين . وزعم عمرو أن شهادتهما مردودة وإن كانا من فريق واحد لأنه قال بفسق الفريقين جميعاً. وقد افترقت القدرية بعد واصل وعمرو فى

---

(١) أبو اليقظان عمار بن ياسر أحد السابقين للإسلام وممن عذبوا فى سبيل الله ولاه عمر الصلاة بالكوفة . وشهد صفين مع على وقتل سنة ٣٧ هـ .

هذه المسألة . فقال النظام ، ومعمر ، والجاحظ فى فريقى يوم الجمل بقول واصل . وقال حوشب وهاشم الاوقص : نجت القادة وهلكت الأتباع وقال أهل السنة والجماعة بتصويب على وأتباعه يوم الجمل وقالوا : إن الزبير رجع عن القتال يومئذ تائبا فلما بلغ وادى السباع قتله بها عمرو بن جرموز غرة وبشر على قاتله بالنار . وهم طلحة بالرجوع فرماه مروان ابن الحكم - وكان مع أصحاب الجمل - بسهم فقتله . وعائشة رضى الله عنها قصدت الإصلاح بين الفريقين فغلبها بنو أزد ، وبنو ضبة على أمرها حتى كان من الأمر ما كان . ومن قال بتكفير الفريقين أو أحدهما فهو الكافر دونهم . هذا قول أهل السنة فيهم والحمد لله على ذلك.

ذكر الهذلية منهم : هؤلاء أتباع أبى الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف [1] .

كان مولى لعبد القيس وقد جرى على منهاج أبناء السبايا لظهور أكثر البدع منهم وفضائحه تترى تكفره فيها سائر فرق الأمة من أصحابه فى الاعتزال ومن غيرهم . وللمعروف بالمردار من المعتزلة كتاب كبير فيه فضائح أبى الهذيل وفى تكفيره بما انفرد به من ضلالاته . وللجبائى أيضاً كتاب فى الرد على أبى الهذيل فى المخلوق ويكفره فيه . ولجعفر بن حرب المشهور فى زعماء المعتزلة أيضا كتاب سماه توبيخ أبى الهذيل وأشار بتكفير أبى الهذيل وذكر فيه أن قوله يجر إلى قول الدهرية .

فمن فضائح أبى الهذيل قوله: بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادرا على شىء . ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ويبقى حينئذ أهل الجنة وأهل النار خامدين لا يقدرون على شىء ولا يقدر الله عز وجل فى تلك الحال على إحياء ميت ، ولا على إماتة حى ، ولا على تحريك ساكن ، ولا على تسكين متحرك ، ولا على إحداث شىء ولا على إفناء شىء مع صحة عقول الأحياء فى ذلك الوقت . وقوله فى هذا الباب شر من قول من قال بفناء الجنة والنار كما ذهب إليه جهم . لأن جهما وإن قال بفنائهما فقد قال بأن الله عز وجل قادر بعد فنائهما على أن يخلق أمثالهما . وأبو الهذيل يزعم أن ربه لا يقدر بعد فناء مقدوراته على شىء ، وقد شنع المعروف منهم بالمردار على أبى الهذيل فى هـــذه

---

(١) شيخ المعتزلة ومقدمهم . أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء . وقيل له العلاف لأن داره بالبصرة كانت فى العلافين . وكان فى الجدل ليس له نظير. وقد حاول الخياط تبرئته من كثير مما رماه به ابن الراوندى : والحق أن العلاف وإن لم يكن له منهج على خاص يسير عليه إلا أنه وضع كثيرا من الآراء التى ساعدت على تكوين علم الكلام وقد مات سنة ٢٢٧ هـ وقيل سنة ٢٣٥ .

المسألة فقال : يلزمه إذا كان ولى الله عز وجل فى الجنة قد تناول بإحدى يديه الكأس وبالأخرى بعض التحف ثم حضر وقت السكون الدائم أن يبقى ولى الله عز وجل أبداً على هيئة المصلوب . وقد اعتذر أبو الحسين الخياط عن أبى الهذيل فى هذا الباب باعتذارين .

أحدهما : دعواه أن أبا الهذيل أشار إلى أن الله عزوجل عند قرب انتهاء مقدوراته يجمع فى أهل الجنة اللذات كلها فيبقون على ذلك فى سكون دائم . واعتذاره الثانى : دعواه أن أبا الهذيل أنه كان يقول هذا القول مجادلا به خصمه فى البحث عن جوابه ، واعتذاره الأول عنه باطل من وجهين :

أحدهما : أنه يوجب اجتماع لذتين متضادتين فى محل واحد فى وقت واحد وذلك محال كاستحالة اجتماع لذة وألم فى محل واحد.

والوجه الثانى : أن هذا الاعتذار لو صح لوجب أن يكون أهل الجنة بعد فناء مقدورات الله عز وجل أحسن من حالهم فى حال كونه قادراً . وأما دعواه أن أبا الهذيل إنما قال بفناء المقدورات مجادلا به غير معتقد لذلك فالفاصل بيننا وبين المعتذر عنه كتب أبى الهذيل، وأشار فى كتابه الذى سماه « بالحجج » إلى ما حكيناه عنه . وذكر فى كتابه المعروف بكتاب « القوالب » باباً فى الرد على الدهرية وذكر فيه قولهم للموحدين : إذا جاز أن يكون بعد كل حركة حركة سواها لا إلى آخر ، وبعد كل حادث حادث آخر لا إلى غاية فهلا صح قول من زعم أن لا حركة إلا وقبلها حركة ، ولا حادث إلا وقبله حادث لا عن أول ولا حالة قبله . وأجاب عن هذا الإلزام بتسويته بينهما وقال : كما أن الحوادث لها ابتداء لم يكن قبلها حادث كذلك لها آخر لا يكون بعده حادث . ولأجل هذا قال بفناء مقدورات الله عز وجل . وسائر المتكلمين من أصناف فرق الإسلام فرقوا بين الحوادث الماضية والحوادث المستقبلة بفروق واضحة لم يهتد إليها أبو الهذيل فارتكب لأجل جهله بها قوله بفناء المقدورات، وقد ذكرنا تلك الفروق الواضحة فى باب الدلالة على حدوث العالم فى كتبنا المؤلفة فى ذلك .

والفضيحة الثانية : من فضائح أبى الهذيل قوله بأن أهل الآخرة مضطرون إلى ما يكون منهم ، وأن أهل الجنة مضطرون إلى أكلهم ، وشربهم ، وجماعهم وأن أهل النار مضطرون إلى أقوالهم، وليس لأحد فى الآخرة من الخلق قدرة على اكتساب فعل ولا على اكتساب قول ، والله عز وجل خالق أقوالهم وحركاتهم وسائر ما يوصفون به . وكانت القدرية يعيبون جهما فى قوله إن العباد فى الدنيا مضطرون إلى ما يكون منهم، وينكرون على أصحابنا

قولهم بأن الله عز وجل خالق أكساب العباد ويقولون لأصحابنا : إذا كان هو خالق ظلم العباد وجب أن يكون ظالما ، وإذا خلق كذب الإنسان وجب أن يكون كاذبا . فهلا قالوا لأبى الهذيل . إذا قلت إن الله عز وجل يخلق فى الآخرة كذب أهل النار فى قولهم : « والله ربنا ما كنا مشركين [1] » . وجب إن يكون هو الكاذب بهذا القول إن كان الكاذب عندهم من خلق الكذب . ولا يتوجه علينا هذا الإلزام لأنا لا نقول إن الكاذب والظالم من خلق الكذب والظلم . ولكنا نقول : إن الظالم من قام به الظلم ، والكاذب من قام به الكذب لا من فعله . وقد اعتذر الخياط من أبى الهذيل فى بدعته هذه بأن قال : إن الآخرة دار جزاء وليست بدار تكليف فلو كان أهل الآخرة مكتسبين لأعمالهم لكانوا مكلفين ولوقع ثوابهم وعقابهم فى دار سواها . فيقال للخياط هل ترضى بهذا الاعتذار من أبى الهذيل أم تسخطه ؟ فإن رضيته فقل فيه بمثل قوله وذلك خلاف قولك ، وإن سخطته فلا معنى لاعتذارك عنه فى شىء تكفر فيه . وقلنا لأبى الهذيل : ما تنكر من كون أهل الآخرة مكتسبين لأعمالهم وإن يكونوا فيها مأمورين للشكر لله عز وجل على نعمه ولا يكونوا مأمورين بصلاة ، ولا زكاة ، ولا صيام ولا يكونوا منتهين عن المعاصى ويكون ثوابهم على الشكر وترك المعصية دوام النعيم عليهم وما أنكرت عليهم من أنهم يكونون فى الآخرة منهيين عن المعاصى ومعصومين منها كما قال أصحابنا مع أكثر الشيعة . إن الأنبياء عليهم السلام كانوا فى الدنيا منتهين عن المعاصى ومعصومين عنها ، وكذلك الملائكة منتهون عن المعاصى ومعصومون عنها . ولذلك قال الله عز وجل فيهم : « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون [2] » .

والفضيحة الثالثة من فضائحه : قوله بطاعات كثيرة لا يراد الله عز وجل بها كما ذهب إليه قوم من الخوارج الإباضية . وقد زعم أن ليس فى الأرض صاحب هوى ولا زنديق إلا وهو مطيع لله تعالى فى أشياء كثيرة وإن عصاه من جهة كفره . وقال أهل السنة والجماعة : إن الطاعة لله عز وجل ممن لا يعرفه إنما تصح فى شىء واحد وهو النظر والاستدلال الواجب عليه قبل وصوله إلى معرفة الله تعالى فإن يفعل ذلك يكن مطيعا لله تعالى لأنه قد أمره به . وإن لم يكن قصد بفعله لذلك النظر الأول التقرب به إلى الله عز وجل . ولا تصح منه طاعة لله تعالى سواها إلا إذا قصد بها التقرب إليه لأنه يمكنه ذلك إذا توصل

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٦ من سورة التحريم

بالنظر الأول إلى معرفة الله تعالى ولا يمكنه فعل النظر الأول لتقرب به إليه إذا لم يكن عارفاً به قبل نظره واستدلاله . واستدل أبو الهذيل على دعواه صحة وقوع طاعات الله تعالى ممن لا يعرفه بأن قال : إن أوامر الله تعالى بإزائها زواجر . فلو كان من لا يعرف فعل ترك جميع أوامره وجب أن يكون قد صار إلى جميع زواجره وأن يكون من ترك جميع الطاعات قد صار إلى جميع المعاصي . ولو كان كذلك لصار الدهرى يهوديا ، ونصرانياً ومجوسياً وعلى أديان سائر الكفرة . وإذا صار المجوسى تاركا لكل كفر سوى المجوسية علمنا أنه عاص بمجوسيته التى قد نهى عنها ومطيع لله عز وجل بترك ماتركه من أنواع الكفر لأنه مأمور بتركها . فقلت له ليس الأمر فى أوامر الله تعالى وزواجره على ماظننته ولكن لا خصلة من الطاعة إلا ويضادها معاص متضادة ولا خصلة من الإيمان إلا ويضادها خصال متضادة كل نوع منها يضاد النوع الآخر كما يضادها الطاعة وذلك بمنزلة القيام ، والقعود ، والاضطجاع ، والاستلقاء . وقد يخرج عن القعود من لا يصير إلى جميع أضداده وإنما يخرج من القعود بنوع واحد من أضداده، كذلك يخرج عن كل طاعة لله تعالى بنوع واحد من الكفر المضاد للطاعات كلها : لأن ذلك النوع من الكفر يضاد نوعا آخر من الكفر كما يضاد سائر الطاعات وهذا واضح فى نفسه وإن جهله أبو الهذيل .

والفضيحة الرابعة من فضائحه : قوله بأن علم الله سبحانه وتعالى هو الله، وقدرته هى هو ويلزمه على هذا القول أن يكون الله تعالى علماً وقدرة . ولو كان هو علما وقدرة لاستحال أن يكون عالما قادراً . لأن العلم لا يكون عالما ، والقدرة لا تكون قادرة. ويلزمه أيضا إذا قال إن علم الله هو الله ، وقدرته هى هو ، أن يقول : إن علمه هو قدرته ولو كان علمه قدرته لوجب أن يكون كل معلوم له مقدورا له . وهذا يوجب أن يكون رأيه مقدورا له . لأنه معلوم له وهذا كفر فما يؤدى إليه مثله .

والفضيحة الخامسة : تقسيمه كلام الله عز وجل إلى مايحتاج إلى محل وإلى ما لا يحتاج إلى محل . وقد زعم أن قول الله سبحانه للشىء كن حادث لا فى محل ، وسائر كلامه حادث فى جسم من الأجسام وكل كلامه عنده أعراض . وقد زعم أن قوله للشىء كن من جنس قول الإنسان كن فغرق بين عرضين من جنس واحد فى حاجة أحدهما إلى محل واستغناء الآخر عن المحل . فأما قوله بحدوث إرادة الله سبحانه لا فى محل . فقد شاركه فيه المعتزلة البصرية مع قولهم بأنها من جنس إرادتنا المفتقرة إلى المحل ووجود كلمة لا فى محل يوجب أن لا يكون بعض المتكلمين أولى بأن يتكلم بها من بعض . وليس لأبى الهذيل

أن يقول إن فاعلها أولى بأن يتكلم بها من غيره لأنه قد قال بأن الله تعالى يخلق فى الآخرة كلام أهل الجنة وكلام أهل النار ولا يكون متكلما بكلامهم فقد أداه قوله بوجود كلمة لا فى محل إلى تصحيح كلام لا لمتكلم وهذا محال فما يؤدى إليه مثله .

والفضيحة السادسة من فضائحه : قوله إن الحجة من طريق الإخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفسا فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر ولم يوجب بأخبار الكفرة والفسقة حجة وإن بلغوا عدد التواتر الذين لا يمكن تواطؤهم على الكذب إذا لم يكن فيهم واحد من أهل الجنة . وزعم أن خبر مادون الأربعة لا يوجب حكما ومن فوق الأربعة إلى العشرين قد يصح وقوع العلم بخبرهم وقد لا يقع العلم بخبرهم . وخبر العشرين إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة يجب وقوع العلم منه لا محالة . واستدل على أن العشرين حجة بقول الله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين[1] » وقال : لم يبح لهم قتالهم إلا وهم عليهم حجة . وهذا يوجب عليه أن يكون خبر الواحد حجة موجبة للعلم لأن الواحد فى ذلك الوقت كان له قتال العشرة من المشركين فيكون جواز قتاله لهم دليلا على كونه حجة عليهم .

قال عبد القاهر : ما أراد أبو الهذيل باعتبار عشرين فى الحجة من جهة الخبر إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة إلا تعطيل الأخبار الواردة فى الأحكام الشرعية عن فوائدها لأنه أراد بقوله ينبغى أن يكون فيهم واحد من أهل الجنة : واحد يكون على بدعته فى الاعتزال والقدر وفى فناء مقدورات الله عز وجل لأن من لم يقل بذلك لا يكون عنده مؤمنا ولا من أهل الجنة . ولم يقل قبل أبى الهذيل أحد ببدعة أبى الهذيل حتى تكون روايته فى جملة العشرين على شرطه .

الفضيحة السابعة : أنه فرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح فقال : لا يجوز وجود أفعال القلوب من الفاعل مع قدرته عليه ولا مع موته وأجاز وجود أفعال الجوارح من الفاعل منا بعد موته وبعد عدم قدرته إن كان حيا لم يمت وزعم أن الميت والعاجز يجوز أن يكونا فاعلين لأفعال الجوارح بالقدرة التى كانت موجودة قبل الموت والعجز . وزعم الجبائى وابنه أبو هاشم أن أفعال القلوب فى هذا الباب كأفعال الجوارح فى أنه يصح وجودها بعد فناء القدرة عليها ومع وجود العجز عنها وقول الجبائى وابنه فى هذا الباب

---

(١) الآية ٦٥ من سورة الأنفال

أشر ن قول أبى الهذيل غير أن أبا الهذيل سبق إلى القول بإجازة كون الميت والعاجز فاعلين لأفعال الجوارح . ونسج الجبائى وابنه على منواله فى هذه البدعة وقاسا عليه إجازة كون العاجز فاعلا لأفعال القلب ، ومؤسس البدعة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير نقصان يدخل فى وزن العاملين بها .

الفضيحة الثامنة من فضائحه : أنه لما وقف على اختلاف الناس فى المعارف هل هى ضرورية أم اكتسابية ترك قول من زعم أنها كلها ضرورية وقول من زعم أنها كلها كسبية وقول من قال إن المعلوم منها بالحواس والبداهة ضرورية ، وما علم منها بالاستدلال اكتسابية . واختار لنفسه قولاً خارجاً عن أقوال السلف فقال : المعارف ضربان : —

أحدهما : باضطرار وهو معرفة الله عز وجل ومعرفة الدليل الداعى إلى معرفته وما بعدها من العلوم الواقعة عن الحواس أو القياس فهو علم اختيار واكتساب . ثم إنه بنى على ذلك قوله فى مهلة المعرفة تخالف فيها سائر الأمة فقال فى الطفل . إنه يلزم فى الحال الثانية من حال معرفته بنفسه أن يأتى بجميع معارف التوحيد والعدل بلا فصل . وكذلك عليه أن يأتى مع معرفته بتوحيد الله سبحانه وعدله بمعرفة جميع ماكلفه الله تعالى بفعله حتى أنه إن لم يأت بذلك كله فى الحال الثانية من معرفته بنفسه ومات فى الحال الثالثة مات كافراً وعدواً لله تعالى مستحقاً للخلود فى النار . وأما معرفته بما لا يعرف إلا بالسمع من جهة الأخبار فعليه أن يأتى بمعرفة ذلك فى الحال الثانية من سماعه للخبر الذى يكون حجة قاطعة للعذر . وكان بشر بن المعتمر[1] يقول : عليه أن يأتى بالمعارف العقلية فى الحال الثالثة مع معرفته بنفسه لأن الحال الثانية حال نظر وفكر فإن لم يأت بها فى الحال الثالثة ، ومات فى الحال الرابعة كان عدواً لله تعالى مستحقاً للخلود فى النار . فهذان القدريان اللذان أنكرا على الأزارقة قولهما بأن أطفال مخالفيهم فى النار ، وعلى من زعم أن أطفال المشركين فى النار قد زعما أن أطفال المؤمنين إذا ماتوا فى حال الثالثة أو الرابعة من معرفتهم بأنفسهم قبل إتيانهم بالمعارف العقلية كفرة مخلدون فى النار من غير كفر اعتقدوه .

---

(١) أخذ الاعتزال عن عمرو بن عبيد وبشر بن سعيد عن واصل بن عطاء . وله أربعون ألف بيت من الأراجيز فى مذهبه . وقد حبسه الرشيد وقيل له : إن مايقوله فى سجنه من الشعر يذيع بين الناس وفيه الضرر الشديد فأطلقه الرشيد . وهو الذى نشر الاعتزال ببغداد سنة ٢١٠ هـ .

الفضيحة التاسعة من فضائحه : أنه أجاز حركة الجسم الكثير الأجزاء بحركة تحل فى بعض أجزائه ولم يجز مثل هذا فى اللون. وقال سائر المتكلمين إن الجزء الذى قامت به الحركة هو المتحرك بها دون غيره من أجزاء الجملة كما أن الجزء الذى يقوم به السواد هو الأسود به دون غيره من أجزاء الجملة وإن تحركت الجملة كان فى كل جزء منها حركة كما لو اسودت الجملة كان فى كل جزء منها سواد .

الفضيحة العاشرة من فضائحه : قوله بأن الجزء الذى لا يتجزأ لا يصح قيام اللون به إذا كان منفرداً ولا تصح رؤيته إذا لم يكن فيه لون . وهذا يوجب عليه أن الله تعالى لو خلق جزءاً منفرداً لم يكن رائيا له

والحمد لله الذى أنقذ أهل السنة من البدع التى حكيناها فى هذا الباب عن أبى الهذيل .

ذكر النظامية منهم : هؤلاء أتباع أبى إسحاق بن سيار المعروف بالنظام(١) . والمعتزلة يموهون على الأغمار بدينه ويوهمون أنه كان نظاما للكلام المنثور والشعر الموزون وإنما كان ينظم الخرز فى سوق البصرة ولأجل ذلك قيل له النظام وكان فى زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنوية ، وقوما من السمنية القائلين بتكافؤ الأدلة ، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة . ثم خالط هشام بن الحكم الرافضى فأخذ عن هشام وعن ملحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذى لا يتجزأ ثم بنى عليه قوله بالطفرة التى لم يسبق إليها وهم أحد قبله وأخذ من الثنوية قوله بأن فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور والكذب وأخذ عن هشام ابن الحكم أيضا قوله بأن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات أجسام وبنى على هذه البدعة قوله بتداخل الأجسام فى حيز واحد ، ودون مذاهب الثنوية وبدع الفلاسفة وشبه الملحدة فى دين الإسلام ، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف فأنكر إعجاز القرآن فى نظمه . وأنكر ماروى فى معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم من انشقاق القمر ، وتسبيح الحصا فى يده ، ونبوع الماء من بين أصابعه ليتوصل بإنكار معجزات نبينا عليه السلام إلى إنكار نبوته . ثم أنه استثقل أحكام شريعة الإسلام فى فروعها ولم يجسر على إظهار رفعها فأبطل الطرق الدالة عليها فأنكر

---

(١) ابن أخت أبى الهذيل العلاف ومنه أخذ الاعتزال . وهو شيخ الجاحظ . معدود من أذكياء المعتزلة . قرر مذهب الفلاسفة فى القدر وتبعه خلق . فقد قرأ الكثير من كتب الفلاسفة الطبيعيين والإلهيين . وتوفى سنة ٢٣١ هـ .

لأجل ذلك صحة الإجماع وحجة القياس فى الفروع الشرعية ، وأنكر الحجة من الأخبار التى لا توجب العلم الضرورى ثم إنه علم إجماع الصحابة على الاجتهاد فى الفروع الشرعية فذكرهم بما يقرؤه غدا فى صحيفة مخازيه . وطعن فى فتاوى أعلام الصحابة رضى الله عنهم ، وجميع فرق الأمة من فريقى الرأى والحديث مع الخوارج ، والشيعة ، والنجارية . وأكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام وإنما تبعه فى ضلالته شرذمة من القدرية ، كالأسوارى ، وابن خابط ، وفضل الحدثى ، والجاحظ مع مخالفة كل واحد منهم له فى بعض ضلالاته وزيادة بعضهم عليه فيها وإعجاب هؤلاء النفر اليسير به كإعجاب الجعل بدحروجته . وقد قال بتكفيره أكثر شيوخ المعتزلة منهم : أبو الهذيل فإنه قال بتكفيره فى كتابه المعروف بالرد على النظام ، وفى كتابه عليه فى الاعراض ، والإنسان والجزء الذى لا يتجزأ . ومنهم الجبائى كفر النظام فى قوله أن المتولدات من أفعال الله بإيجاب الخلقة . والجبائى فى هذا الباب هو الكافر دون غيره غير أنا أردنا أن نذكر تكفير شيوخ المعتزلة بعضها بعضا . وكفره الجبائى فى إحالته قدرة الله تعالى على الظلم وكفره فى قوله بالطبائع وله فى ذلك كتاب عليه وعلى معمر فى الطبائع . ومنهم الإسكافى له كتاب على النظام كفره فيه فى أكثر مذاهبه . ومنهم جعفر بن حرب[1] صنف كتابا فى تكفير النظام بإبطاله الجزء الذى لا يتجزأ . وأما كتب أهل السنة والجماعة فى تكفيره فالله يحصيها . ولشيخنا أبى الحسن الأشعرى رحمه الله فى تكفير النظام ثلاثة كتب . وللقلانسى عليه كتب ورسائل ، وللقاضى أبى بكر محمد بن أبى الطيب الأشعرى رحمه الله كتاب كبير فى بعض أصول النظام وقد أشار إلى ضلالاته فى كتاب « إكفار المتأولين » ونحن نذكر فى هذا الكتاب ما هو المشهور من فضائح النظام :

فأولها : قوله بأن الله عز وجل لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ، ولا يقدر على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمهم صلاح لهم . والنقصان مما فيه الصلاح ظلم عنده ، ولا يقدر أن يزيد فى عذاب أهل النار ذرة ولا على أن ينقص من عذابهم شيئا . وزعم أيضا أن الله تعالى لا يقدر على أن يخرج أحداً من أهل الجنة عنها ولا يقدر على أن يلقى فى النار من ليس من أهل النار .

وقال لو وقف طفل على شفير جهنم لم يكن الله قادرا على إلقائه فيها وقدر الطفل على

---

(١) زعم المعتزلة أنه كان واحد دهره فى العلم والصدق والورع . وله كتب كثيرة فى الجلى وفى الدقيق من الكلام . وقد اعتزل الناس فى آخر أيامه وتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

القاء نفسه فيها ، وقدرت الزبانية أيضاً على القائه فيها . ثم زاد على هذا بأن قال إن الله تعالى لا يقدر على أن يعمى بصيراً أو يزمن صحيحاً ، أو يفقر غنيا ، إذا علم أن البصر والصحة والغنى أصلح لهم . وكذلك لا يقدر على أن يغنى فقيراً أو يصحح زمنا إذا علم أن المرض والزمانة والفقر أصلح لهم . ثم زاد على هذا أن قال إنه لا يقدر على أن يخلق حية ، أو عقربا أو جسما يعلم أن خلق غيره أصلح من خلقه . وقد أكفرته البصرية من المعتزلة فى هـذا القول وقالوا : إن القادر على العدل يجب أن يكون قادراً على الظلم ، والقادر على الصدق يجب أن يكون قادراً على الكذب وإن لم يفعل الظلم والكذب لقبحهما ، ولغناه عنهما ولعلمه بغناه عنهما لأن القدرة على الشيء يجب أن تكون قدرة على ضده . فإذا قال النظام إن الله تعالى لا يقدر على الظلم والكذب لزمه أن لا يكون قادراً على الصدق والعدل. والقول بأنه لا يقدر على العدل كفر فما يؤدى إليه مثله . وقالوا أيضاً لا فرق بين قول النظام إنه يكون من الله تعالى مالا يقدر على ضده ولا على تركه وبين قول من زعم أنه مطبوع على فعل لا يصح منه خلافه وهذا كفر فما يؤدى إليه مثله . ومن عجائب النظام فى هذه المسألة أنه صنف كتابا عن الثنوية ، وتعجب فيه من قول المانوية بأن النور يمدح فى أشكاله المختلفة بفعل الخير وهى لا تقدر على الشر ولا يصح منها فعل الشر وتعجب من ذم الثنوية الظلمة على فعل الشر مع قولها بأن الظلمة لا تستطيع فعل الخير ولا تقدر إلا على الشر . فيقال له : إذا كان الله عندك مشكوراً على فعل العدل والصدق وهو غير قادر على فعل الظلم والكذب فما وجه إنكارك على الثنوية فى ذم الظلمة على الشر وهى عندهم لا تقدر على خلاف ذلك .

الفضيحة الثانية من فضائحه : قوله إن الإنسان هو الروح وهو جسم لطيف متداخل لهذا الجسم الكثيف ، مع قوله بأن الروح هى الحياة المشابكة لهذا الجسد . وقد زعم أنه فى الجسد على سبيل المداخلة ، وأنه جوهر واحد غير مختلف ولا متضاد . وفى قوله هذا فضائح له :

منها : إن الإنسان على هذا القول لا يرى على الحقيقة وإنما يرى الجسد الذى فيه الإنسان.

ومنها : أنه يوجه أن الصحابة ما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما رأوا قالبا فيه الرسول .

ومنها : أنه يوجب أن لا يكون أحد قد رأى أباه وأمه وإنما رأى قالبيهما .

ومنها : أنه إذا قال فى الإنسان إنه ليس هو الجسد الظاهر وإنما هو روح متداخل

الجسد لزمه أن يقول فى الجماد أيضا إنه ليس هو جسده وإنما هو روح فى جسده وهو الحياة المتشابكة للجسد : وكذلك القول فى الفرس . وسائر البهائم ، وجميع الطيور والحشرات ، وأصناف الحيوانات . وكذلك القول فى الملائكة ، والجن ، والإنس ، والشياطين . وهذا يوجب أن أحداً ما رأى حماراً ، ولا فرسا ، ولا طيراً ، ولا نوعا من الحيوان . ويوجب أيضا أن لا يكون النبي رأى ملكا ، ويوجب أن الملائكة لا يرى بعضهم بعضاً وإنما رأى الراؤون قوالب هذه الأشياء التى ذكرناها .

ومنها : أنه إذا قال إن الروح التى فى الجسد هي الإنسان وهى الفاعلة دون الجسد الذى هو قالبه لزمه أن يقول إن الروح هى الزانية ، والسارقة ، والقاتلة فإذا جلد الجسد وقطعت يده صار المقطوع غير السارق ، والمجلود غير الزانى وفى هذا غنى ، ويقول الله عز وجل : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة[1] » وقوله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما[2] جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » وكفا بعناد القرآن خزيا .

الفضيحة الثالثة من فضائحه : قوله بأن الروح التى هى الإنسان بزعمه مستطيع بنفسه حى بنفسه وإنما يعجز لآفة تدخل عليه ، والعجز عنده جسم ولا يخلو من أن يقول فى العاجز والميت إنهما نفس الإنسان الذى يكون حياً قادرا ، أو يقول إن الميت العاجز جسده . فإن قال : إن الإنسان هو الذى يعجز ويموت أبطل قوله بأن الإنسان حى بنفسه ، ومستطيع بنفسه لوجود نفسه فى حال موته ، وعجزه ميتة أو عاجزة . وإن زعم أن الروح هى قوى بنفسه وأن الجسد هو الذى يموت ويعجز غير الذى كان حياً قادرا ويجب على هذا القول أن لا يكون الله تعالى قادرا على إحياء ميت ، ولا على إماتة حى ، ولا على إقدار عاجز ، ولا على تعجيز قادر . لأن الحى عنده لا يموت ، والقوى لا يعجز وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه يحيى الموتى . وإن زعم أن الروح حى قوى بنفسه وإنما تموت وتعجز لآفة تدخل عليه لم ينفصل عمن يزعم أنها ميتة عاجزة بنفسها وإنما تحيا وتقوى بحياة وقدرة تدخلان عليها .

الفضيحة الرابعة من فضائحه : قوله أن الروح جنس واحد وأفعاله جنس واحد ، وأن الأجسام ضربان حى وميت ، وأن الحى منها يستحيل أن يصير ميتاً ، والميت يستحيل أن يصير حياً . وإنما أخذ هذا القول من الثنوية البرهمية الذين زعموا أن النور حى خفيف من شأنه الصعود

(١) الآية ٢ من سورة النور .
(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

أبداً ، وأن الظلام موات ثقيل من شأنه التسفل أبدا ، وأن الثقيل الميت محال أن يصير خفيفا وأن الخفيف الحى محال أن يصير ثقيلا ميتا .

الفضيحة الخامسة من فضائحه : دعواه أن الحيوان كله جنس واحد لاتفاق جميعه فى التحرك بالإرادة ، وزعم أن العمل إذا اتفق دل اتفاقه على اتفاق ما ولده وزعم أيضاأن الجنس الواحد لا يكون منه عملان مختلفان كما لا يكون من النار تسخين وتبريد، ولا من الثلج تسخين وتبريد . وهذا تحقيق قول الثنوية : أن النور يفعل الخير ولا يكون منه الشر . والظلام يفعل الشر ولا يكون منه الخير لأن الفاعل الواحد لا يفعل فعلين مختلفين كما لا يقع من النار تسخين وتبريد ، ولا من الثلج تسخين وتبريد . ومن العجب أنه صنف كتابه على الثنوية ألزمهم فيه استحالة مزاج النور والظلمة إذا كانا مختلفين فى الجنس والعمل ، وكانت جهات تحركها مختلفة . ثم زعم مع ذلك أن الخفيف والثقيل من الأجسام مع اختلافهما فى جنسيهما واختلاف جهتى حركتهما تتداخلان والمداخلة فى حيز واحد أعظم من المزاج الذى أنكره على الثنوية .

الفضيحة السادسة من فضائحه : قوله بأن النار من شأنها أن تعلو بطباعها على كل شىء وأنها إذا سلمت من الشوائب الحابسة لها فى هذا العالم ارتفعت حتى تجاوز السماوات والعرش إلا أن يكون من جنسها ما تتصل به فلا تفارقه .

وقال فى الروح أيضا أنه إذا كان فارق الجسد ارتفع ويستحيل منها غير ذلك، وهذا بعينه قول الثنوية إذ الذى شاب من أجزاء النور بأجزاء الظلمة إذا انفصل منها ارتفع إلى النور . فان كان يثبت فوق السماء نورا تتصل به الأرواح فهو ثنوى ، وإن كان يثبت فوق الهواء نارا يخلص إليها النيران المرتفعة فى الهواء فهو من جملة الطبيعيين الذين زعموا أن مسافة الهواء فى الارتفاع عن الأرض ستة عشر ميلا وفوقها نار متصلة بفلك القمر يلحق بها ما يرتفع من لهب النار فهو إما ثنوى ، وإما طبيعى يدلس نفسه فى غمار المسلمين .

الفضيحة السابعة من فضائحه : قوله بأن أفعال الحيوان كلها من جنس واحد وهى كلها حركة وسكون . والسكون عنده حركة اعتماد ، والعلوم والإرادات عنده من جملة الحركات وهى الأعراض والأعراض كلها عنده جنس واحد وهى كلها حركات ، فأما الألوان ، والطعوم ، والأصوات والخواطر فهى عنده أجسام مختلفة ومتداخلة ونتيجة قوله بأن أفعال الحيوان جنس واحد توجب عليه أن يكون الإيمان مثل الكفر ، والعلم مثل الجهل ، والحب مثل البغض وأن يكون فعل النبى عليه السلام بالمؤمنين مثل فعل إبليس بالكافرين ، وأن يكون دعوة النبى

عليه السلام إلى دين الله تعالى مثل دعوة ابليس إلى الضلالة وقد قال في بعض كتبه : إن هذه الأفعال كلها جنس واحد وإنما اختلفت أسماؤها لاختلاف أحكامها وهي في الجنس واحد لأنها كلها أفعال الحركات . ولا يفعل الحيوان عنده فعلين مختلفين كما لا يكون من النار تبريد وتسخين . ويلزمه على هذا الأصل أن لا يغضب على من شتمه ولعنه لأن قول القائل لعن الله النظام عند النظام مثل قوله رحمه الله . وقوله إنه ولد زنى كقوله إنه ولد حلال فإن رضي لنفسه بمثل هذا المذهب فهو أهل له ولما يلزمه عليه .

الفضيحة الثامنة من فضائحه : قوله بأن الألوان والطعوم ، والروائح ، والأصوات ، والخواطر أجسام وإجازته تداخل الأجسام في حيز واحد . وقد أنكر على هشام بن الحكم قوله : بأن العلوم والإرادات ، والحركات أجسام وقال : لو كانت هذه الثلاثة أجساما لم يجتمع في شيء واحد ولا في حيز واحد . وهو يقول : إن اللون ، والطعم ، والصوت ، أجسام متداخلة في حيز واحد وينقض بمذهبه اعتلاله على خصمه ومن أجاز مداخلة الأجسام في حيز واحد لزمه إجازة دخول الجمل في سم الخياط .

الفضيحة التاسعة من فضائحه : قوله في الأصوات وذلك أنه زعم أنه ليس في الأرض اثنان سمعا صوتا واحدا إلا على معنى أنهما سمعا جنسا واحداً من الصوت كما يأكلان جنسا واحداً من الطعام وإن كان مأكول أحدهما غير مأكول الآخر . وإنما ألجأه إلى هذا القول دعواه أن الصوت لا يسمع إلا بهجومه على الروح من جهة السمع ، ولا يجوز أن يهجم من قطعة واحدة على سمعين متباينين . وشبه ذلك بالماء المصبوب على قوم يصيب كل واحد منهم غير ما يصيب الآخر : ويلزمه على هذا الأصل أن لا يكون أحـــد سمع كلمة واحدة من الله تعالى ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم . لأن مسموع كل واحد من السامعين جنس من صوت المتكلم بالكلمة الواحدة . والكلمة الواحدة ربما كانت من حرفين وبعض الحرفين لا يكون كلمة عنده وإن زعم أن الصوت لا يكون كلاما ولا مسموعا إلا إذا كان من حروف لزمه أن لا يسمع الجماعة حرفا واحدا لأن الحرف الواحـد لا ينقسم حروفا كثيرة على عدد السامعين .

الفضيحة العاشرة من فضائحه : قوله بانقسام كل جزء لا إلى نهاية . وفي ضمن هـذا القول إحالة كون الله تعالى محيطا بآخر العالم عالما بها وذلك قول الله تعالى : « وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا »[1] . ومن عجائبه أنه أنكر على المانوية قولهم بأن الهامة التي

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الجن .

هى روح الظلمة عندهم قطعت بلادها ووافت الصفحة العليا من العلى حتى شاهدت النور وقال لهم: إن كانت بلادها لا تتناهى من جهة السفل فكيف قطعتها الهامة لأن قطع ما لا نهاية له محال. ثم زعم مع ذلك أن الروح إذا فارق البدن قطع العالم إلى فوق مع قوله بأن المقطوع من العالم غير متناهية الأجزاء. بل كل قطعة منها غير متناهية الأجزاء فكيف قطعها الروح فى وقت متناه. ولأجل هذا الإلزام قال بالطفرة التى لم يسبق إليها من أهل الأهواء غيره. وأعجب من هذا أنه ألزم الثنوية بتناهى النور والظلمة من كل جهة من الجهات الست من أجل قولهم بتناهى كل واحد منها من جهة ملاقاته للآخر. فهل استدل بتناهى كل جسم من جميع جهات أطرافه على تناهى أجزائه فى الوسط. وإذا كان تناهى الجسم من جهاته الست لا يدل عنده على تناهيه فى الوسط لم ينفصل من الثنوية إذ قالوا أن تناهى كل واحد من النور والظلمة من جهة الملاقاة لا يدل على تناهيهما من سائر الجهات.

الفضيحة الحادية عشرة من فضائحه: قوله بالطفرة وهى دعواه أن الجسم قد يكون فى مكان ثم يصير منه الى المكان الثالث أو العاشر منه من غير مرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر ومن غير أن يصير معدوما فى الأول ومعادا فى العاشر. ونحن نتحاكم اليه فى بطلان هذا القول أن أنصف من نفسه وإن كان التحكيم بعد أبى موسى الأشعرى، وعمرو بن العاص تضييعا للحزم.

الفضيحة الثانية عشرة من فضائحه: هى التى تكاد السموات يتفطرن منه وهى دعواه أنه لا يعلم بإخبار الله عز وجل ولا بإخبار رسوله عليه السلام، ولا بأخبار أهل دينه شىء على الحقيقة. ودعواه أن الأجسام والألوان لا يعلمان بالأخبار والذى ألجأه إلى هذا القول الشنيع قوله بأن المعلومات ضربان: محسوس، وغير محسوس. والمحسوس منها أجسام ولا يصح العلم بها إلا من جهة الحس. والحس عنده لا يقع إلا على جسم، واللون، والطعم، والرائحة، والصوت عنده أجسام قال: ولهذا أدركت بالحواس. وأما غير المحسوس فضربان: قديم، وعرض. وليس طريق العلم بهما الخبر. وإنما يعلمان بالقياس. والنظر دون الحس والخبر. فقيل له على هذا الأصل كيف عرفت أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان فى الدنيا وكذلك سائر الأنبياء والملوك. وإن كانت الأخبار عندك لا يعلم بها شىء؟ فقال: إن الذين شاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم اقتطعوا منه حين رأوه قطعة توزعوها بينهم ووصلوها بأرواحهم فلما أخبروا التابعين عن وجوده خرج منهم بعض تلك القطعة فاتصل بأرواح التابعين ففرقة التابعون لاتصال أرواحهم ببعضه. وهكذا

قصه الناقلون عن التابعين ومن نقلوا عنهم إلى أن وصل إلينا . فقيل قد علمت اليهود والنصارى والمجوس ، والزنادقة أن نبينا عليه السلام كان فى الدنيا أفتزعم أن قطعة منه اتصلت بأرواح الكفرة . فالتزم ذلك فألزم أن يكون أهل الجنة إذا طلعوا على أهل النار ورآهم أهل النار أو خاطب كل واحد من الفريقين الفريق الآخر أن تنفصل قطعة من أرواح كل واحد منهم فتتصل بأرواح الفريق الآخر فيدخل الجنة قطع كثيرة من أبدان أهل النار وأرواحهم ، ويدخل النار قطع كثيرة من أبدان أهل الجنة وأرواحهم وكفاه بالتزام هذه البدعة خزياً .

الفضيحة الثالثة عشرة من فضائحه : ما حكاه الجاحظ عنه من قوله بتجدد الجواهر والأجسام حالا بعد حال وأن الله تعالى يخلق الدنيا وما فيها فى كل حال من غير أن يفنيها ويعيدها . وذكر أبو الحسين الخياط فى كتابه[1] على ابن الراوندى أن الجاحظ غلط فى حكاية هذا القول على النظام فيقال له : إن صدق الجاحظ عليه فى هذه الحكاية فاحكم بخبل النظام وحمقه وإلحاده فيه . وإن كذب عليه فاحكم بمجون الجاحظ وسفهه وهو شيخ المعتزلة وفيلسوفها ونحن لا ننكر كذب المعتزلة على أسلافها إذا كانوا كاذبين على ربهم ونبيهم .

الفضيحة الرابعة عشرة من فضائحه : قوله بأن الله تعالى خلق الناس والبهائم ، وسائر الحيوان ، وأصناف النبات والجواهر المعدنية كلها فى وقت واحد ، وأن خلق آدم عليه السلام لم يتقدم على خلق أولاده ، ولا تقدم خلق الأمهات على خلق الأولاد . وزعم أن الله تعالى خلق ذلك أجمع فى وقت واحد غير أن أكثر الأشياء بعضها فى بعض . فالتقدم والتأخر إنما يقع فى ظهورها من أماكنها . وفى هذا تكذيب منه لما اجتمع عليه سلف الأمة مع أهل الكتاب من اليهود ، والنصارى ، والسامرة من أن الله تعالى خلق اللوح والقلم قبل خلق السموات والأرض . وإنما اختلفت المسلمون فى السماء والأرض أيتهما خلقت أولا فخالف النظام المسلمين وأهل الكتاب فى ذلك وخالف فيه أكثر المعتزلة . لأن المعتزلة البصرية زعمت أن الله تعالى خلق إراداته قبل مراداته وأقر سائرهم بخلق بعض أجسام العالم قبل بعض . وزعم أبو الهذيل أنه خلق قوله للشىء كن لا فى محل قبل خلق الأجسام والأعراض . وقول النظام بالظهور ، والكمون فى الأجسام وتداخلها

(١) كتاب الانتصار للخياط يرد فيه كثيرا من دعاوى ابن الراوندى .

شر من قول الدهرية الذين زعموا أن الأعراض كلها كامنة فى الأجسام، وإنما يتعين الوصف على الأجسام بظهور بعض الأعراض، وكون بعضها وفى كل واحد من المذهبين تطريق الدهرية إلى إنكار حدوث الأجسام والأعراض بدعواهم وجود جميعها فى كل حال على شرط كون بعضها وظهور بعضها من غير حدوث شيء منها فى حال الظهور، وهذا إلحاد وكفر وما يؤدى إلى الضلالة فهو مثلها.

الفضيحة الخامسة عشرة من فضائحه: قوله أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبى عليه السلام ولا دلالة على صدقه فى دعواه النبوة. وإنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب. فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه فى النظم والتأليف وفى هذا عناد منه لقول الله تعالى « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا(١) » ولم يكن غرض منكر إعجاز القرآن إلا إنكار نبوة من تحدى العرب بأن يعارضوه بمثله.

الفضيحة السادسة عشرة من فضائحه: قوله بأن الخبر المتواتر مع خروج ناقليه عند سامع الخبر عن الحصر ومع اختلاف همم الناقلين واختلاف دواعيها يجوز أن يقع كذبا هذا مع قوله بأن من أخبار الآحاد ما يوجب العلم الضرورى. وقد كفره أصحابنا مع موافقيه فى الاعتزال فى هذا المذهب الذى صار إليه.

الفضيحة السابعة عشرة من فضائحه: تجويزه إجماع الأمة فى كل عصر وفى جميع الأعصار على الخطأ من جهة الرأى والاستدلال. يلزمه على هذا الأصل أن لا يثق بشىء مما اجتمعت الأمة عليه لجواز خطئهم فيه عنده، وإذا كانت أحكام الشريعة منها ما أخذه المسلمون عن خبر متواتر. ومنها ما أخذوه عن أخبار الآحاد. ومنها ما أجمعوا عليه وأخذوه عن اجتهاد وقياس وكان النظام دافعا لحجة التواتر ولحجة الإجماع وقد أبطل القياس وخبر الواحد إذا لم يوجد العلم الضرورى فكأنه أراد إبطال أحكام فروع الشريعة لإبطاله إطرقها.

الفضيحة الثامنة عشرة: دعواه فى باب الوعيد أن من غصب، أو سرق مائة وتسعة وتسعين درهما لم يفسق بذلك حتى يكون ما سرقه أو غصبه وخان فيه مائتى درهم فصاعداً. فإن كان قد بنى هذا القول على ما يقطع فيه اليد فى السرقة فما جعل أحد نصاب القطع فى

(١) الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

السرقة مائتى درهم بل قال قوم فى نصاب القطع إنه ربع دينار أو قيمته وبه قال الشافعى وأصحابه . وقال مالك بربع دينار أو ثلاثة دراهم . وقال أبو حنيفة بوجوب القطع فى عشرة دراهم فصاعدا ، واعتبره قوم بأربعين درهما أو قيمتها وأوجبت الإباضية القطع فى قليل السرقة وكثيرها . وما اعتبر أحد نصاب القطع بمائتى درهم . ولو كان التفسيق معتبرا بنصاب القطع لما فسق الغاصب لألوف دنانير لأنه لاقطع على الغاصب المجاهر ولوجب أن لا يفسق من سرق الألوف من غير حرز أو من الابن لأنه لا قطع فى هذين الوجهين . وإن كان إنما بنى تحديد المائتين فى الفسق على أن المائتين نصاب الزكاة لزمه تفسيق من سرق أربعين شاة بوجوب الزكاة فيها . وإن كانت قيمتها دون مائتى درهم وإذا لم يكن للقياس فى تحديده مجال ولم يدل عليه نص من القرآن والسنة الصحيحة لم يكن مأخوذا إلا من وسوسة شيطانه الذى دعاه إلى ضلالته .

الفضيحة التاسعة عشرة من فضائحه: قوله فى الإيمان إنه اجتناب الكبيرة فحسب . ونتيجة هذا القول : أن الأقوال والأفعال ليس شىء منها إيمانا ، والصلاة عنده وأفعالها ليست بإيمان ولا من الإيمان ، وإنما الإيمان فيها ترك الكبائر فيها . وكان يقول مع هذا : أن الفعل والترك كلاهما طاعة والناس قبله فريقان : فريق قالوا : أن الصلاة كلها من الإيمان، وفريق قالوا : ليس شىء من الصلاة إيمانا . وقد فارق هو الفريقين فزعم أن الصلاة ليست من الإيمان وترك الكبائر فيها من الإيمان .

الفضيحة العشرون من فضائحه : قوله فى باب المعاد بأن المقارب، والحيات، والخنافس، والذباب، والغربان، والجعلان، والكلاب والخنازير وسائر السباع والحشرات تحشر إلى الجنة. وزعم أن كل من تفضل الله عليه بالجنة لا يكون لبعضهم على بعض درجة فى التفضيل، وزعم أنه ليس لإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة تفضيل درجة على درجات أطفال المؤمنين ، ولا لأطفال المؤمنين فيها تفضيل بدرجة ، أو نعمة ، أو مرتبة على الحيات ، والعقارب ، والخنافس لأنه لا عمل لهم كما لا عمل لها فحجر على رب العالمين أن يتفضل على أولاد الأنبياء بزيادة نعمة لا يتفضل بمثلها على الحشرات . ثم لم يرض بهذا الحجر حتى زعم أنه لا يقدر على ذلك . وزعم أيضا أنه لا يتفضل على الأنبياء عليهم السلام إلا بمثل ما يتفضل به على البهائم لأن باب الفضل عنده لا يختلف فيه العاملون وغيرهم ، وإنما يختلفون فى الثواب والجزاء لاختلاف مراتبهم فى الأعمال . وينبغى للنظام على قول هذا الأصل أن لا يغضب على من قال له : حشرك الله مع الكلاب والخنازير

والحيات، والعقارب إلى مأواها، ونحن ندعو له بهذا الدعاء رضى به لنفسه .

الفضيحة الحادية والعشرون من فضائحه : أنه لما ابتدع ضلالاته فى العلوم العقلية أدخل فى أبواب الفقه أيضاً ضلالات له لم يسبق إليها . منها : قوله أن الطلاق لا يقع بشىء من الكنايات كقول الرجل لامرأته أنت خلية ، أو برية ، أو حبلك على غاربك ، أو الحقى بأهلك ، أو اعتدى أو نحوها من كنايات الطلاق عند الفقهاء : سواء نوى بها الطلاق أو لم ينوه . وقد أجمع فقهاء الأمة على وقوع الطلاق بها إذا قارنتها نية الطلاق . وقد قال فقهاء العراق : إن كنايات الطلاق فى حال الغضب كصريح الطلاق فى وقوع الطلاق بها من غير نية . ومنها : قوله فى الظهار إن من ظاهر من امرأته بذكر البطن أو الفرج لم يكن مظاهرا . وهذا فيه خلاف قول الأمة بأسرها والشأن فى أنه كان يقول بتفسيق أبى موسى الأشعرى فى حكمه ثم اختار قوله فى أن النوم لا ينقض الطهارة إذا لم يكن معها حدث على قول الجمهور الأعظم بأن النوم مضطجعاً ينقض الوضوء . وإنما اختلفوا فى النوم قاعدا ، وراكعاً ، وساجدا . وسامح فيه أبو حنيفة وأوجبه أكثر أصحاب الشافعى من طريق القياس . ومنها : أنه زعم أن من ترك صلاة مفروضة عمدا لم يصح قضاؤه لها ولم يجب عليه قضاؤها وهذا عند سائر الأمة كفر ككفر من زعم أن الصلوات الخمس غير مفروضة . وفى فقهاء الأمة من قال فيمن فاتته صلاة مفروضة أنه يلزمه قضاء صلوات يوم وليلة . وقال سعيد بن المسيب : من ترك صلاة مفروضة حتى فات وقتها قضى ألف صلاة وقد بلغ من تعظيم شأن الصلاة أن بعض الفقهاء أفتى بكفر من يتركها عامدا وإن لم يستحل تركها كما ذهب إليه أحمد بن حنبل . وقال الشافعى : بوجوب قتل تاركها عمدا وإن لم يحكم بكفره إذا تركها كسلا لا استحلالا . وقال أبو حنيفة بحبس تارك الصلاة وتعذيبه إلى أن يصلى . وخلاف النظام للأمة فى وجوب قضاء المتروكة من فرائض الصلاة بمنزلة خلاف الزنادقة فى وجوب الصلاة ولا اعتبار بالخلافين . ثم إن النظام مع ضلالاته التى حكيناها عنه طعن فى أخبار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد . فذكر الجاحظ عنه فى كتاب «المعارف» وفى كتابه المعروف «بالفتيا» أنه عاب أصحاب الحديث وروايانهم أحاديث أبى هريرة وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس وطعن فى الفاروق عمر رضى الله عنه . وزعم أنه شك يوم الحديبية فى دينه ، وشك يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . وأنه كان فيمن نفر بالنبى عليه السلام ليلة العقبة ، وأنه ضرب فاطمة ومنع ميراث العترة وأنكر عليه تغريب نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة وزعم أنه ابتدع صلاة التراويح

ونهى عن متعة الحج، وحرم نكاح للوالى للعربيات ؛ وعاب عثمان بإيوائه الحكم بن العاص إلى المدينة ، واستعماله الوليد بن عقبة على الكوفة حتى صلى بالناس وهو سكران . وعابه بأن أعان سعيد بن العاص بأربعين ألف درهم على نكاح عقده ، وزعم أنه استأثر بالحمى . ثم ذكر عليا رضى الله عنه وزعم أنه سئل عن بقرة قتلت حمارا فقال : أقول فيها برأيى . ثم قال بجهله : من هو حتى يقضى برأيه . وعاب ابن مسعود فى قوله فى حديث تزويج بروع بنت واشق أقول فيها برأيى فإن كان صوابا فمن الله عز وجل ، وإن كان خطأ فمنى. وكذبه فى روايته عن النبى عليه السلام أنه قال : « السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه » . وكذبه أيضاً فى روايته انشقاق القمر ، وفى رواية الجن ليلة الجن فهذا قوله فى أخيار الصحابة وفى أهل بيعة الرضوان الذين أنزل الله تعالى فيهم : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا[1] » . ومن غضب على من رضى الله عنه فهو المغضوب عليه دونه . ثم أنه قال فى كتابه إن الذين حكموا بالرأى من الصحابة إما أن يكونوا قد ظنوا أن ذلك جائز لهم وجهلوا تحريم الحكم بالرأى فى الفتيا عليهم . وإما أنهم أرادوا أن يذكروا بالخلاف وأن يكونوا رؤساء فى المذاهب فاختاروا لذلك القول بالرأى فنسبهم إلى إيثار الهوى على الدين . وما للصحابة رضى الله عنهم عند هذا الملحد الفرى ذنب غير أنهم كانوا موحدين لا يقولون بكفر القدرية الذين ادعوا مع الله تعالى خالقين كثيرين وإنما أنكر على ابن مسعود روايته : أن السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه . لأن هذا خلاف قول القدرية فى دعواها فى السعادة والشقاوة ليستا من قضاء الله عز وجل وقدره . وإنما إنكاره انشقاق القمر فإنما كره منه ثبوت معجزة لنبينا عليه السلام كما أنكر معجزته فى نظم القرآن . فإن كان أحال انشقاق القمر مع ذكر الله عز وجل ذلك فى القرآن مع قوله من طريق العقل فقد زعم أن جامع أجزاء القمر لا يقدر على تفريقها . وإن أجاز انشقاق القمر فى القدرة والإمكان فما الذى أوجب كذب ابن مسعود فى روايته انشقاق القمر مع ذكر الله عز وجل ذلك فى القرآن مع قوله : « اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر[2] » ، فقول النظام بأن انشقاق القمر لم يكن أصلا شر من قول المشركين الذين قالوا لما رأوا انشقاقه وزعموا

---

(١) الآية ١٨ من سورة الفتح .

(٢) الآيتان ١ ، ٢ من سورة القمر .

أن ذلك واقع بسحر . ومنكر وجود المعجزة شر من تأولها على غير وجهها . وأما إنكاره رؤية الجن أصلاً فيلزمه أن لا يرى بعض الجن بعضا ، وإن أجاز رؤيتهم فما الذي أوجب تكذيب ابن مسعود فى دعواه رؤيتهم . ثم إن النظام مع ما حكيناه من ضلالاته كان أفسق خلق الله عز وجل ، وأجرأهم على الذنوب العظام ، وعلى إدمان شرب المسكر . وقد ذكر عبد الله بن مسلم بن قتيبة[1] رحمه الله فى كتاب « مختلف الحديث » أن النظام كان يغدو على مسكر ، ويروح على مسكر وأنشد قوله فى الخمر : -

مازلت آخذ روح الزق فى لطف ... واستبيح دماً من غير مذبوح

حتى انثنيت ولى روحان فى بدن ... والزق مطرح جسم بلا روح

ومثله فى طعنه على إخبار الصحابة مع بدعته فى أقواله وضلالته فى أفعاله كما قيل فى الأمثال السائرة : إن من كان فى دينه دميا وفى أصله لئيما لم يترك لنفسه عارا يتهم به إلا نحله كريما ، واستباح به حريما وهل يضر السحاب نباح الكلاب . وكما لا يضر السحاب نباح الكلاب كذلك لا يضر (الأبرار ذم الأشرار . وما مثله فى طعنه على إخبار الصحابة مع بدعته وضلالته إلا كما قال حسان بن ثابت : -

ما أبالى أنب بالحزن تيس ... أم لحانى بظهر غيب لئيم

وقال غيره : -

ما ضر تغلب وائل أهجوتها ... أم بلت حيث تناطح البحران

ذكر الأسوارية منهم : وهم أتباع على الأسوارى وكان من أتباع أبى الهذيل ثم انتقل إلى مذهب النظام وزاد عليه فى الضلالة بأن قال : إن ما علم الله أن لايكون لم يكن مقدوراً لله تعالى . وهذا القول منه يوجب أن يكون قدرة الله متناهية ، ومن كان قدرته متناهية كان ذاته متناهية والقول به كفر من قاله

ذكر المعمرية منهم : وهم أتباع معمر بن عباد السلمى وكان رأسا للملحدة وذنبا للقدرية . وفضائحه على الأعداد كثيرة الأمداد . منها : أنه كان يقول : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً من الأعراض من لون ، أو طعم ، أو رائحة ، أو حياة ، أو موت ، أو سمع ، أو بصر ، وأنه لم يخلق شيئا من صفات الأجسام وهذا خلاف قوله تعالى « قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار »[2]

---

(١) من أئمة العرب ، نحوى ولغوى ، يدافع عن أهل الحديث وإن كان له ميل إلى الحشوية توفى سنة ٢٧٦ هـ .

(٢) الآية ١٦ من سورة الرعد .

وخلاف قوله تعالى فى صفة نفسه : « له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير »[1] . وكان يزعم أن الله إنما خلق الأجسام ، ثم إن الأجسام أحدثت الأعراض باعتبار أن كل ما سبق من حياة وموت وسمع وبصر ولون وطعم ورائحة ما هو)الاعرض فى الجسم من فعل الجسم بطبعه . والأصوات عنده فعل الأجسام المصوتة بطباعها ، وفناء الجسم عنده فعل الجسم بطبعه ، وصلاح الزروع وفسادها من فعل الزروع عنده . وزعم أيضا أن فناء كل فان فعل له بطبعه . وزعم أنه ليس لله تعالى فى الأعراض صنع ولا تقدير . وفى قوله إن الله تعالى لم يخلق حياة ولا موتا تكذيب منه لوصف الله سبحانه نفسه بأنه يحيى ويميت وكيف يحيى ويميت من لا يخلق حياة ولا موتا .

الفضيحة الثانية : من فضائحه أنه لما زعم أن الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض . وأنكر مع ذلك صفات الله تعالى الأزلية كما أنكرها سائر المعتزلة لزمه على هذه البدعة أن لا يكون لله تعالى كلام إذ لم يمكنه أن يقول إن كلامه صفة له أزلية كما قال أهل السنة والجماعة لأنه لا يثبت لله تعالى صفة أزلية . ولم يمكنه أن يقول إن كلامه فعله كما قاله سائر المعتزلة لأن الله سبحانه عنده لم يفعل شيئا من الأعراض . والقرآن عنده فعل الجسم الذى حل الكلام فيه وليس هو فعلا لله تعالى ولا صفة له فليس يصح على أصله أن يكون له كلام على معنى الصفة ولا على معنى الفعل . وإذا لم يكن له كلام لم يكن له أمر ونهى وتكليف وهذا يؤدى إلى رفع التكليف وإلى رفع أحكام الشريعة ، وما أراد غيره لأنه قال بما يؤدى إليه .

الفضيحة الثالثة : من فضائحه دعواه أن كل نوع من الأعراض الموجودة فى الأجسام لا نهاية لعدده وذلك أنه قال : إذا كان المتحرك متحركا بحركة قامت به فتلك الحركة اختصت بمحله لمعنى سواها . وذلك المعنى أيضا يختص بمحله لمعنى سواه وكذلك القول فى اختصاص كل معنى بمحله لمعنى سواه لا إلى نهاية . وكذلك اللون ، والطعم ، والرائحة وكل عرض يختص بمحله لمعنى سواه . وذلك المعنى أيضاً يختص بمحله لمعنى سواه لا إلى نهاية وحكى الكعبى عنه فى مقالاته : إن الحركة عنده إنما خالفت السكون لمعنى سواها . وكذلك السكون خالف الحركة لمعنى سواه ، وإن هذين المعنيين مختلفان لمعنيين غيرهما . ثم هذا القياس معتبر عنده لا إلى نهاية وفى هذا القول إلحاد من وجهين :

أحدهما : قوله بحوادث لا نهاية لها وهذا يوجب وجود حوادث لا يحصيها الله تعالى

---

(١) الآية ٢ من سورة الحديد .

وذلك عناد لقول الله تعالى : « وأحصى كل شيء عدداً[1] » .

والثانى : إن قوله بحدوث أعراض لا نهاية لها يؤديه إلى القول بأن الجسم أقدر من الله لأن الله عنده أنه ما خلق غير الأجسام وهى محصورة عندنا وعنده . والجسم إذا فعل عرضاً فقد فعل معه مالانهاية له من الأعراض . ومن خلق مالا نهاية له ينبغى أن يكون أقدر مما لا يخلق إلا متناهيا فى العدد . وقد اعتذر الكعبى عنه فى مقالاته بأن قال : أن معمراً كان يقول إن الإنسان لا فعل له غير الإرادة وسائر الأعراض أفعال الأجسام بالطباع . فإن صحت هذه الرواية عنه لزمه أن يكون الطبع الذى نسب إليه فعل الأعراض أقوى من الله عزوجل لأن أفعال الله أجسام محصورة، وأفعال الطباع أصناف من الأعراض. كل صنف منها غير محصور العدد وعلى أن قول معمر بأعراض لانهاية لها تطريق لأصحاب الظهور والكمون على المسلمين فى حدوث الأعراض . وذلك أن المسلمين استدلوا على حدوث الأعراض فى الأجسام بتعاقب المتضادات منها على الأجسام . وأنكر أصحاب الكمون والظهور حدوث الأعراض وزعموا أنها كلها موجودة فى الأجسام . فإذا ظهر فى الجسم بعض الأعراض كمن فيه ضده . وإذا كمن فيه العرض ظهر ضده . فقال لهم الموحدون : لو كمن العرض تارة وظهر تارة لكان ظهوره بعد الكمون ، وكمونه بعد الظهور لمعنى سواه وإلا افتقر ذلك المعنى فى ظهوره وكمونه إلى معنى سواه لا إلى نهاية : وإذا بطل اجتماع مالا نهاية له من الأعراض فى الجسم الواحد صح تعاقبها على الجسم من جهة حدوثها فيه لا من جهة الكمون والظهور . وإذا قال معمر بجواز اجتماع مالا نهاية له من الأعراض فى الجسم لم يصح له دفع أصحاب الكمون والظهور فى محل واحد . وسوق هذا الأصل يؤدى إلى القول بقدم الأعراض . وذلك كفر فما يؤدى إليه مثله .

الفضيحة الرابعة : من فضائحه قوله فى الإنسان إنه شيء غير هذا الجسد المحسوس وهو حى ، عالم، قادر، مختار وليس هو متحركا ، ولا ساكنا ، ولا متلونا ولا يرى ولا يلمس، ولا يحل موضعا دون موضع ، ولا يحويه مكان دون مكان . فإذا قيل له : أتقول إن الإنسان فى هذا الجسد ، أم فى السماء ، أم فى الأرض ، أم فى الجنة ، أم فى النار ؟ . قال : لا أطلق شيئا من ذلك ولكنى أقول إنه فى الجسد مدبر ، وفى الجنة منعم ، أو فى النار معذب وليس هو فى شيء من هذه الأشياء حالا ولا متمكنا لأنه ليس بطويل وعريض

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الجن .

ولا عميق ولا ذي وزن فوصف الإنسان بما يوصف به الإله سبحانه . لأنه وصفه بأنه حي، عالم ، قادر، حكيم . وهذه الأوصاف واجبة لله تعالى . ثم نزه الإنسان عن أن يكون متحركا، أو ساكنا ، أو حارا ، أو باردا ، أو رطبا ، أو يابسا ، أو ذا لون ، أو وزن ، أو طعم ، أو رائحة والله سبحانه منزه عن هذه الأوصاف . وكما زعم أن الإنسان في الجسد مدبر له لا على معنى الحلول والتمكن فيه . كذلك الإله عنده في كل مكان على معنى أنه مدبر له عالم بما يجرى فيه لا على معنى الحلول والتمكن فيه فكأنه أراد أن يعبد الإنسان لوصفه إياه بما يوصف الإله به . فلم يحسن على إظهار القول بذلك فقال بما يؤدى إليه . ثم إن هذا القول يوجب عليه أن لا يرى إنسان إنسانا ويوجب أن لا يكون الصحابة رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفاه بذلك خزيا .

الفضيحة الخامسة : من فضائحه قوله بأن الله لا يجوز أن يقال فيه إنه قديم مع وصفه إياه بأنه موجود أزلي .

الفضيحة السادسة : من فضائحه امتناعه عن القول بأنه الله تعالى يعلم نفسه لأن من شرط المعلوم عنده أن يكون غير العالم به وهذا يبطل عليه بذكر الذاكر نفسه . لأنه إذا جاز أن يذكر الذاكر نفسه جاز أن يعلم العالم نفسه وقد افتخر الكعبي في مقالاته بأن معمراً من شيوخه في الاعتزال ومن افتخر بمثله وهبناه وتمثلنا بقول الشاعر : —

هل مشتر والسعيد بايعه　　　هل بائع والسعيد من وهبا

ذكر البشرية منهم : هؤلاء أتباع بشر بن المعتمر[1] وقال إخوانه من القدرية بتكفيره في أمور هو فيها مصيب عند غير القدرية . فما كفرته القدرية فيه قوله : بأن الله تعالى قادر على لطف لو فعله بالكافر لآمن طوعا . وكفروه أيضا في قوله : بأن الله تعالى لو خلق العقلاء ابتداء في الجنة وتفضل عليهم بذلك لكان ذلك أصلح لهم . وكفروه أيضا بقوله : إن الله لو علم من عبده أنه لو أبقاه لآمن كان إبقاؤه إياه أصلح له من أن يميته كافرا وكفروه أيضا بقوله : إن الله تعالى لم يزل مريدا . وفي قوله : إن الله تعالى إذا علم حدوث شيء من أفعال العباد ولم يمنع منه فقد أراد حدوثه . والحق في هذه المسائل الخمس التي كفرت المعتزلة البصرية فيها بشرا مع بشر . والمكفرون له فيها هم الكفرة ونحن نكفر بشرا في أمور سواها كل واحد منها بدعة شنعاء .

---

(١) من أهل بغداد. وقيل من أهل الكوفة وهو رئيس المعتزلة ببغداد: وته في سنة ٢١٠ هـ

أولها : قول بشر بأن الله تعالى ماوالى مؤمنا في حال إيمانه ولا عادى كافراً فى حال كفره . ويجب تكفيره فى هذا على قول جميع الأمة . أما على قول أصحابنا فلأنا نقول : إن الله تعالى لم يزل موالياً لمن علم أنه يكون ولياً له إذا وجد . ومعاديا لمن علم أنه إذا وجد كفر ومات على كفره يكون معاديا له قبل كفره وفى حال كفره وبعدموته ، وأما على أصول المعتزلة غير بشر فلأنهم قالوا : إن الله لم يكن مواليا لأحد قبل وجود الطاعة منه فكان فى حال وجود طاعته مواليا له . وكان معاديا للكافر فى حال وجود الكفر منه فإن ارتد المؤمن صار الله تعالى معاديا له بعد أن كان مواليا له عندهم . وزعم بشر أن الله تعالى لا يكون مواليا المطيع فى حال وجود طاعته ، ولا معاديا للكافر فى حال وجود كفره وإنما يوالى المطيع فى الحالة الثانية من وجود طاعته ، ويعادى الكافر فى الحالة الثانية من وجود كفره . واستدل على ذلك بأن قال : لو جاز أن يوالى المطيع فى حال طاعته وجاز أن يعادى الكافر فى حال وجود كفره لجاز أن يثيب المطيع فى حال طاعته ، ويعاقب الكافر فى حال كفره . فقال أصحابنا : لو فعل ذلك لجاز . فقال : لو جاز ذلك لجاز أن يمسخ الكافر فى حال كفره فقلنا له : لو فعل ذلك لجاز .

الفضيحة الثانية : من فضائح بشر إفراطه بالقول فى التولد حتى زعم أنه يصح من الإنسان أن يفعل الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والرؤية . والسمع وسائر الإدراكات على سبيل التولد إذا فعل أسبابها . وكذلك قوله فى الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة . وقد كفره أصحابنا وسائر المعتزلة فى دعواه أن الإنسان قد يخترع الألوان ، والطعوم والروائح ، والإدراكات .

الفضيحة الثالثة : من فضائحه قوله : بأن الله تعالى قد يغفر للإنسان ذنوبه ثم يعود فيما غفر له فيعذبه عليه إذا عاد إلى معصيته فسئل على هذا عن كافر تاب عن كفره ثم شرب الخمر بعد توبته عن كفره من غير استحلال منه للخمر وفاجأه الموت قبل توبته عن شرب الخمر أهل يعذبه الله تعالى فى القيامة على الكفر الذى قد تاب منه . فقال : نعم . فقيل له : يجب على هذا أن يكون عذاب من هو على ملة الإسلام مثل عذاب الكافر فالتزم ذلك .

الفضيحة الرابعة : من فضائحه قوله بأن الله تعالى يقدر على أن يعذب الطفل ظالما له فى تعذيبه إياه فإنه لو فعل ذلك لكان الطفل بالغا عاقلا مستحقا للعذاب . وهذا فى التقدير كأنه يقول : إن الله تعالى قادر على أن يظلم ولو ظلم لكان بذلك الظلم عادلا .

وأول هذا الكلام ينقض آخره . وأصحابنا يقولون : إن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل ذلك كان عدلاً منه ولا يناقض قولهم فى هذا الباب . وقول بشر فيه متناقض .

الفضيحة الخامسة : من فضائحه قوله بأن الحركة تحصل وليس الجسم فى المكان الاول ولا فى المكان الثانى ولكن الجسم يتحرك به من الأول إلى الثانى . وهذا قول غير معقول فى نفسه واختلف المتكلمون قبله فى الحركة هل هو معنى أم لا ؟ فنفاها نفاة الأعراض واختلف الذين اثبتوا الأعراض فى وقت وجود الحركة . فمنهم من زعم أنها توجد فى الجسم وهو فى المكان الاول فينتقل بها عن الأول إلى الثانى . وبه قال النظام وأبو شمر المرجىء . ومنهم من قال إن الحركة تحصل فى الجسم وهو فى المكان الثانى لأنها أول كون فى المكان الثانى . وهذا قول أبى الهذيل ، والجبائى ، وابنه أبى هاشم . وبه قال شيخنا أبو الحسن الأشعرى رحمه الله . ومنهم من قال : إن الحركة كونان فى مكانين أحدهما : يوجد فى المتحرك وهو فى المكان الأول والثانى : يوجد فيه وهو فى المكان الثانى وهذا قول الراوندى . وبه قال شيخنا أبو العباس القلانسى . وقد خرج قول بشر بن المعتمر عن هذه الأقوال بدعواه أن الحركة تحصل وليس الجسم فى المكان الأول ولا فى الثانى مع علمنا بأنه لا واسطة بين حالى كونه فى المكان الأول وكونه فى المكان الثانى . وقوله هذا غير معقول له فكيف يكون معقولاً لغيره .

ذكر الهشامية منهم : هؤلاء أتباع هشام بن عمرو الفوطى [1] وفضائحه بعد ضلالته بالقدر تترى منها : أنه حرم على الناس أن يقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل من جهة تسميته بالوكيل . وقد نطق القرآن بهذا الاسم لله تعالى . وذكر ذلك فى السنة الواردة فى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله تعالى . فإذا لم يجز إطلاق هذا الاسم على الله تعالى مع نزول القرآن به ومع ورود السنة الصحيحة به فأى اسم بعده يطلق عليه ؟ . وقد كان أصحابنا يتعجبون من المعتزلة البصرية فى إطلاقها على الله عز وجل من الأسماء مالم يذكر فى القرآن والسنة إذا دل عليه القياس وزاد هذا التعجب بمنع الفوطى عن الإطلاق على الله تعالى بما قد نطق به القرآن والسنة . واعتذر الخياط عن الفوطى بأن قال : إن هشاماً كان يقول : حسبنا الله ونعم المتوكل عليه بدلا من الوكيل . وزعم أن وكيلا يقتضى موكلا فوقه . وهذا من

(١) من أهل الطبقة السادسة كما ذكر ابن المرتضى . وحكى أن يحيى بن أكثم كان إذا دخل عليه هشام هذا يتحرك من مكانه حتى إنه ليكاد يقوم له .

علامات جهل هشام والمعتذر عنه بمعانى الأسماء فى اللغة . وذلك : أن الوكيل فى اللغة بمعنى الكافى لأنه يكفى موكله أمر ما وكله فيه . وهذا معنى قولهم : حسبنا الله ونعم الوكيل ومعنى حسبنا كافينا وواجب أن يكون مابعده نعم موافقا لما قبله كقول القائل: الله رازقنا . ونعم الرازق . ولا يقال الله رازقنا . ونعم الغافر . ولأن الله تعالى قال : ومن يتوكل على الله فهو حسبه . أى كافيه . وقد يكون الوكيل أيضاً بمعنى الحفيظ ومنه قوله تعالى : « قل لست عليكم بوكيل [١] » . أى حفيظ . ويقال فى نقيض الحفيظ . رجل وكل أى بليد : والوكال البلادة . وإذا كان الوكيل بمعنى الحفيظ وكان الله عز وجل كافيا وحفيظا لم يكن المنع من إطلاق الوكيل فى أسمائه معنى . والعجب من هشام فى أنه أجاز أن يكتب لله عز وجل هذا الاسم ، وأن يقرأ به القرآن . ولم يجز أن يدعى به فى غير قراءة القرآن .

الفضيحة الثانية : من فضائح الفوطى امتناعه من إطلاق كثير مما نطق به القرآن فمنع الناس من أن يقولوا إن الله تعالى عز وجل ألف بين قلوب المؤمنين وأضل الفاسقين . وهذا عناد منه لقول الله عز وجل : « وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم [٢] » ولقوله تعالى : « ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء [٣] » وقوله : « وما يضل به إلا الفاسقين [٤] » ومنع أن يقول فى القرآن إنه عمى على الكافرين ووافقه صاحبه عباد بن سليمان الضمرى [٥] فى هذه الضلالة فمنع الناس أن يقولوا إن الله تعالى خلق الكافر لأن الكافر اسم لشيئين إنسان وكفر وهو غير خالق لكفره عنده ويلزمه على هذا القياس أن لا يقول إن الله تعالى خلق المؤمن لأن المؤمن اسم لشيئين إنسان وإيمان . والله عنده غير خالق لإيمانه ويلزمه على قياس هذا الأصل أن لا يقول إن أحداً قتل كافراً أو ضربه لأن الكافر اسم للإنسان وكفره والكفر لا يكون مقتولا ولا مضروباً ومنع عباد من أن يقال : إن الله تعالى ثالث كل

---

(١) الآية ٦٦ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ٦٣ من سورة الأنفال .

(٣) الآية ٢٧ من سورة إبراهيم .

(٤) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

(٥) كان من أصحاب هشام الفوطى . قيل عنه أنه ملأ الأرض كتباً وخلافاً . وخرج عن حد الاعتزال إلى الكفر والزندقة . ومات حوالى سنة ٢٥٠ هـ .

اثنين ، ورابع كل ثلاثة . وهذا عناد منه لقول الله عز وجل : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم [١] » . وكان يمنع أن يقال إن الله عز وجل أملى للكافرين وفى هذا عناد منه لقوله عز وجل : « إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين [٢] » فإن كان عباد قد أخذ هذه الضلالة عن أستاذه هشام فالعصا من العصية ، ولن تلد الحية إلا الحية وإن انفرد بها دونه فقد قاس التلميذ ما منع من إطلاقه على مامنع أستاذه من إطلاق اسم الوكيل والكفيل على الله تعالى .

الفضيحة الثالثة : من فضائح الفوطى قوله : بأن الأعراض لا يدل شيء منها على الله تعالى وكذلك قال صاحبه عباد ، وزعما أن فلق البحر ، وقلب العصا حية ، وانشقاق القمر ، وفلق البحر ، والمشى على الماء لايدل شيء من ذلك على صدق الرسول فى دعواه الرسالة . وزعم الفوطى إن الدليل على الله تعالى يجب أن يكون محسوساً ، والأجسام محسوسة فهى الأدلة على الله تعالى والأعراض معلومة بدلائل نظرية فلو دلت على الله تعالى لاحتاج كل دليل منها إلى دليل سواه لا إلى نهاية فقيل له يلزمك على هذا الاستدلال أن تقول إن الأعراض لا تدل على شيء من الأشياء ، ولا على حكم من الأحكام . لأنها لو دلت على شيء أو على حكم لاحتاجت فى دلالتها على مدلولها إلى دلالة على صحة دلالتها عليه واحتاج كل دليل إلى دليل لا إلى نهاية . فإن صار إلى أن الأعراض لا تدل على شيء ولا على حكم صار إلى إبطال دلالة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم على الحلال والحرام والوعد والوعيد ، على أن من الأعراض مايعلم وجوده بالضرورة كالألوان ، والطعوم ، والروائح ، والحركة ، والسكون فيلزمه أن تكون هذه الأعراض المعلومة بالضرورة دلالة على الله سبحانه لأنها محسوسة كما دلت الأجسام عليه لأنها محسوسة. فإن قال : إن الأعراض غير محسوسة لأن نفاة الأعراض قد أنكروا وجودها قيل : فالنجارية ، والضرارية قد أنكروا وجود جسم لا يكون عرضا لدعواهم أن الأجسام أعراض مجتمعة فيجب على قياس قولك أن لاتكون الأجسام معلومة بالضرورة وأن لاتدل عليه سبحانه .

الفضيحة الرابعة : من فضائح الفوطى قوله بالمقطوع والموصول وذلك قوله : لو أنه

---

(١) الآية ٧ من سورة المجادلة .

(٢) الآية ١٧٨ من سورة آل عمران .

رجلا أسبغ الوضوء وافتتح الصلاة ، متقرباً بها إلى الله سبحانه ، عازماً على إتمامها ثم قرأ فركع فسجد مخلصاً لله تعالى فى ذلك كله غير أنه قطعها فى آخرها إن أول صلاته وآخرها معصية قد نهاه الله تعالى عنها وحرمها عليه وليس له سبيل قبل دخوله فيها إلى العلم بأنها معصية فيتجنبها . واجتمعت الأمة قبله على أن ما مضى منها كانت طاعة لله تعالى وإن لم تكن صلاة كاملة .

الفضيحة الخامسة : من فضائحه إنكاره حصار عثمان وقتله بالغلبة والقهر . وزعم أن شرذمة قليلة قتلوه غرة من غير حصار مشهور ، ومنكر حصار عثمان مع تواتر الأخبار به كمنكر وقعتى بدر، وأحد ، مع تواتر الأخبار بهما ، وكمنكر المعجزات التى تواترت الأخبار بها.

الفضيحة السادسة : من فضائحه قوله فى باب الأمة إن الأمة إذا اجتمعت كلمتها وتركت الظلم والفساد احتاجت إلى إمام يسوسها وإذا عصت وفجرت وقتلت إمامها لم تعقد الإمامة لأحد فى تلك الحال . وإنما أراد الطعن فى إمامة على لأنها عقدت له فى حال الفتنة وبعد قتل إمام قبله . وهذا قريب من قول الأصم منهم : إن الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع عليه . وإنما قصد بهذا الطعن فى إمامة على رضى الله عنه لأن الأمة لم تجتمع عليه لثبوت أهل الشام على خلافه إلى أن مات فأنكر إمامة على مع قوله بإمامة معاوية لاجتماع الناس عليه بعد قتل على رضى الله عنه . وقرت عيون الرافضة المائلين إلى الاعتزال بطعن شيوخ المعتزلة فى إمامة على وبعد شك زعيمهم واصل فى شهادة على وأصحابه .

الفضيحة السابعة : من فضائح الفوطى قوله بتكفير من قال إن الجنة والنار مخلوقتان. وأخلافه من المعتزلة شكوا فى وجودهما اليوم ولم يقولوا بتكفير من قال إنهما مخلوقان . والمثبتون لخلقهما يكفرون من أنكرهما ويقسمون بالله تعالى أن من أنكرهما لا يدخل الجنة ولا ينجو من النار .

الفضيحة الثامنة : من فضائحه إنكاره افتضاض الأبكار فى الجنة . ومن أنكر ذلك يحرم ذلك بل يحرم عليه دخول الجنة فضلا عن افتضاض الأبكار فيها . وكان الفوطى مع ضلالاته التى حكيناها عنه يرى قتل مخالفيه فى السر غيلة . وإن كانوا من أهل ملة الإسلام. فاذا على أهل السنة إذا قالوا فى هذا الفوطى وأتباعه إن دماءهم وأموالهم حلال للمسلمين وفيها الخمس ، وليس على قاتل الواحد منهم قود ، ولا دية ، ولا كفارة بل لقاتله عند الله تعالى القربى والزلفى والحمد لله على ذلك .

ذكر المردارية منهم: هؤلاء أتباع عيسى بن صبيح المعروف بأبي موسى المردار(١) وكان يقال له راهب المعتزلة ، وهذا اللقب لائق به إن كان المراد به مأخوذاً من رهبانية النصارى ، ولقبه بالمردار لائق به أيضا وهو فى الجملة كما قيل : ـ

وقلما أبصرت عيناك من رجل إلا ومعناه ان فكرت فى لقبه

وكان هذا المردار يزعم أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه كما قاله النظام وفى هذا عناد منهما لقول الله عز وجل : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً(٢) » . وكان المردار مع ضلالته يقول بتكفير من لابس السلطان ويزعم أنه لا يرث ولا يورث ، وكان أسلافه من المعتزلة يقولون فيمن لابس السلطان من موافقيهم فى القدر والاعتزال إنه فاسق لا مؤمن ولا كافر . وأفتى المردار بأنه كافر والمتعجب من سلطان زمانه كيف ترك قتله مع تكفيره إياه وتكفير من خالطه . وكان يزعم أيضاً : أن الله قادر على أن يظلم ويكذب . ولو فعل مقدوره من الظلم والكذب لكان إلهاً ظالما كاذبا . ـ حكى أبو زفر عن المردار أنه أجاز وقوع فعل واحد من فاعلين مخلوقين على سبيل التولد مع إنكاره على أهل السنة ما أجازوه من وقوع فعل من فاعلين أحدهما خالق ، والآخر مكتسب . وزعم المردار أيضاً أن من أجاز رؤية الله تعالى بالأبصار بلا كيف فهو كافر والشاك فى كفره كافر ، وكذلك الشاك فى الشاك لا إلى نهاية . والباقون من المعتزلة إنما قالوا بتكفير من أجاز الرؤية على جهة المقابلة أو على اتصال شعاع بصر الرائى بالمرئى . والذين أثبتوا الرؤية مجمعون على تكفير المردار وتكفير الشاك فى كفره . وقد حكت المعتزلة عن المردار أنه لما حضرته الوفاة أوصى أن يتصدق بماله ولا يدفع شيء منه إلى ورثته . وقد اعتذر أبو الحسين الخياط عن ذلك بأن قال : كان فى ماله شبهه ، وكان للمساكين فيه حق وقد وصفه فى هذا الاعتذار بأنه كان غاصبا وخائنا للمساكين. والغاصب عند المعتزلة فاسق مخلد فى النار ، وقد أكفره سائر المعتزلة فى قوله بتولد فعل

---

(١) من علماء المعتزلة المقدمين فيهم. أخذ الاعتزال عن بشر بن المعتمر . قيل: إنه كان من أحسن عباد الله قصصا ، وأفصحهم منطقا ، وأثبتهم كلاما . وقد تزهد ويسمى راهب المعتزلة . وله بين معتزلة بغداد مكانة عالية ومات سنة ٢٢٦ هـ .

(٢) الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

واحد من فاعلين . وقد أكفر هو أبا الهذيل فى قوله بفناء مقدورات الله عز وجل . وصنف فيه كتابا ، وأكفر أستاذه بشر بن المعتمر فى قوله بتوليد الألوان والطعوم ، والروائح ، والإدراكات . وأكفر النظام فى قوله بأن المتولدات من فعل الله . وقال : يلزمه أن يكون قول النصارى : المسيح ابن الله من فعل الله . فهذا راهب المعتزلة قد قال بتكفير شيوخه وقال شيوخه بتكفيره . وكلا الفريقين محق بتكفير صاحبه .

ذكر الجعفرية منهم : هؤلاء أتباع جعفرين أحدهما : جعفر بن حرب[1] ، والآخر جعفر بن مبشر[2] ، وكلاهما للضلالة رأس وللجهالة أساس . فأما جعفر بن مبشر فإنه زعم أن فى فساق هذه الأمة من هو شر من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والزنادقة . هذا مع قوله بأن الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر فجعل الموحد الذى ليس بكافر شراً من الثنوى الكافر . وأقل ما نقابل به على هذا القول أن نقول له : إنك عندنا شر من كل كافر على بسيط الأرض . وزعم أيضا أن إجماع الصحابة على ضرب شارب الخمر الحد وقع خطأ . لأنهم أجمعوا عليه برأيهم فشارك ببدعته هذه نجدات الخوارج فى إنكارها حد الخمر . وقد أجمع فقهاء الأمة على تكفير من أنكر حد الخمر ، وإنما اختلفوا فى حد شارب النبيذ إذا لم يسكر منه . فأما إذا سكر منه فعليه الحد عند فريق الرأى والحديث على رغم من أنكر ذلك . وزعم ابن مبشر أيضاً أن من سرق حبة أو ما دونها فهو فاسق مخلد فى النار . وخالف بذلك أسلافه الذين قالوا بغفران الصغائر عند اجتناب الكبائر . وزعم أيضا أن تأبيد المذنبين فى النار من موجبات العقول . وخالف بذلك أسلافه الذين قالوا إن ذلك معلوم بالشرع دون العقل . وزعم أيضا أن رجلا لو بعث إلى امرأة يخطبها ليتزوجها وجاءته المرأة فوثب عليها فوطئها من غير عقد إنه لا حد عليها . لأنها جاءته على سبيل النكاح، وأوجب الحد على الرجل لأنه قصد الزنى ، ولم يعلم هذا الجاهل أن المطاوعة للزانى زانية إذا لم تكن مكرهة ، وإنما اختلف الفقهاء فيمن أكره امرأة على الزنى . فمنهم : من أوجب للمرأة مهراً وأوجب على الرجل حداً وبه قال الشافعى وفقهاء الحجاز . ومنهم : من أسقط الحد عن الرجل لأجل وجوب المهر عليه ولم يقل أحد من سلف الأمة بسقوط الحد عن المطاوعة للزانى كما قال ابن مبشر . وكفاه بخلاف الإجماع خزيا .

وأما جعفر بن حرب فإنه جرى على ضلالات أستاذه المردار وزاد عليه قوله : بأن

---

(١) من رجال الطبقة السابعة من المعتزلة له كتب فى الجلى من علم الكلام والدقيق ومات سنة ٢٣٤ هـ .

(٢) بلغ فى العلم والعمل حداً كبيراً حتى كان يضرب به وبجعفر بن حرب المثل . ومات سنة ٢٣٦ هـ

بعض الجملة غير الجملة . وهذا يوجب عليه أن تكون الجملة غير نفسها إذا كان كل بعض منها غيرها . وكان يزعم أن الممنوع من الفعل قادر على الفعل وليس يقدر على شيء . هكذا حكى عنه الكعبي في مقالاته ويلزمه على هذا الأصل أن يجيز كون العالم بشيء ليس غير عالم به .

قال عبد القاهر : لابن حرب كتاب في بيان ضلالاته وقد نقضنا عليه وسمينا نقضنا عليه بكتاب « الحرب على ابن حرب » وفيه نقض أصوله وفصوله بحمد الله ومنه .

ذكر الإسكافية منهم : هؤلاء أتباع محمد بن عبد الله الإسكافي[1] وكان قد أخذ ضلالاته في القدر عن جعفر بن حرب ثم خالفه في بعض فروعه . وزعم أن الله تعالى يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين ، ولا يوصف بالقدرة على ظلم العقلاء . فخرج عن قول النظام بأنه لا يقدر على الظلم والكذب ، وخرج عن قول من قال من أسلافه أنه يقدر على الظلم والكذب ولكنه لا يفعلهما لعلمه بقبحهما وغناه عنهما . وجعل بين القولين منزلة فزعم أنه إنما يقدر على ظلم من لا عقل له ولا يقدر على ظلم العقلاء . وأكفره أسلافه في ذلك وأكفرهم هو في خلافه . ومن تدقيقه في ضلالاته قوله : بأنه يجوز أن يقال إن الله يكلم العباد ، ولا يجوز أن يقال إنه يتكلم وسماه مكلما ولم يسمه متكلما . وزعم أن متكلما يوهم أن الكلام قام به ومكلم لا يوهم ذلك كما أن متحركا يقتضي قيام الحركة به ومتكلما يقتضي قيام الكلام به . فصحيح عندنا أن كلام الله تعالى عندنا قائم به . وأما أسلافه من القدرية فإنهم يقولون له إن اعتلالك هذا يوجب عليك أن يكون المتكلم من بدن الإنسان لسانه فحسب لأن الكلام عندك يحل فيه . بل يوجب عليك إحالة إجراء اسم المتكلم على شيء لأن الكلام عندك وعند سائر المعتزلة له حروف ولا يصح أن يكون حرف واحد كلاما ومحل كل حرف من حروف الكلام غير محل الحرف الآخر فيجيء على اعتلالك أن لا يكون الإنسان متكلما ولا جزءاً منه على قواعد اعتلالك إن الله تعالى لم يكن متكلما لأن الكلام لا يقوم به عندك . وقد فخم بعض المعتزلة من الإسكافي بأن زعم أن محمد بن الحسن[2] رآه ماشياً فنزل عن فرسه . وهذا كذب من قائله لأن الإسكافي لم يكن في زمان محمد بن الحسن . ومات محمد بن الحسن بالري في خلافة هارون الرشيد ولم يدرك الإسكافي زمان الرشيد ولو أدرك زمان محمد لم يكن محمد

(١) كان خياطا وكان عمه وأمه يمنعانه من طلب العلم وضمه جعفر بن حرب إليه وكان يبعث إلى أمه كل شهر عشرين ديناراً . ومات سنة ٢٤٠ هـ .

(٢) قاضي القضاة . توفي وهو بصحبة الرشيد بالري سنة ١٨٩ هـ .

بنزول مثله عن فرسه مع تكفيره إياه . وقد روى هشام بن عبيد الله الرازى[١] عن محمد بن الحسن : أن من صلى خلف المعتزلى يعيد صلاته . وروى هشام أيضا عن يحيى بن أكثم[٢] عن أبى يوسف[٣] أنه سئل عن المعتزلة . فقال : هم الزنادقة. وقد أشار الشافعى فى كتاب القياس إلى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وأهل الأهواء . وبه قال مالك وفقهاء المدينة. فكيف يصح من أئمة الإسلام إكرام القدرية بالنزول لهم مع قولهم بتكفيرهم ؟ !

ذكر الثمامية منهم : هؤلاء أتباع ثمامة بن أشرس النميرى[٤] من مواليهم . وكان زعيم القدرية فى زمان المأمون ، والمعتصم[٥] ، والواثق[٦] . وقيل إنه هو الذى أغوى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال . وانفرد عن سائر أسلاف المعتزلة ببدعتين أكفرته الأمة كلها فيهما . إحداهما : أنه لما شاركه أصحاب المعارف فى دعواهم أن المعارف ضرورية زعم أن من لم يضطره الله تعالى إلى معرفته لم يكن مأموراً بالمعرفة ولا منهيا عن الكفر وكان مخلوقا للسخرة والاعتبار فحسب كسائر الحيوانات التى ليست بمكلفة . وزعم لأجل ذلك أن عوام الدهرية ، والنصارى ، والزنادقة يصيرون فى الآخرة ترابا . وزعم أن الآخرة إنما هى دار ثواب أو عقاب وليس فيها لمن مات طفلا ولا لمن لا يعرف الله تعالى بالضرورة طاعة يستحقون بها ثوابا ، ولا معصية يستحقون عليها عقاباً فيصيرون حينئذ ترابا إذ لم يكن لهم حظ فى ثواب ولا عقاب والبدعة الثانية من بدع ثمامة قوله بأن الأفعال المتولدة أفعال لا فاعل لها . وهذه الضلالة تجر إلى إنكار صانع العالم لأنه لو صح وجود فعل بلا فاعل لصح وجود كل فعل بلا فاعل . ولم يكن حينئذ فى الأفعال دلالة على فاعلها ، ولا كان فى حدوث العالم دلالة على صانعه كما لو أجاز إنسان وجود كتابة لا من كاتب ، ووجود مبنى أو منسوخ لا من بان ، أو ناسخ . ويقال له : إذا كان كلام الإنسان عندك متولداً ولا فاعل له عندك فلم تلوم الإنسان على كذبه وعلى كلمة الكفر ؟ وهو عندك غير فاعل للكذب ولا لكلمة الكفر .

ومن فضائح ثمامة أيضا أنه كان يقول فى دار الإسلام : إنها دار شرك وكان يحرم

---

(١) كان كثير العلم والرواية قال: أنفقت فى طلب العلم سبعمائة ألف درهم ومات سنة ٢٢١ هـ.
(٢) أحد الأعلام . تقلد القضاء للأمين ومات بالربذة عائدا من الحج سنة ٢٤١ هـ .
(٣) صاحب أبى حنيفة أول من قيل له قاضى القضاة كان يحب أهل الحديث توفى سنة ١٨٢ هـ.
(٤) اتصل بالرشيد وتمكن منه ورافقه وأوغر صدره على محمد بن سليمان ومات سنة ١٧٣ هـ
(٥) هو ابن هارون الرشيد الخليفة العباسى توفى سنة ٢٢٧ هـ .
(٦) هو هارون بن المعتصم الخليفة العباسى وتوفى سنة ٢٣٢ هـ .

السبى لأن المسبى عنده ما عصى ربه إذا لم يعرفه. وإنما العاصى عنده من عرف ربه بالضرورة ثم جحده أو عصاه. وفى هذا إقرار منه على نفسه بأنه ولد زنى لأنه كان من الموالى وكانت أمه مسبية ووطء من لا يجوز سبيها على حكم السبى الحرام زنى. والمولود منه ولد زنى: فبدعة ثمامة على هذا التقدير لائقة بنسبه، وقد حكى أصحاب التواريخ عن سخافة ثمامة ومجونه أموراً عجيبة:

منها: ما ذكره عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتاب «تأويل مختلف الحديث» ذكر فيه أن ثمامة بن أشرس رأى الناس يوم جمعة يتعادون إلى المسجد الجامع لخوفهم فوت الصلاة، فقال لرفيق له: انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر. ثم قال: ماذا صنع ذلك العربى بالناس؟. يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحكى الجاحظ فى كتاب المضاحك: أن المأمون ركب يوما فرأى ثمامة سكران قد وقع فى الطين. فقال له: ثمامة؟! قال: أى والله. قال: ألا تستحى ..؟ قال: لا والله. قال: عليك لعنة الله. قال: تترى. ثم تترى.

وذكر الجاحظ أيضا: إن غلام ثمامة قال يوما لثمامة: قم: صل. فتغافل. فقال له: قد ضاق الوقت فقم وصل واسترح. فقال. أنا مستريح إن تركتنى.

وذكر صاحب تاريخ المراوزة: أن ثمامة بن أشرس سعى إلى الواثق بأحمد بن نصر المروزى[١] وذكر له أنه يكفر من ينكر رؤية الله تعالى، ومن يقول بخلق القرآن فاعتصم المعتصم ببدعة القدرية فقتله. ثم ندم على قتله، وعاتب ثمامة، وابن دؤاد[٢]، وابن الزيات[٣] فى ذلك وكانوا أشاروا عليه بقتله. فقال له ابن الزيات: وإن لم يكن قتله صوابا فقتلنى الله تعالى بين الماء والنار. وقال ابن أبى دؤاد: حبسنى الله فى جلدى إن لم يكن قتله صوابا. وقال ثمامة: سلط الله تعالى على السيوف إن لم تكن أنت مصيبا فى قتله

---

(١) كان من أولاد أمراء الدولة. وكان رأسا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقام ومعه خلق من المطوعة. وقد قتله الواثق بيده لامتناعه عن القول بخلق القرآن وأغاظ له الخطاب وقتل سنه ٢٣١ هـ.

(٢) كان فصيحا شاعرا جوادا، وكان أسا من رءوس الجهمية والمعتزلة وهو الذى أفتى بقتل الإمام ابن حنبل. ومات بالفالج سنه ٢٤٠ هـ بعد غضب المتوكل العباسى عليه ومصادرة أمواله.

(٣) الوزير الظالم عمل للمعتصم والواثق والمتوكل. كان جهميا. وكان أديبا شاعرا وقبض عليه المتوكل وعذبه وسجنه حتى مات سنة ٢٣٣ هـ.

فاستجاب الله تعالى دعاء كل واحد منهم فى نفسه . أما ابن الزيات فإنه دخل فى الحمام وسقط فى أتونه فمات بين الماء والنار . وأما ابن أبى دؤاد فإن المتوكل رحمه الله حبسه فأصابه فى حبسه الفالج فبقى فى جلده محبوساً بالفالج إلى أن مات . وأما ثمامة فإنه خرج إلى مكة فرآه الخزاعيون بين الصفا والمروة فنادى رجل منهم فقال : يا آل خزاعة . هذا الذى سعى بصاحبكم أحمد بن نصر ، وسعى فى دمه . فاجتمع عليه بنو خزاعة بسيوفهم حتى قتلوه . ثم أخرجوا جيفته من الحرم فأكلته السباع خارجا من الحرم . فكان كما قال الله تعالى : « فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا[١] » .

ذكر الجاحظية منهم : هؤلاء أتباع عمرو بن بحر الجاحظ[٢] وهم الذين اغتروا بحسن بيان الجاحظ فى كتبه التى لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول . ولو عرفوا جهالاته فى ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنسانا فضلا عن أن ينسبوا إليه إحسانا .

فمن ضلالاته المنسوبة إليه ماحكاه الكعبى عنه فى مقالاته مع افتخاره به من قوله : إن المعارف كلها طباع وهى مع ذلك فعل للعباد وليست باختيار لهم ، قالوا ووافق ثمامة فى أن لا فعل للعباد إلا الإرادة وأن سائر الأفعال تنسب إلى العباد على معنى أنها وقعت منهم طباعا وأنها وجبت بإرادتهم . قال : وزعم أيضا أنه لا يجوز أن يبلغ أحد فلا يعرف الله تعالى . والكفار عنده ما بين معاند وعارف قد استغرقه حبه لمذهبه فهو لا يشكر بما عنده من المعرفة بخالقه وتصديق رسله فإن صدق الكعبى على الجاحظ فى أن لا فعل للإنسان إلا الإرادة لزمه أن لا يكون الإنسان مصلياً ، ولا صائما ، ولا حاجا ، ولا زانيا ، ولا سارقا ، ولا قاذفا ، ولا قاتلا . لأنه لم يفعل عنده صلاة ، ولا صوما . ولا حجا ، ولا زنى ، ولا سرقة ، ولا قتلا ، ولا قذفا : لأن هذه الأفعال عنده غير الإرادة وإذا كانت هذه الأفعال التى ذكرناها عنده طباعا لا كسبا لزمه أن لا يكون للإنسان عليها ثواب ولا عقاب لأن الإنسان لا يثاب ولا يعاقب على مالا يكون كسبا له كما لا يثاب ولا يعاقب على لونه وتركيب بدنه إذ لم يكن ذلك من كسبه .

---

(١) الآية ٩ من سورة الطلاق .

(٢) الأديب المشهور ، كان معتزليا ، وأكثر أهل طبقته تأليفا ، وله ولمؤلفاته منزلة سامية عند أهل الأدب رغم زيغه ، وكان ابن حزم يثق فى نقله ، ومات سنة ٢٥٦ هـ .

ومن فضائح الجاحظ أيضا قوله : باستحالة عدم الأجسام بعد حدوثها . وهذا يوجب القول بأن الله سبحانه وتعالى يقدر على خلق شيء ولا يقدر على إفنائه . وأنه لا يصح بقاؤه بعد أن خلق الخلق منفرداً كما كان منفرداً قبل أن خلق الخلق . ونحن وإن قلنا إن الله لايفنى الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها ولسنا نجعل ذلك بأن الله عز وجل غير قادر على إفناء ذلك كله ، وإنما نقول بدوام الجنة والنار بطريق الخبر .

ومن فضائح الجاحظ أيضا قوله : بأن الله لايدخل النار أحداً وإنما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها ، ثم تمسكهم فى نفسها على الخلود . ويلزمه على هذا القول أن يقول فى الجنة أنها تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها وأن الله لايدخل أحداً الجنة . فإن قال بذلك قطع الرغبة إلى الله فى الثواب وأبطل فائدة الدعاء . وإن قال : إن الله تعالى هو يدخل أهل الجنه الجنة لزمه القول بأن يدخل النار أهلها . وقد افتخر الكعبى بالجاحظ وزعم أنه من شيوخ المعتزلة وافتخر بتصانيفه الكثيرة وزعم أنه كنانى من بنى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . فيقال له : إن كنت كنانياً كما زعمت فلم صنفت كتاب مفاخر القحطانية على الكنانية وسائر العدنانية . وإن كنت عربياً فلم صنفت كتاب فضل الموالى على العرب . وقد ذكر فى كتابه المسمى « بمفاخر قحطان على عدنان » أشعاراً كثيرة من هجاء القحطانيه للعدنانية . ومن رضى بهجو آبائه كمن هجا أباه . وقد أحسن جحظة فى هجاء ابن بسام [1] الذى هجا أباه فقال : من كان يهجو أباه . فهجوه قد كفاه . لو أنه من أبيه . ما كان يهجو أباه . وأما كتبه المزخرفة فأصناف . منها : كتاب فى « حيل اللصوص » وقد علم بها الفسقة وجوه السرقة . ومنها : كتابه فى « غش الصناعات » وقد أفسد به على التجار سلعهم . ومنها : كتاب فى « النواميس » وهو ذريعة للمحتالين يجتلبون بها ودائع الناس وأموالهم . ومنها : كتابه فى « الفتيا » وهو مشحون بطعن أستاذه النظام على أعلام الصحابة . ومنها : كتبه فى « القحاب » و « الكلاب » و « اللاطة » وفى « حيل المكدين » ومعانى هذه الكتب لائقة به وبصفته وأسرته . ومنها : كتاب « طبائع الحيوان » وقد سلخ فيه معانى كتاب « الحيوان » لأرسطاطاليس [2] وضم إليه ماذكره المدائنى [3] من حكم العرب

(١) على بن محمد بن ناصر بن منصور بن بسام . كاتب معروف . توفى سنة ٣٠٢ هـ .

(٢) فيلسوف يونانى مشهور . كان تلميذا لأفلاطون . ثم وزيرا للاسكندر المقدونى ومؤدبا له .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد ، الأخبارى المشهور . له مؤلفات كثيرة توفى سنة ٢٢٥هـ .

وأشعارها فى منافع الحيوان ثم أنه شحن الكتاب بمناظرة بين الكلب والديك والاشتغال بمثل هذه المناظرة يضيع الوقت بالغث ومن افتخر بالجاحظ سلمناه إليه وقول أهل السنة فى الجاحظ كقول الشاعر فيه : —

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بنفسه وهو القذى فى كل طرف لاحظ[1]

ذكر الشحامية منهم : هؤلاء أتباع أبى يعقوب الشحام[2] وكان أستاذ الجبائى وضلالاته كضلالات الجبائى غير أنه أجاز كون مقدور واحد لقادرين وامتنع الجبائى وابنه من ذلك وقد ظن بعض الأغبياء أن قول الشحام كقول الصفاتية فى مقدور لقادرين وبين القولين فرق واضح وذلك : أن الشحام أجاز كون مقدور واحد لقادرين يصح أن يحدثه كل واحد منهما على البدل . وكذلك حكاه الكعبى فى كتاب عيون المسائل على أبى الهذيل . والصفاتية لا يثبتون خالقين وإنما يجيزون كون مقدور واحد لقادرين . أحدهما : خالقه ، والآخر : مكتسب له . وليس الخالق مكتسبا ولا المكتسب خالقا . وفى هذا بيان الفرق بين الفريقين على اختلاف الطريقين

ذكر الخياطية منهم : هؤلاء أتباع أبى الحسن الخياط[3] الذى كان أستاذ الكعبى فى ضلالته وشارك الخياط سائر القدرية فى أكثر ضلالاتها وانفرد عنهم بقول لم يسبق إليه فى المعدوم وذلك أن المعتزلة اختلفوا فى تسمية المعدوم شيئاً ، منهم من قال : لا يصح أن يكون المعدوم معلوما ومذكورا ، ولا يصح كونه شيئاً ولا ذاتاً ، ولا جوهرا ، ولا عرضا وهذا

---

(١) ويروى هذا البيت هكذا :

رجل يدل على الجحيم بوجهه وهو القذى فى عين كل ملاحظ

(٢) من أصحاب أبى الهذيل وإليه انتهت رياسة المعتزلة فى البصرة . واختير ناظرا على الفضل ابن مروان فكف يده عن الظلم . وكان الواثق قد أمر أن يجعل مع أصحاب الدواوين رجالا من المعتزلة لينصفوا المتظلمين .

(٣) من رجال الطبقة الثامنة . له كتب كثيرة فى النقض على ابن الراوندى . وكان فقيهاً صاحب حديث وله كتاب « الانتصار » يرد به على فضيحة المعتزلة لابن الراوندى ويحاول تبرئتهم وتوفى سنة ٢٩٠ هـ .

اختيار الصالحي منهم وهو موافق لأهل السنة في المنع في تسمية المعدوم شيئاً . وزعم آخرون من المعتزلة أن المعدوم شيء ومعلوم ومذكور وليس بجوهر ولا عرض وهذا اختيار الكعبي منهم . وزعم الجبائي وابنه أبو هاشم أن كل وصف يستحقه الحادث لنفسه أو لجنسه فإن الوصف ثابت له في حال عدمه ، وزعم أن الجوهر كان في حال عدمه جوهراً ، وكان العرض في حال عدمه عرضاً ، وكان السواد سواداً ، والبياض بياضاً في حال عدمهما . وامتنع هؤلاء كلهم عن تسمية المعدوم جسماً من قبل أن الجسم عندهم مركب وفيه تأليف وطول، وعرض، وعمق، ولا يجوز وصف معدوم بما يوجب قيام معنى به . وفارق الخياط في هذا الباب جميع المعتزلة وسائر فرق الأمة فزعم أن الجسم في حال عدمه يكون جسماً لأنه يجوز أن يكون في حال حدوثه جسماً ولم يجز أن يكون المعدوم متحركاً لأن الجسم في حال حدوثه لا يصح أن يكون متحركاً عنده فقال : كل وصف يجوز ثبوته في حال الحدوث فهو ثابت له في حال عدمه ويلزمه على هذا الاعتلال أن يكون الإنسان قبل حدوثه إنساناً لأن الله تعالى لو أحدثه على صورة الإنسان بكمالها من غير نقل له في الأصلاب والأرحام ، ومن غير تغيير له من صورة إلى صورة أخرى يصح ذلك . وكان هؤلاء الخياطية يقال لهم المعدومية لإفراطهم بوصفهم المعدوم بأكثر أوصاف الموجودات. وهذا اللقب لائق بهم ، وقد نقض الجبائي على الخياط قوله بأن الجسم جسم قبل حدوثه في كتاب مفرد . وذكر أن قوله بذلك يؤديه إلى القول بقدم الأجسام . وهذا الإلزام متوجه على الخياط ويتوجه مثله على الجبائي وابنه في قولهما بأن الجواهر والأعراض كانت في حال العدم أعراضاً وجواهر فإذا قالوا : لم تزل أعياناً وجواهر وأعراضاً ، ولم يكن حدوثها لمعنى سوى أعيانها فقد لزمهم القول بوجودها في الأزل وصاروا في التحقيق إلى معنى قول الذين قالوا بقدم الجواهر والأعراض ، وكان الخياط مع ضلالته في القدر وفي المعدومات منكر الحجة في أخبار الآحاد وما أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد . وللكعبي عليه كتاب في حجة أخبار الآحاد وقد ضلل فيه من أنكر الحجة فيها. وقلنا الكعبي يكفيك من الخزي والعار انتسابك إلى أستاذ تقر بضلالته .

ذكر الكعبية منهم : هؤلاء أتباع أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي[1] ، وكان حاطب ليل يدعي في أنواع العلوم على الخصوص والعموم ولم يحظ في

(١) أخذ الاعتزال عن أبي الحسين الخياط . وكان الجبائي يفضل الكعبي على الخياط وللكعبي كتاب « المقالات » ، وهو كتاب مشهور ، وتوفي الكعبي سنة ٣١٩ هـ .

شيء منها بأسراره ولم يحط بظاهره فضلا عن باطنه . وخالف البصريين من المعتزلة فى أحوال كثيرة .

منها : أن البصريين منهم أقروا بأن الله تعالى يرى خلقه من الأجسام والألوان وأنكروا أن يرى نفسه كما أنكروا أن يراه غيره وزعم الكعبي أن الله تعالى لا يرى نفسه ولا غيره إلا على معنى علمه بنفسه وبغيره ، وتبع النظام فى قوله : إن الله تعالى لا يرى شيئاً فى الحقيقة .

ومنها : أن البصريين منهم مع أصحابنا فى أن الله عز وجل سامع للكلام والأصوات على الحقيقة لا على معنى أنه عالم بهما . وزعم الكعبي والبغداديون من المعتزلة : أن الله تعالى لا يسمع شيئاً على معنى الإدراك المسمى بالسمع وتأولوا وصفه بالسميع البصير على معنى أنه عليم بالمسموعات التى يسمعها غيره والمرئيات التى يراها غيره .

ومنها : أن البصريين منهم مع أصحابنا فى أن الله عز وجل مريد على الحقيقة غير أن أصحابنا قالوا : إنه لم يزل مريداً بإرادة أزلية ، وزعم البصريون من المعتزلة أنه يريد بإرادة حادثة لا فى محل . وخرج الكعبي والنظام وأتباعهما عن هذين القولين وزعموا أنه ليست لله تعالى إرادة على الحقيقة . وزعموا أنه إذا قيل إن الله عز وجل أراد شيئاً من فعله فمعناه أنه فعله ، وإذا قيل إنه أراد من عنده فعلا فمعناه أنه أمر به . وقالوا : إن وصفه بالإرادة فى الوجهين جميعاً مجاز كما أن وصف الجدار بالإرادة فى قول الله تعالى : « جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً[1] » مجاز وقد أكفرهم البصريون مع أصحابنا فى نفيهم إرادة الله عز وجل .

ومنها : أن الكعبي زعم أن المقتول ليس بميت وعاند قول الله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور[2] » وسائر الأمة مجمعون على أن كل مقتول ميت وأنى يصح ميت غير مقتول ؟ !

ومنها : أن الكعبي على قول من أوجب على الله تعالى فعل الأصلح فى باب التكليف .

ومنها : أن البصريين مع أصحابنا فى أن الاستطاعة معنى غير صحة البدن والسلامة من

---

(١) الآية ٧٧ من سورة الكهف .

(٢) الآية ١٨٥ من سورة آل عمران .

الآفات . وزعم الكعبى أنها ليست غير الصحة والسلامة ، والبصريون من المعتزلة يكفرون البغداديين منهم ، والبغداديون يكفرون البصريين وكلا الفريقين صادق فى تكفير الفريق الآخر كما بيناه فى كتاب « فضائح القدرية » .

ذكر الجبائية منهم : هؤلاء أتباع أبى على الجبائى(١) الذى أضل أهل خوزستان. وكانت المعتزلة البصرية فى زمانه على مذهبه ثم انتقلوا بعده إلى مذهب ابنه أبى هاشم . فمن ضلالات الجبائى أنه سمى الله عز وجل مطيعاً لعبده إذا فعل مراد العبد . وكان سبب ذلك أنه قال يوما لشيخنا أبى الحسن الأشعرى رحمه الله : مامعنى الطاعة عندك ؟ . فقال : موافقة الأمر . وسأله عن قوله فيها . فقال الجبائى : حقيقة الطاعة عندى موافقة الإرادة . وكل من فعل مراد غيره فقد أطاعه . فقال شيخنا أبو الحسن رحمه الله : يلزمك على هذا الأصل أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده إذا فعل مراده فالتزم ذلك فقال له شيخنا رحمه الله : خالفت إجماع المسلمين وكفرت برب العالمين . ولو جاز أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده لجاز أن يكون خاضعا له . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ثم إن الجبائى زعم أن أسماء الله تعالى جارية على القياس . وأجاز اشتقاق اسم له من كل فعل فعله . وألزمه شيخنا أبو الحسن رحمه الله أن يسميه بمحبل النساء لأنه خالق الحبل فيهن فالتزم ذلك . فقال له : بدعتك هذه أشنع من ضلالة النصارى فى تسمية الله أبا لعيسى مع امتناعهم من القول بأنه محبل مريم . ومن ضلالات الجبائى أيضاً أنه أجاز وجود عرض واحد فى أمكنة كثيرة وفى أكثر من ألف ألف مكان ، وذلك أنه أجاز وجود كلام واحد فى ألف ألف محل وزعم أن الكلام المكتوب فى محل إذا كتب فى غيره كان موجوداً فى محلين من غير انتقال منه عن المكان الأول إلى الثانى ومن غير حدوث فى الثانى . وكذلك إن كتب فى ألف مكان أو ألف ألف محل . وزعم هو وابنه أبو هاشم أن الله تعالى إذا أراد أن يفنى العالم خلق عرضاً لا فى محل أفنى به جميع الأجسام والجواهر ، ولا يصح فى قدرة الله تعالى أن يفنى بعض الجواهر مع بقاء بعضها . وقد خلقها تفاريق ولا يقدر على إفنائها تفاريق . وقد حكى أن شيخنا أبا الحسن رحمه الله قال للجبائى : إذا

---

(١) شيخ المعتزلة . كان فقيها ورعا زاهدا . تلقى الاعتزال على أبى يعقوب الشحام ؛ وكان من صغره معروفا بقوة الجدل . توفى سنة ٣٠٣ هـ ، ولم يتفق لأحد من إذعان سائر المعتزلة له والإقرار برياسته بعد العلاف مثل ما اتفق للجبائى .

زعمه أن الله تعالى قد شاء كل ما أمر به فما تقول فى رجل له على غيره حق يماطله فيه ؟ فقال له : والله لأعطينك حقك غداً إن شاء الله ثم لم يعطه حقه فى غده . فقال : يحنث فى يمينه لأن الله تعالى قد شاء أن يعطيه حقه فيه . فقال له : خالفت إجماع المسلمين قبلك لأنهم اتفقوا قبلك على أن من قرن يمينه بمشيئة الله عز وجل لم يحنث إذا لم يقرنه .

ذكر البهشمية : هؤلاء أتباع أبى هاشم[1] بن الجبائى وأكثر معتزلة عصرنا على مذهبه لدعوة ابن عباد[2] وزير آل بويه إليه . ويقال لهم . الذمية . لقولهم: باستحقاق الذم لا على فعل وقد شاركوا المعتزلة فى أكثر ضلالاتها وانفردوا عنهم بفضائح لم يسبقوا إليها .

منها : قولهم باستحقاق الذم والعقاب لا على فعل وذلك أنهم زعموا : أن القادر منها يجوز أن يخلو من الفعل والترك مع ارتفاع الموانع من الفعل والذى ألجأهم إلى ذلك أن أصحابنا قالوا المعتزلة : إذا أجزتم تقدم الاستطاعة على الفعل لزمتكم التسوية بين الوقتين والأوقات الكثيرة فى تقدمها عليه فكانوا يختلفون فى الجواب عن هذا الإلزام . فنهم من كان يوجب وقوع الفعل أو ضده بالاستطاعة فى الحال الثانية من حال حدوث الاستطاعة إلى وقت حدوث الفعل ويوجب وقوع الفعل أو ضده عند عدم الموانع . ويزعم مع ذلك أن القدرة لا تكون قدرته عليه فى حال حدوثه . ومنهم من أجاز عدم القدرة مثل حدوث الفعل ومع حدوث العجز الذى هو ضد القدرة التى قد عدمت بعد وجودها ورأى أبو هاشم ابن الجبائى توجه إلزام أصحابنا عليهم فى التسوية بين الوقتين والأوقات الكثيرة فى جواز تقدم الاستطاعة على الفعل إن جاز تقدمها عليه ولم يجد للمعتزلة عنه انفصالا صحيحا فالتزم التسوية وأجاز بقاء المستطيع أبداً مع بقاء قدرته وتوفر الآلة وارتفاع الموانع عنه خاليا من الفعل والترك . فقيل له : على هذا الأصل أرأيت لو كان هذا القادر مكلفا ومات قبل أن يفعل بقدرته طاعة له ماذا يكون حاله ؟ . فقال : يستحق الذم والعقاب الدائم لا على فعل ولكن من أجل أنه لم يفعل ما أمر به مع قدرته عليه وتوفر الآلة فيه وارتفاع الموانع منه . فقيل له كيف استحق العقاب بأن لم يفعل ما أمر به وإن لم يفعل ما نهى

---

(١) ابن الجبائى . كان ذا علم لم يبلغه أحد فى الكلام . وكان من شدة حرصه يسأل أباه حتى يتأذى به ويظل نهاره يسأله فإذا كان الليل سبقه إلى موضع مبيته ليسأله طول الليل . ومات أبو هاشم سنة ٣٢١ هـ بعد أن صنف الكثير من كتب الجدل .

(٢) الصاحب ابن عباد نادرة الدهر وأعجوبة العصر كما قال ابن خلكان وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء . وقد جمع بين الاعتزال والتشيع ومات سنة ٣٨٥ هـ .

عنه دون أن يستحق الثواب بأن لم يفعل ما نهى عنه وإن لم يفعل ما أمر به . وكان أسلافه من المعتزلة يكفرون من يقول : إن الله تعالى يعذب العاصى على اكتساب معصية لم يخترعها العاصى . وقالوا : الآن إن تكفير أبى هاشم فى قوله بعقاب من ليس فيه معصية لا من فعله ولا من فعل غيره أولى . والثانى أنه سمى من لم يفعل ما أمر به عاصيا وإن لم يفعل معصية ولم يوقع اسم المطيع إلا على من فعل طاعة . ولو صح عاص بلا معصية لصح مطيع بلا طاعة ولصح كافر بلا كفر ، ثم إنه مع هذه البدع الشنعاء زعم أن هذا المكلف لو تغير تغيراً قبيحاً يستحق بذلك قسطين من العذاب . أحدهما : للقبيح الذى فعله . والثانى : لأنه لم يفعل الحسن الذى أمر به ولو تغير تغيراً حسنا وفعل مثل أفعال الأنبياء وكان الله تعالى قد أمره بشىء فلم يفعل ولا فعل ضده لصار مخلدا . وسائر المعتزلة يكفرونه فى هذه المواضع الثلاثة .

أحدها : استحقاق العقاب لا على فعل . والثانى : استحقاق قسطين من العذاب إذا تغير تغيراً قبيحا والثالث : فى قوله : إنه لو تغير تغيرا حسنا وأطاع بمثل طاعة الأنبياء عليهم السلام ولم يفعل شيئاً واحدا مما أمره الله تعالى به ولا ضده لاستحق الخلود فى النار . وألزمه أصحابنا فى الحدود مثل قوله فى القسطين حتى يكون عليه حدان حد الزنى الذى قد فعله ، والثانى لأنه لم يفعل ما وجب عليه من ترك الزنى . وكذلك القول فى حدود القذف والقصاص ، وشرب الخمر ، وألزموه إيجاب كفارتين على المفطر فى شهر رمضان .

إحداهما : لفطره الموجب للكفارة . والثانية بأن لم يفعل ما وجب عليه من الصوم والكف عن الفطر فلما رأى ابن الجبائى توجه هذا الإلزام عليه فى بدعته هذه ارتكب ما هو أشنع منها فراراً من إيجاب حدين وكفارتين فى فعل واحد فقال : إنما نهى عن الزنى والشرب ، والقذف . فأما ترك هذه الأفعال فغير واجب عليه . وألزموه أيضا القول بثلاثة أقساط وأكثر لا إلى نهاية لأنه أثبت قسطين فيما هو متولد عنده قسطا لأنه لم يفعله ، وقسطا لأنه لم يفعل سببه وقد وجدنا من المسببات ما يتولد عنده من أسباب كثيرة بتقدمه كإصابة الهدف بالسهم فإنها يتولد عنده من حركات كثيرة يفعلها الرمى فى السهم ، وكل حركة منها سبب لما يليها إلى الإصابة . ولو كانت مائة حركة فالمائة منها سبب الإصابة فيبقى على أصله إذا أمره الله تعالى بالإصابة فلم يفعلها أن يستحق مائة قسط وقسطاً آخر الواحد منها إن لم يفعل الإصابة والمائة لأنه لم يفعل تلك الحركات . ومن أصله أيضاً أنه إذا كان مأموراً بالكلام فلم يفعله استحق عليه قسطين قسطا لأنه لم يفعل الكلام

وقسطا لأنه لم يفعل سببه ولو أنه فعل ضد سبب الكلام لاستحق قسطين . وقام عند اعتده مقام السبب الذى لم يفعله فقلنا له : هل استحق ثلاثة أقساط . قسطا لأنه لم يفعل هذا الكلام، وقسطا لأنه لم يفعل سببه ، وقسطا لأنه ضد سبب الكلام . وقد حكى بعض أصحابنا عنه أنه لم يكن يثبت القسطين إلا فى ترك سبب الكلام وحده . وقد نص فى كتاب ، استحقاق الذم ، على خلافه وقال فيه كل ماله ترك مخصوص فحكمه حكم سبب الكلام . وما ليس له ترك مخصوص فحكمه حكم ترك العطية الواجبة كالزكاة ، والكفارة ، وقضاء الدين ، ورد المظالم ، وأراد بهذا أن الزكاة ، والكفارة ، وما أشبههما لا تقع بجارحة مخصوصة ولا له ترك واحد مخصوص . بل لو صلى ، أو حج ، أو فعل غير ذلك كان جميعه تركا للزكاة ، والكلام سبب تركه مخصوص فكان تركه قبيحا فإذا ترك سبب الكلام استحق لأجله قسطا . وليس للعطية ترك قبيح فلم يستحق عليه قسطا آخر أكثر من أن يستحق الذم لأنه لم يؤد فيقال له : إن لم يكن ترك الصلاة والزكاة قبيحاً وجب أن يكون حسنا . وهذا خروج عن الدين فما يؤدى إليه مثله . ومن مناقضاته فى هذا الباب أنه سمى من لم يفعل ماوجب عليه ظالما ، وإن لم يوجد منه ظلم . وكذلك سماه كافراً ، وفاسقا وتوقف فى تسميته إياه عاصيا وأجاز أن يخلد الله فى النار عبداً لم يستحق اسم عاص وتسميته إياه فاسقا ، وكافراً يوجب عليه تسميته بالعاصى ، وامتناعه من هذه التسمية يمنعه من تسميته فاسقاً وكافراً ، ومن مناقضاته فيه أيضاً ما خالف فيه الإجماع بفرقه بين الجزاء والثواب حتى أنه قال : يجوز أن يكون فى الجنة ثواب كثير لا يكون جزاء ويكون فى النار عقاب كثير لا يكون جزاء ، وإنما امتنع من تسميته جزاء لأن الجزاء لا يكون إلا على فعل وعنده أنه قد يكون عقاب لا على فعل . وقيل له إذا لم يكن جزاء إلا على فعل فما تنكر أنه لا ثواب ولا عقاب إلا على فعل .

والفضيحة الثانية : من فضائح أبى هاشم قوله باستحقاق الذم والشكر على فعل الغير فزعم أن زيداً لو أمر عمراً بأن يعطى غيره فأعطاه استحق الشكر على فعل الغير من قابض العطية على العطية التى هى فعل غيره وكذلك لو أمره بمعصية ففعلها لا يستحق الذم على نفس المعصية التى هى فعل غيره . وليس قوله فى هذه كقول سائر فرق الأمة أنه يستحق الشكر أو الذم على أمره إياه به لا على فعل المأمور به الذى هو فعل غيره . وهذا المبتدع يوجب له شكرين أو ذمين ، أحدهما : على الأمر الذى هو فعله والآخر : على المأمور به الذى هو فعل غيره وكيف يصح هذا القول على مذهبه مع إنكاره على أصحاب الكسب قولهم

بأن الله تعالى يخلق اكتساب عباده ثم يثيبهم أو يعاقبهم عليها ويقال له : ما أنكرت على هذا الأصل الذى هو فعل غيره انفردت به من قول الأزارقة : ان الله تعالى فيعذب طفل المشرك على فعل أبيه . وقيل إذا أجزت ذلك فأجز أن يستحق العبد الشكر والثواب على فعل فعله الله تعالى عند فعل العبد مثل : أن يسقى أو يطعم من قد أشرف على الهلاك فيعيش ويحيى فيستحق الشكر والثواب على نفس الحياة والشبع والرى الذى هو من فعل الله تعالى.

والفضيحة الثالثة : من فضائحه قوله فى التوبة إنها لا تصح مع ذنب مع الإصرار على قبيح آخر يعلمه قبيحا أو يعتقده قبيحاً وإن كان حسنا . وزعم أيضا أن التوبة من الفضائح لا تصح من الإصرار على منع حبة تجب عليه وعول فيه على دعواه فى الشاهد : إن من قتل ابناً لغيره وزنى بحرمته يحسن منه قبوله توبة من أحد الذنبين مع إصراره على الآخر وهذه دعوى غير مسلمة له فى الشاهد . بل يحسن فى الشاهد قبوله التوبة من ذنب مع العقاب على الآخر كالإمام يعقه ابنه ، ويسرق أموال الناس ، ويزنى بجواريه ثم يعتذر إلى أبيه فى العقوق فيقبل توبته فى العقوق عقوقه وفيما خانه فيه من ماله ، ويقطع يده فى مال غيره ، ويجلده فى الزنى . ومما عول عليه فى هذا الباب قوله : إنما وجب عليك ترك القبيح لقبحه فإذا أصر على قبح آخر لم يكن تاركا للقبيح المتروك من أجل قبحه . وقلناله ماتنكر أن يكون وجوب ترك القبيح لإزالة عقابه عن نفسه فيصح خلاصه من عقاب ما تاب عنه وإن عوقب على ما لم يتب عنه . وقلنا له : أكثر ما فى هذا الباب أن يكون التائب عن بعض ذنوبه قد ناقض وتاب عن ذنبه لقبحه وأصر على قبيح آخر فلم تصح توبته من الذى تاب منه . كما أن الخارجى وغيره ممن يعتقد اعتقادات فاسدة وعنده أنها حسنة يصح عندك من التوبة عن قبائح يعلم قبحها مع إصراره على قبائح قد اعتقد حسنها ويلزمك على أصلك هذا إذا قلت إنه مأمور باجتناب كل ما اعتقده قبيحا أن تقول فى الواحد منا إذا اعتقد قبح مذاهب أبى هاشم وزنى ، وسرق أن لا يصح توبته إلا بترك جميع ما اعتقده قبيحا فيكون مأمورا باجتناب الزنى والسرقة وباجتناب مذاهب أبى هاشم كلها لاعتقاده قبحها وقد سأله أصحابنا عن يهودى أسلم وتاب عن جميع القبائح غير أنه أصر على منع حبة فضة من مستحقها عليه من غير استحلالها ولا جحود لها هل صحت توبته من الكفر ؟ فإن قال نعم . نقض اعتلاله . وإن قال : لا . عاند إجماع الأمة ومن قوله أنه لم يصح إسلامه وأنه كافر على يهوديته التى كانت قبل توبته ثم أنه لم تجر عليه أحكام اليهود فزعم أنه غير تائب من اليهودية بل هو مصر عليها وهو مع ذلك ليس يهوديا . وهذه مناقضة بينة . وقيل له

إن كان مصراً على يهوديته فأبيح ذبيحته وخذ الجزية منه . وذلك خلاف قول الأمة .

والفضيحة الرابعة : من فضائحه قوله فى التوبة أيضا إنها لا تصح عن الذنب بعد العجز عن مثله فلا يصح عنده توبة من خرس لسانه عن الكذب ، ولا توبة من جب ذكره عن الزنى . وهذا خلاف قول جميع الأمة قبله وقيل له : أرأيت لو اعتقد أنه لو كان له لسان وذكر الكذب وزنى كان ذلك من معصيته ؟ فإذا قال : نعم . قيل فكذلك إذا اعتقد أنه لو كان له آلة الكذب والزنى لم يعص الله تعالى بهما وجب أن يكون ذلك من طاعة وتوبة وكان أبو هاشم مع إفراطه فى الوعيد أفسق أهل زمانه وكان مصراً على شرب الخمر وقيل إنه مات فى سكره حتى قال فيه بعض المرجئة : —

يعيب القول بالإرجاء حتى يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوى الإرجاء جرما وعيدى أصر على الكبائر

والفضيحة الخامسة : من فضائحه قوله فى الإرادة المشروطة وأصلها عنده قوله : بأنه لا يجوز أن يكون شىء واحد مراداً من وجه مكروهاً من وجه آخر ، والذى ألجأه إلى ذلك أنه تكلم على من قال بالجهات فى الكسب والخلق فقال : لا تخلو الوجهة التى هى الكسب من أن تكون موجودة أو معدومة فإن كان ذلك الوجه معدوما كان فيه إثبات شىء واحد موجودا ومعدوما،وإن كان موجودا لم يخل من أن يكون مخلوقا أم لا . فإن كان مخلوقا ثبت أنه مخلوق من كل وجه وإن لم يكن مخلوقا صار الفعل قديما من وجه مخلوقا من وجه آخر . وهذا محال . فألزم على هذا كون الشىء مرادا من وجه مكروها من وجه آخر وقيل له : إن الإرادة عندك لا تتعلق بالشىء إلا على جهة الحدوث وكذلك الكراهة . فإذا كان مرادا من جهة مكروها من جهة أخرى وجب أن يكون المريد قد أراد ما أراد وكره ما أراد وهذا متناقض . فقال : لا يكون المريد للشىء مريدا له إلا من جميع وجوهه حتى لا يجوز أن يكرهه من وجه . فالزم عليه المعلوم والمجهول إذ لا ينكر كون شىء واحد معلوما من وجه مجهولا من وجه آخر . ولما ارتكب قوله بأن الشىء الواحد لا يكون مرادا من جهة مكروها من جهة أخرى حلت على نفسه مسائل فيها هدم أصول المعتزلة . وقد ارتكب أكثرها .

منها : أنه يلزمه أن يكون من القبائح العظام ما لم يكرهه الله تعالى أو من الحسن الجميل ما لم يرده . وذلك : أنه إذا كان السجود لله تعالى يكون عبادة له والسجود للصنم يكون عبادة للصنم مع أن السجود للصنم قبيح عظيم ، والسجود لله حسن جميل .وكذلك: إذا أراد

أن يكون القول بأن محمدا رسول الله إخبارا عن محمد بن عبد الله وجب أن لا يكرهه أن يكون إخبارا عن محمد آخر مع كون ذلك كفرا . ولزمه إذا كره الله تعالى أن يكون السجود عبادة للصنم أن لا يريد كونه عبادة لله تعالى مع كونه عبادة لله طاعة حسنة وركب هذا كله وذكر فى « جامعه الكبير » أن السجود للصنم لم يكرهه الله تعالى وأبى أن يكون الشىء الواحد مرادا مكروها من وجهين مختلفين . وقال فيه : أما أبو على يعنى أباه فإنه يجيز ذلك وهو عندى غير مستمر على الأصول لأن الإرادة لا تتناول الشىء إلا على طريق الحدوث عندنا وعنده فلو أراد حدوثه وكره لوجب أن يكون قد كره ما أراد . اللهم إلا أن يكون له حدوثان . وهذا الذى عول عليه على أصلنا باطل لأن الإرادة عندنا قد تتعلق بالمراد على وجه الحدوث وعلى غير وجه الحدوث وليس يلزم أباه ما ألزمه وله عن إلزامه جواب وقلب . أما الجواب ، فإن أباه لم يرد بقوله أن الإرادة تتعلق بالشىء على وجه الحدوث ما ذهب إليه أبو هاشم وإنما أراد بذلك أنها تتعلق به فى حال حدوثه بحدوثه أو بصفة يكون عليها فى حال الحدوث . مثل أن يريد حدوثه ويريد كونه طاعة لله تعالى وهى صفة عليها يكون فى حال الحدوث وهذا كقولهم إن الأمر والخبر لا يكونان أمرا وخبرا إلا بالإرادة أما إرادة للمأمور به على أصل أبى هاشم وغيره أو إرادة كونه أمرا وخبرا كما قاله ابن الاخشيد[1] منهم لأن الله تعالى قد قال : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن[2] » وقد أراد حدوث كلامه ، وأراد الإيمان منهم وليس قولهم فليؤمن مع ذلك أمرا . بل هو تهديد لأنه لم يرد كون هذا القول أمراً . وكذلك الخبر لا يكون خبرا عندهم حتى يريد كونه خبرا عن زيد دون عمرو . مع أن هذا ليس بإرادة لحدوث الشىء . وبان بهذا أن كراهة الله تعالى أن يكون السجود عبادة للصنم غير إرادته لحدوثه فلم يلزم ما ذكره أبو هاشم من كونه مرادا من الوجه الذى كرهه . ووجه القلب عليه أن يقال إن الله تعالى قد نهى عن السجود للصنم وقد نص عليه وقد ثبت من أصل المعتزلة أن الله تعالى لا يأمر إلا بحدوث الشىء ولا ينهى إلا عن حدوثه . وقد ثبت أنه أمر بالسجود عبادة له فيلزمه أن يكون نهى عنه من الوجه الذى أمر به . لأنه لا ينهى إلا عن إحداث الشىء وليس للسجود إلا حدوث واحد . ولو كان له حدوثان لزمه أن يكون محدثا من وجه غير

---

(١) أبو بكر أحمد بن على الاخشيد . من رجال المعتزلة فى بغداد . له عدة كتب كثيرة توفى سنة ٣٢٦ هـ . انظر الفهرست لابن النديم

(٢) الآية ٢٩ من سورة الكهف .

محدث من وجه آخر فلزمه فى الأمر والنهى ما ألزم أباه والنجار فى الإرادة والكراهة .

والفضيحة السادسة : من فضائحه قوله بالأحوال التى كفره فيها مشاركوه فى الاعتزاله فضلا عن سائر الفرق والذى ألجأه إليها سؤال أصحابنا قدماء المعتزلة عن العالم منا هل فارق الجاهل بما علمه لنفسه أو لعلة ، وأبطلوا مفارقته إياه لنفسه مع كونهما من جنس واحد وبطل أن تكون مفارقته إياه لا لنفسه ولا لعلة لأنه لا يكون حينئذ بمفارقته له أولى من آخر سواه . فثبت أنه إنما فارقه فى كونه عالما لمعنى ما . ووجب أيضا أن يكون لله تعالى فى مفارقة الجاهل معنى أوصفة بها فارقه . فزعم أنه إنما فارقه لحال كان عليها فأثبت الحال فى ثلاثة مواضع . أحدها : الموصوف الذى يكون موصوفا لنفسه واستحق ذلك الوصف لحال كان عليها . والثانى : الموصوف بالشىء لمعنى صار مختصا بذلك المعنى لحال . والثالث : ما يستحقه لا لنفسه ولا لمعنى فيختص بذلك الوصف دون غيره عنده لحال . وأحوجه إلى هذا سؤال معمر فى المعانى لما قال . إن علم زيد اختص به دون عمرو لنفسه أو لمعنى أو لا لنفسه أو لا لمعنى ؟ فإن كان لنفسه وجب أن يكون لجميع العلوم به اختصاص . لكونها علوما وإن كان لمعنى صح قول معمر فى تعلق كل معنى بمعنى لا إلى نهاية . وإن كان لا لنفسه ولا لمعنى لم يكن اختصاصه به أولى من اختصاصه بغيره . وقال أبو هاشم : إنما اختص به لحال ، وقال أصحابنا : إن علم زيد اختص به لعينه لا لكونه علما ولا لكون زيد . كاتقولك: إن السواد سواد لعينه لا لأن له نفسا وعينا . ثم قالوا لأبى هاشم : هل تعلم الأحوال ، أو لا تعلمها ؟ فقال : لا . من قبل أنه لوقال إنها معلومة لزمه إثباتها أشياء إذ لا يعلم عنده إلا ما يكون شيئا ، ثم إن لم يقل بأنها أحوال متغايرة لأن التغاير إنما يقع بين الأشياء والذوات . ثم إنه لا يقول فى الأحوال إنها موجودة ، ولا إنها معدومة ، ولا إنها قديمة ، ولا محدثة ، ولا معلومة ، ولا مجهولة ، ولا يقول إنها مذكورة مع ذكره لها بقوله إنها غير مذكورة وهذا متناقض . وزعم أيضاً : أن العالم له فى كل معلوم حال لا يقال فيها إنها حاله مع المعلوم الآخر . ولأجل هذا زعم أن أحوال البارى عز وجل فى معلوماته لا نهاية لها . وكذلك أحواله فى مقدوراته لا نهاية لها كما أن مقدوراته لا نهاية لها . وقال له أصحابنا لماذا أنكرت أن يكون لمعلوم واحد أحوال بلا نهاية لصحة تعلق المعلوم بكل عالم يوجد لا إلى نهاية . وقالوا له : هل أحوال البارى من عمل غيره ، أم هى هو؟ فأجاب : بأنها لا هى هو ولا غيره . فقولوا له : فلم أنكرت على الصفاتية قولهم فى صفات الله عز وجل

فى الأزل أنها لا هى ولا غيره ؟ !

والفضيحة السابعة : من فضائحه قوله بنفى جملة من الأعراض التى أثبتها أكثر مثبتى الأعراض كالبقاء ، والإدراك والكدرة ، والألم ، والشك . وقد زعم أن الألم الذى يلحق الإنسان عند المصيبة ، والألم الذى يجده عند شرب الدواء الكريه ليس بمعنى أكثر من إدراك ما ينفر عنه الطبع . والإدراك ليس بمعنى عنده ومثله إدراك جواهر أهل النار فى النار ، وكذلك اللذات عنده ليست بمعنى ولا هى أكثر من إدراك المشتهى . والإدراك ليس بمعنى . وقال فى الألم الذى يحدث عند الوباء إنه معنى كالألم عند الضرب واستدل على ذلك بأنه واقع تحت الحس وهذا من عجائبه لأن ألم الضرب بالخشب والألم بسعوط الخردل ، والتلدع بالنار ، وشرب الصبر سواء فى الحس . ويلزمه إذا نفى كون اللذة معنى ألا يزيد لذات أهل الثواب فى الجنة على لذات الأطفال التى نالوها بالفضل لاستحالة أن يكون لا شىء أكثر من لا شىء وقد قال : إن اللذة فى نفسها نفع وحسن فأثبت نفعا وحسنا ليس بشىء . وقال : كل ألم ضرر وجاء من هذا أن الضرر ما ليس بشىء عنده .

والفضيحة الثامنة : من فضائحه قوله فى باب الفناء إن الله تعالى لا يقدر على أن يفنى من العالم ذرة مع بقاء السموات والأرض وبناه على أصله فى دعـــواه : بأن الأجسام لا تفنى إلا بفناء يخلقه الله تعالى لا فى محل يكون ضداً لجميع الأجسام لأنه لا يختص ببعض الجواهر دون بعض إذ ليس هو قائما بشىء منها فإذا كان ضدا لها نفاها كلها وحسبه من الفضيحة فى هذا قوله بأن الله يقدر على إفناء جملة لا يقدر على إفناء بعضها .

والفضيحة التاسعة : قوله بأن الطهارة غير واجبة . والذى ألجأه إلى ذلك أن سأل نفسه عن الطهارة بماء مغصوب على قوله وقول أبيه بأن الصلاة فى الأرض المغصوبة فاسدة ، وأجاب بأن الطهارة بالماء المغصوب صحيحة وفرق بينها وبين الصلاة فى الدار المغصوبة بأن قال : إن الطهارة غير واجبة وإنما أمر الله تعالى العبد بأن يصلى إذا كان متطهرا ، ثم استدل على أن الطهارة غير واجبة بأن غيره لو طهره مع كونه صحيحا أجزأه . ثم إنه طرد هذا الاعتلال فى الحج فزعم أن الوقوف ، والطواف ، والسعى غير واجب فى الحج لأن ذلك كله مجزئة إذا أتى به راكباً . ولزمه على هذا الأصل ألا تكون الزكاة واجبة ، ولا الكفارة ، والنذور ، وقضاء الديون لأن وكيله ينوب عنه فيها وفى هذا رفع أحكام الشريعة وبان بما ذكرناه فى هذا الفصل تكفير زعماء المعتزلة بعضها لبعض. وأكثرهم يكفرون أتباعهم المقلدين لهم ومثلهم فى ذلك كما قال الله تعالى : « فأغرينا

بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون[1] » . وأما مثل أتباعهم معهم فقول الله تعالى : « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب[2] » . « وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا[3] » .

ومن مكابرات زعمائهم مكابرة النظام فى الطفرة وقوله بأن الجسم يصير من المكان الأول إلى الثالث أو العاشر من غير ضرورة إلى الوسط . ومكابرة أصحاب التولد منهم فى دعواهم أن الموتى يقتلون الأحياء على الحقيقة . ومكابرة جمهورهم فى دعواهم أن الذى يقدر على أن يرتفع من الأرض شبرا قادر على أن يرتفع فوق السموات السبع ، وأن المقيد المغلول بداء قادر على صعوده إلى السماء ، وأن البقة الصغيرة تقدر على شرب الفرات بمثله وبما هو أضخم منه .

وزعم المعروف منهم بقاسم الدمشقى أن حروف الصدق هى حروف الكذب ، وأن الحروف التى فى قول القائل لا إله إلا الله هى التى فى قول من يقول : المسيح إله ، وإن الحروف التى فى القرآن هى التى فى كتاب زرادشت المجوسى بأعيانها لا على معنى أنها مثلها ومن لم يعد هذه الوجوه مكابرات للعقول لم يمكن له أن يعد إنكار السوفسطائية للمحسوسات مكابرة .

وقد حكى أصحاب المقالات أن سبعة من زعماء القدرية اجتمعوا فى مجلس وتكلموا فى قدرة الله تعالى على الظلم ، والكذب ، وافترقوا عن تكفير كل واحد منهم لسائرهم وذلك أن قائلا منهم قال للنظام فى ذلك المجلس : هل يقدر الله تعالى على ما لو وقع منه لكان جورا وكذباً منه ؟ . فقال : لو قدر عليه لم ندر لعله قد جار أو كذب فيما مضى ، أو يجور ويكذب فى المستقبل ، أو جار فى بعض أطراف الأرض . ولم يكن لنا من جوره وكذبه أمان إلا من جهة حسن الظن به . قال : ما دليل يؤمننا من وقوع ذلك منه فلا سبيل إليه . ؟ فقال له على الأسوارى : يلزمك على هذا الاعتلال أن لا يكون قادرا على ما علم أنه لا يفعله أو أخبر بأنه لا يفعله لأنه لو قدر على ذلك لم نأمن وقوعه منه فيما مضى

(١) الآية ١٤ من سورة المائدة .
(٢) الآية ١٦٦ من سورة البقرة .
(٣) الآية ١٦٧ من سورة البقرة .

أو فى المستقبل . فقال النظام . هذا الإلزام فما قولك فيه ؟ . فقال: أنا أسوى بينهما وأقول إنه لا يقدر على ما علم أن لا يفعله أو أخبر بأنه لا يفعله كما أقول أنا وأنت أنه لا يقدر على الظلم والكذب . فقال النظام للأسوارى : قولك إلحاد وكفر . وقال أبو الهذيل للأسوارى : ما تقول فى فرعون[1] ومن علم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون هل كانوا قادرين على الإيمان أم لا ؟ . فإن زعمت أنهم لم يقدروا عليه فقد كلفهم الله تعالى مالم يطيقوه وهذا عندك كفر ، وإن قلت إنهم كانوا قادرين عليه فما يؤمنك من أن يكون قد وقع من بعضهم ما علم الله تعالى أنه لا يقع ؟ أو أخبر بأنه لا يقع منه على قول اعتلالك واعتلال النظام إنكار كما أنكر قدرة الله تعالى على الظلم والكذب فقال لأبى الهذيل هذا الإلزام لنا فما جوابك عنه ؟ فقال : أنا أقول إن الله تعالى قادر على أن يظلم ويكذب وعلى أن يفعل ما علم أنه لا يفعله فقالا له : أرأيت لو فعل الظلم والكذب كيف يكون مكنون حال الدلائل التى دلت على أن الله تعالى لا يظلم ولا يكذب ؟ فقال : هذا محال . فقالا له كيف يكون المحال مقدوراً لله تعالى ولم أحلت وقوع ذلك منه مع كونه مقدوراً له ؟ فقال : لأنه لا يقع إلا عن آفة تدخل عليه ومحال دخول الآفات على الله تعالى . فقالا له ومحال أيضاً أن يكون قادراً على ما يقع منه إلا عن آفة تدخل عليه فبهت الثلاثة . فقال لهم بشر[2] : كل ما أنتم فيه تخليط . فقال له أبو الهذيل فما تقول أنت تزعم أن الله تعالى يقدر أن يعذب الطفل أم تقول « بقول هذا » ؟ يعنى النظام . فقال : أقول بأنه قادر على ذلك . فقال أرأيت لو فعل ما قدر عليه من تعذيب الطفل ظالما له فى تعذيبه لكان الطفل بالغا عاقلا عاصيا مستحقا للعقاب الذى أوقعه الله تعالى به وكانت الدلائل بحالها فى دلالتها على عدله . ؟ فقال له أبو الهذيل : سخنت عينك . كيف تكون عبادة من لا يفعل ما يقدر عليه من الظلم فقال له المردار : إنك قد أنكرت على استاذى فكراً وقد غلط الأستاذ . فقال له بشر فكيف تقول ؟ . قال : أقول إن الله تعالى قادر على الظلم ، والكذب ، ولو

---

(١) فى اسم فرعون موسى اختلاف بين العلماء . أما كلمة « فرعون » فهى لقب لمن تولى ملك مصر فى الزمن القديم .

(٢) بشر بن المعتمر . أخذ الاعتزال عن عمرو بن عبيد ومن بشر بن سعيد ، صاحبى واصل بن عطاء . وهو الذى نشر الاعتزال ببغداد . ومات سنة ٢١٠ هـ .

فعل ذلك لكان إلها ظالما كاذبا . فقال له بشر : فهل كان مستحقا للعبادة أم لا . ؟ فإن استحقها فالعبادة شكر للمعبود وإذا ظلم استحق الذم لأن الشكر وإن لم يستحق العبادة فكيف يكون ربا لا يستحق العبادة ؟ فقال لهم الأشج[1] : أنا أقول إنه قادر على أن يظلم ويكذب ، ولو ظلم وكذب لكان عادلا كما أنه قادر على أن يفعل ما علم أنه لا يفعله ولو فعله كان عالماً بأن يفعله . فقال له الاسكافى : كيف ينقلب الجور عدلا . وقال كيف تقول أنت ؟ فقال : أقول لو فعل الجور والكذب ما كان الفعل موجوداً وكان ذلك واقعاً لمجنون أو منقوص . فقال له جعفر بن حرب[2] كأنك تقول إن الله تعالى إنما يقدر على ظلم المجانين ولا يقدر على ظلم العقلاء فافترق القوم يومئذ عن انقطاع كل واحد منهم ولما انتهت نوبة الاعتزال إلى الجبائى وابنه أمسكا عن الجواب فى هذه المسألة بنصح ولا ذكر بعض أصحاب أبى هاشم فى كتابه هذه المسألة فقال من قال لنا : أيصح وقوع ما يقدر الله تعالى من الظلم والكذب ؟ قلنا له : يصح ذلك لأنه لو لم يصح وقوعه منه ما كان قادرا عليه لأن القدرة على المحال محال ، فإن قال : أفيجوز وقوعه منه ؟ . قلنا لا يجوز وقوعه منه لقبحه وغناه عنه وعلمه بغناه عنه . فإن قال : أخبرونا لو وقع مقدوره من الظلم والكذب كيف كان يكون حاله فى نفسه هل كان يدل وقوع الظلم منه على جهله أو حاجته ؟ قلنا : محال ذلك لأنا قد علمناه عالماً غنياً ، فإن قال : فلو وقع منه الظلم والكذب هل كان يجوز أن يقال إن ذلك لا يدل على جهله وحاجته ؟ . قلنا : لا يوصف بذلك لأنا قد عرفنا دلالة الظلم على جهل فاعله أو حاجته . فإن قال : فكأنكم لا تجيبون عن سؤال من سألكم عن دلالة وقوع الظلم والكذب ممن على جهل وحاجة بإثبات ولا نفى قلنا كذلك نقول .

فهؤلاء زعماء قدرية عصرنا قد أقروا بعجزهم وعجز أسلافهم عن الجواب فى هذه المسألة ، ولو وفقوا للصواب فيها لرجعوا إلى قول أصحابنا بأن الله قادر على كل مقدور ، وأن كل مقدور له لو وقع منه لم يكن ظلماً منه . ولو أحالوا الكذب عليه كما أحاله أصحابنا لتخلصوا عن الإلزام الذى توجه عليهم فى هذه المسألة وكان الجبائى يعتذر فى امتناعه عن الجواب فى هذه المسألة بنعم أو . لا . بأن يقول مثال هذا : أن قائلا لو قال أخبرونى عن النبى لو فعل الكذب لكان يدل على أنه ليس بنبى أو لا يدل على ذلك . ؟ وزعم أن

---

(١) الأشج : من زعماء المعتزلة . عاش فى عصر الرشيد معاصرا لبشر بن المعتمر .

(٢) من رجال الطبقة السابعة من المعتزلة أخذ الاعتزال عن أبى الهذيل ومات سنة ٢٣٠ هـ .

الجواب فى ذلك مستحيل وهذا ظن منه على أصله . فأما على أصل أهل السنة فإن النبى كان معصوما عن الكذب ، والظلم ، ولم يكن قادرا عليهما . والمعتزلة غير النظام والاسوارى قد وصفوا الله تعالى بالقدرة على الظلم والكذب فلزمهم الجواب عن سؤال من سألهم عن وقوع مقدوره منهما هل يدل على الجهل والحاجة أم لا يدل على ذلك ؟ بنعم . أو : لا . وأيهما أجابوا به نقضوا به أصولهم والحمد لله الذى أنقذنا من ضلالتهم المؤدية إلى مناقضاتهم.

الفصل الرابع

من فصول هذا الباب :

فى بيان الفرق المرجئة وتفصيل مذاهبهم :

والمرجئة ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا : بالإرجاء فى الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية المعتزلة . كغيلان ، وأبى شمر ، ومحمد بن أبى شبيب البصرى . وهؤلاء داخلون فى مضمون الخبر الوارد فى لعن القدرية والمرجئة يستحقون اللعنة من وجهين . وصنف منهم قالوا بالإرجاء ، بالإيمان وبالجبر فى الأعمال على مذهب جهم بن صفوان فهم إذا من جملة الجهمية ، والصنف الثالث منهم خارجون عن الجبرية والقدرية وهم فيما بينهم خمس فرق : اليونسية ، والغسانية ، والثوبانية ، والتومنية ، والمريسية . وإنما سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان . والإرجاء بمعنى التأخير . يقال : أرجيته ، وأرجأته إذا أخرته وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعنت المرجئة على لسان سبعين نبيا[1] » قيل من المرجئة يا رسول الله ؟ قال : « الذين يقولون الإيمان كلام[2] » يعنى الذين زعموا أن الإيمان هو إقرار وحده دون غيره . والفرق الخمس التى ذكرناها من المرجئة تضلل كل فرقة منها أختها وتضللها سائر الفرق وسنذكرها على التفصيل إن شاء الله عز وجل .

ذكر اليونسية منهم : هؤلاء أتباع يونس بن عون الذى زعم أن الإيمان فى القلب واللسان وأنه هو المعرفة بالله تعالى والمحبة والخضوع له بالقلب والإقرار باللسان أنه واحد ليس كمثله شيء ما لم تقم حجة الرسل عليهم السلام . فإن قامت عليهم حجتهم بالتصديق لهم ومعرفة ما جاء من عندهم فى الجملة من الإيمان . وليست معرفة تفصيل ما جاء

---

(١) فى سند هذا الحديث الذى ذكر فى الأوسط للطبرانى : محمد بن الفضل بن عطية . وقد كذبه غير واحد . وهو متروك الحديث .

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه الطبرانى فى الكبير . وفى سنده بقية وهو مجهول .

من عندهم إيمانا ولا من جملته .

وزعم هؤلاء أن كل خصلة من خصال الإيمان ليست بإيمان ولا بعض إيمان ومجموعها إيمان .

ذكر الغسانية منهم : هؤلاء أتباع غسان المرجيء[1] الذى زعم أن الإيمان هو الإقرار أو المحبة لله تعالى وتعظيمه وترك الاستكبار عليه وقال إنه يزيد ولا ينقص .

وفارق اليونسية بأن سمى كل خصلة من الإيمان بعض الإيمان، وزعم غسان هذا فى كتابه أن قوله فى هذا الكتاب كقول أبى حنيفة فيه .

وهذا غلط منه عليه لأن أبا حنيفة قال . إن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى وبرسله وبما جاء من الله تعالى ورسله فى الجملة دون التفصيل . وأنه لا يزيد ولا ينقص[2] ولا يتفاضل الناس فيه .

وغسان قد قال بأنه يزيد ولا ينقص[3] .

ذكر التومنية منهم : هؤلاء أتباع أبى معاذ التومنى[4] الذى زعم أن الإيمان ما عصم

---

(١) هو غسان الكوفى المرجيء . وليس غسان بن أبان المحدث كما وهم بعضهم فغسان ابن أبان يمانى وهذا كوفى .

(٢) زعمه أن هذا قول أبى حنيفة فيه غلط منه ، لأن أبا حنيفة قال إن الإيمان هو المعرفة والاقرار بالله ورسله . وقد سبق افتراء مثل هذا على أبى حنيفة من الحارث بن عمير . ولكن أبا حنيفة من كل هذا براء .

(٣) وهناك قول ثالث أنه يزيد وينقص انظر فى ذلك كتب علم الكلام المتخصصة

(٤) نسبة إلى تومن . وهى من قرى مصر منها أبو معاذ التومنى رأس التومنية من المرجئة .

من الكفر وهو اسم لخصال من تركها أو ترك خصلة منها كفر . ومجموع تلك الخصال إيمان ، ولا يقال للخصلة منها إيمان ولا بعض إيمان . وقال : كل ما لم تجتمع الأمة على كفره بتركه من الفرائض فهو من شرع الإيمان وليس بإيمان . وزعم أن تارك الفريضة التي ليست بإيمان يقال له : فسق ، ولا يقال له فاسق على الإطلاق إذا لم يتركها جاحداً . وزعم أيضاً أن من لطم نبيا أو قتله كفر لا من أجل لطمه وقتله لكن من أجل عداوته وبغضه له واستخفافه بحقه .

ذكر الثوبانية منهم : هؤلاء أتباع أبي ثوبان المرجىء الذى زعم أن الإيمان هو الإقرار والمعرفة بالله وبرسله وبكل ما يجب في العقل فعله وما جاز في العقل أن لا يفعل فليست المعرفة من الإيمان . وفارقوا اليونسية والغسانية بإيجابهم في العقل شيئا قبل ورود الشرع بوجوبه .

ذكر المريسية منهم : هؤلاء مرجئة بغداد من أتباع بشر المريسي[1] . وكان في الفقه على رأى أبي يوسف القاضي غير أنه لما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف وضللته الصفاتية في ذلك . ولما وافق الصفاتية في القول بأن الله تعالى خالق أكساب العباد وفي أن الاستطاعة مع الفعل أكفرته المعتزلة في ذلك فصار مهجور الصفاتية والمعتزلة معاً . وكان يقول في الإيمان : إنه هو التصديق بالقلب واللسان جميعاً كما قال ابن الراوندى في أن الكفر هو الجحد والإنكار . وزعما أن السجود للصنم ليس بكفر ولكنه دلالة على الكفر . فهؤلاء الفرق الخمس هم المرجئة الخارجة عن الجبر والقدر . وأما المرجئة القدرية كأبي شمر ، وابن شبيب ، وغيلان ، وصالح قبة . فقد اختلفوا في الإيمان .

فقال ابن مبشر[2] : الإيمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبما جاء من عنده مما اجتمعت عليه الأمة . كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وتحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير ، ووطء المحارم ونحو ذلك . وما عرف بالعقل من عدل الإيمان وتوحيده ونفي التشبيه عنه . وأراد بالعقل قوله بالقدر ، وأراد بالتوحيد نفيه عن الله صفاته الأزلية .

---

(١) مبتدع . تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة . وأتقن علم الكلام . وانتصر لمقالة ابن الجهم رغم أنه لم يدركه . قال الشافعي : ناظرت المريسي في القرعة وذكرت له فيها حديث عمران بن حصين . فقال : هذا قمار . فأتيت أبا البختري القاضي فحكيت له فقال : آتني بشاهد آخر وأصلبه . ومات بشر سنة ٢١٩ هـ .

(٢) هذا تحريف . والصحيح « أبو شمر » كما صرح به قبل وبعد ذلك .

قال : كل ذلك إيمان والشاك فيه كافر ، والشاك فى الشاك أيضا كافر ثم كذلك أبداً . وزعم أن هذه المعرفة لا تكون إيمانا إلا مع الإقرار . وكان أبو شمر مع بدعته هذه لا يقول لمن فسق من موافقيه فى القــــدر إنه فاسق مطلقا . ولـكنه كان يقول : إنه فاسق فى كذا . وهذه الفرقة عند أهل السنة والجماعة أكفر أصناف المرجئة لأنها جمعت بين ضلالتى القدر والإرجاء ، والعدل الذى أشار إليه أبو شمر شرك على الحقيقة لأنه أراد به إثبات خالقين كثيرين غير الله تعالى . وتوحيده الذى أشار إليه تعطيل لأنه أراد به نفى علم الله تعالى ، وقدرته ، ورؤيته ، وسائر صفاته الأزلية . وقوله فى مخالفيه إنهم كفرة وإن الشاك فى كفرهم كافر مقابل بقول أهل السنة فيه إنه كافر وإن الشاك فى كفره كافر .

وكان غيلان القدرى يجمع بين القدر والإرجاء ويزعم أن الإيمان هو المعرفة الثانية بالله تعالى والمحبة ، والخضوع ، والإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء من الله تعالى . وزعم أن المعرفة الأولى اضطرار وليس بإيمان . وحكى زرقان فى مقالاته عن غيلان : أن الإيمان هو الإقرار باللسان ، وأن المعرفة بالله تعالى ضرورية فعل الله تعالى وليست من الإيمان ، وزعم غيلان : أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه . وزعم محمد بن شبيب : أن الإيمان هو الإقرار بالله والمعرفة برسله وبجميع ماجاء من عند الله تعالى مما نص عليه المسلمون من الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج وكل مالم يختلفوا فيه . وقال : إن الإيمان يتبعض ويتفاضل الناس فيه والخصلة الواحدة من الإيمان قد تكون بعض الإيمان وتاركها يكفر بترك بعض الإيمان ، ولا يكون مؤمنا بإصابة كله . وزعم الصالحى : أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، والكفر هو الجهل به فقط . وأن قول القائل : إن الله تعالى ثالث ثلاثة ليس بكفر لـكنه لا يظهر إلا من كافر . ومن جحد الرسل لا يكون مؤمنا لا من أجل أن ذلك محال لـكن الرسول قال : « من لا يؤمن بى فليس مؤمنا بالله تعالى » . وزعم أن الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج طاعات وليست بعبادة لله تعالى وأن لا عبادة له إلا الإيمان به وهو معرفته . والإيمان عنده خصلة واحدة لا تزيد ولا تنقص . وكذلك الـكفر خصلة واحدة . فهذه أقوال المرجئة فى الإيمان الذى لأجل تأخيرهم الأعمال عن الإيمان سموا مرجئة .

الفصل الخامس

في ذكر مقالات الفرق النجارية :

هؤلاء أتباع الحسين بن محمد النجار [1] وقد وافقوا أصحابنا فى أصول ووافقوا القدرية فى أصول وانفردوا بأصول لهم ، فالذى وافقوا فيه أصحابنا قولهم معنا : بأن الله تعالى خالق أكساب العباد ، وأن الاستطاعة مع الفعل ، وأنه لا يحدث فى العالم إلا ما يريده الله تعالى . ووافقونا أيضا فى أبواب الوعيد ، وجواز المغفرة لأهل الذنوب وفى أكثر أبواب التعديل والتجوير .

وأما الذى وافقوا فيه القدرية فنفى علم الله تعالى ، وقدرته ، وحياته ، وسائر صفاته الأزلية وإحالة رؤيته بالأبصار والقول بحدوث كلام الله تعالى . وأكفرتهم القدرية فيما وافقوا فيه أصحابنا . وأكفرهم أصحابنا فيما وافقوا فيه القدرية . والذى يجمع النجارية فى الإيمان قولهم : بأن الايمان هو المعرفة بالله تعالى ، وبرسله وفرائضه التى أجمع عليها المسلمون ، والخضوع له والإقرار باللسان فمن جهل شيئا من ذلك بعد قيام الحجة به عليه أو عرفه ولم يقر به فقد كفر وقالوا : كل خصلة من خصال الإيمان طاعة وليست بإيمان ، ومجموعها إيمان وليست خصلة منها عند الانفراد إيمانا ولا طاعة . وقالوا إن الايمان يزيد ولا ينقص . وزعم النجار أن الجسم أعراض مجتمعة وهى الأعراض التى لا ينفك الجسم عنها كاللون ، والطعم ، والرائحة وسائر مالا يخلو الجسم منه ومن ضده . فأما الذى يخلو الجسم منه ومن ضده كالعلم والجهل ونحوهما فليس شىء منها بعضاً للجسم . وزعم أيضاً : أن كلام الله تعالى عرض إذا قرىء ، وجسم إذا كتب ، وأنه لو كتب بالدم صار ذلك الدم المتقطع تقطيع حروف الكلام كلاما لله تعالى بعد أن لم يكن كلاما حين كان دما مسفوحا فهذه أصول النجارية . وافترقوا بعد هذا فيما بينهم فى العبارة عن خلق القرآن وفى حكم أقوال مخالفيهم فرقا كبيرة كل فرقة منها تكفر سائرها ، والمشهورون منها ثلاث فرق وهى : البرغوثية ، والزعفرانية ، والمستدركة من الزعفرانية .

ذكر البرغوثية منهم : هؤلاء أتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث وكان على مذهب

---

(١) كان حائكا . وهو من علماء المجبرة : ناظر النظام يوما فألجمه النظام فقام محموما ومات عقب ذلك حوالى سنة ٢٣٠ هـ .

النجار فى أكثر مذاهبه وخالفه فى تسمية المكتسب فاعلا فامتنع منه ، وأعلقه النجار وخالفه أيضاً فى المتولدات فزعم أنها فعل الله تعالى بإيجاب الطبع . على معنى أن الله تعالى طبع الحجر طبعاً يذهب إذا وقع . وطبع الحيوان طبعا يألم إذا ضرب وقال النجار فى المتولدات بمثل قول أصحابنا فيها أنها من فعل الله تعالى باختيار لا طبع من طبع الجسم الذى سمى ه مولدا .

ذكر الزعفرانية منهم : هؤلاء أتباع الزعفرانى الذى كان بالرى وكان يناقض بآخر كلامه أوله . فيقول : إن كلام الله تعالى غيره وكل ماهو غير الله تعالى مخلوق . ثم يقول مع ذلك : الكلب خير ممن يقول كلام الله مخلوق . وذكر بعض أصحاب التواريخ أن هذا الزعفرانى أراد أن يشهر نفسه فى الآفاق فاكترى رجلا على أن يخرج إلى مكة ويسبه ويلعنه فى مواسم مكة ليشتهر ذكره عند حجيج الآفاق . وقد بلغ حمق أتباعه بالرى أن قوما منهم لا يأكلون البجد حرمة للزعفرانى ويزعمون أنه كان يحب ذلك وقالوا : لا نأكل محبوبه .

ذكر المستدركة منهم : هؤلاء قوم من النجارية يزعمون أنهم استدركوا ماخفى على أسلافهم لأن أسلافهم منعوا إطلاق القول بأن القرآن مخلوق : وزعمت المستدركة أنه مخلوق ثم افترقوا فيما بينهم فرقتين : فرقة زعمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قال إن كلام الله مخلوق على ترتيب هذه الحروف ولكنه اعتقد ذلك بهذه اللفظة على ترتيبه حروفها ومن لم يقل إن النبى عليه السلام قال ذلك على ترتيب هذه الحروف فهو كافر .

وقالت الفرقة الثانية منهم : إن النبى عليه السلام لم يقل كلام الله مخلوق على ترتيب هذه الحروف ، ولكنه اعتقد ذلك ودل عليه . ومن زعم أنه قال إن كلام الله مخلوق بهذه اللفظة فهو كافر . ومن هؤلاء المستدركة قوم بالرى يزعمون أن أقوال مخالفيهم كلها كذب حتى لو قال الواحد منهم فى الشمس إنها شمس لكان كاذباً فيه .

قال عبد القاهر : ناظرت بعض هذه الطائفة بالرى فقلت له : اخبرنى عن قولى لك أنت إنسان عاقل مولود من نكاح لا من سفاح هل أكون صادقا فيه : فقال : أنت كاذب فى هذا القول فقلت له : أنت صادق فى هذا الجواب . فسكت خجلا والحمد لله على ذلك .

الفصل السادس

من فصول هذا الباب :

في ذكر الجهمية ، والبكرية ، والضرارية وبيان مذاهبها :

الجهمية : أتباع جهم بن صفوان [١] الذي قال بالاجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان .

وزعم أيضا أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط . وقال : لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز . كما يقال: زالت الشمس، ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به .

وزعم أيضا أن علم الله تعالى حادث وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم ، أو مريد وقال لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود ، وحي ، أو عالم أو مريد. ونحو ذلك . ووصفه بأنه قادر ، وموجد، وفاعل، وخالق ،ومحي ومميت لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ولم يسم الله تعالى متكلما به وأكفره أصحابنا في جميع ضلالاته ، وأكفرته القدرية في قوله : بأن الله تعالى خالق أعمال العباد . فاتفق أصناف الأمة على تكفيره .

وكان جهم مع ضلالاته التي ذكرناها يحمل السلاح ويقاتل السلطان . وخرج مع سريج بن الحارث [٢] على نصر بن سيار وقتله سلم بن أحوز المازني في آخر زمان بني مروان [٣] وأتباعه اليوم بنهاوند . وخرج إليهم

---

(١) جهم بن صفوان الراسبي قال عنه الذهبي : « الضال المبتدع ، رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وماعلمته روى شيئا ، ولكنه زرع شرا كثيرا » تذكرة الحفاظ . كان تلميذ للجعد بن درهم الزنديق أول من قال بخلق القرآن . وقتل جهم سنة ١٢٨ ﻫ

(٢) سماه الطبري الحارث بن سريج .

(٣) حوالي سنة ١٢٨ ﻫ كما قال ابن جرير الطبري في تاريخه وقيل سنة ١٣٢

فى زماننا إسماعيل بن إبراهيم بن كبوس الشيرازى الديلى فدعاهم إلى مذهب شيخنا أبى الحسن الأشعرى فأجابه قوم منهم وصاروا مع أهل السنة يداً واحدة والحمد لله على ذلك .

وأما البكرية : فأتباع بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد[1] وكان يوافق النظام فى دعواه أن الإنسان هو الروح دون الجسد الذى فيه الروح . ويوافق أصحابنا فى إبطال القول بالتولد وفى أن الله تعالى هو مخترع الألم عند الضرب ، وأجاز وقوع الضرب من غير حدوث ألم وكذا القطع كما أجاز ذلك أصحابنا . وانفرد بضلالات أكفرته الأمة فيها .

منها : قوله بأن الله تعالى يرى فى القيامة فى صورة يخلقها ، ويكلم عباده من تلك الصورة .

ومنها : قوله فى الكبائر الواقعة من أهل القبلة أنها نفاق وأن صاحب الكبيرة منافق وعابد للشيطان وإن كان من أهل الصلاة . وزعم أيضا أنه مع كونه منافقاً مكذب لله تعالى جاحد له وأنه يكون فى الدرك الأسفل من النار مخلدا فيها . وأنه مع ذلك مسلم مؤمن . ثم أنه طرد قوله فى هذه البدعة فقال : فى على ، وطلحة ، والزبير إن ذنوبهم كانت كفرا ، وشركا ، غير أنهم كانوا مغفوراً لهم لما روى فى الخبر أن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال : « اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » . ومن ضلالاته أيضا ما عاند فيه العقلاء فزعم أن الأطفال فى المهد لا يألمون وإن قطعوا ، أوحرقوا وأجاز أن يكونوا فى وقت الضرب ، والقطع ، والإحراق متلذذين مع ظهور البكاء والصياح منهم .

ومنها : أنه أبدع فى الفقه تحريم أكل الثوم والبصل وأوجب الوضوء من قرقرة البطن ولا اعتبار عند أهل السنة بخلاف أهل الأهواء فى الفقه .

وأما الضرارية : فهم أتباع ضرار بن عمرو[2] الذى وافق أصحابنا فى أن أفعال

---

(١) اسم بكر : بكر بن زياد الباهلى . كان من أضل خلق الله يضع الحديث عن ابن المبارك . أما خاله عبد الواحد بن زيد فكان زاهدا من أصحاب الحسن البصرى وهو متروك الحديث أيضاً .

(٢) ظهر فى أيام واصل بن عطاء . وقيل إنه كان له مجلس بالبصرة قبل أبى الهذيل . وقد وضع بشر بن المعتمر كتابا فى الرد على ضرار .

العباد مخلوقة لله تعالى وإكساب للعباد وفى إبطال القول بالتولد . ووافق المعتزلة فى أن الاستطاعة قبل الفعل وزاد عليهم بقوله إنها قبل الفعل ومع الفعل ، وبعد الفعل ، وأنها بعض المستطيع ، ووافق النجار فى دعواه أن الجسم أعراض مجتمعة من لون ، وطعم ، ورائحة ونحوها من الأعراض التى لايخلو الجسم منها وانفرد بأشياء منكرة .

منها : قوله بأن الله تعالى يرى فى القيامة بحاسة سادسة يرى بها المؤمنون ماهية الإله . وقال : لله تعالى ماهية لايعرفها غيره يراها المؤمنون بحاسة سادسة وتبعه على هذا القول حفص الفرد[1] وأنه أنكر حرف ابن مسعود[2] ، وحرف أبى بن كعب وشهد بأن الله تعالى لم ينزلهما فنسب هذين الإمامين من الصحابة إلى الضلالة فى مصحفيهما .

ومنها : أنه شك فى جميع عامة المسلمين وقال : لا أدرى لعل سرائر العامة كلها شرك وكفر .

ومنها . قوله أن معنى قولنا إن الله تعالى عالم ، حى ، هو أنه ليس بجاهل ولا ميت . وكذلك قياسه فى سائر أوصاف الله تعالى من غير إثبات معنى أو فائدة سوى نفى الوصف بنقيض تلك الأوصاف عنه .

الفصل السابع

من هذا البـــاب

فى ذكر مقالات الكرامية وبيان أوصافها : —

الكرامية بخراسان ثلاثة أصناف : حقائقية ، وطرائقية ، وإسحاقية . وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضها بعضا وان أكفرها سائر الفرق . فلهذا عددناها فرقة واحدة .

---

(١) من الجبرة . وهو من أهل مصر قدم البصرة واجتمع بأبى الهذيل وناظره فقطعه أبو الهذيل ، وكان أولا معتزليا ثم قال بخلق الأفعال . وناظره الشافعى وكفره .

(٢) هو صاحب رسول الله كان يتحرى فى الأداء ويتشدد فى الرواية ويزجر تلامذته عن التهاون فى ضبط الألفاظ . قال عنه رسول الله : « من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » . وقراءته متواترة وهى قراءة عاصم المشهورة فى العالم الإسلامى وله قراءات شاذة تجرى مجرى التفسير .

وزعيمها المعروف محمد بن كرام (١) كان مطروداً من سجستان إلى غرجستان وكان أتباعه في وقته أوغاد شورمين ، وافشين ، وورد نيسابور في زمان ولاية محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وتبعه على بدعته من أهل سواد نيسابور شرذمة من أكرة القرى والدهم ، وضلالات أتباعه اليوم متنوعة أنواعا لا نعدها أرباعا ، ولا أسباعا لكنها تزيد على الآلاف آلافاً ونذكر منها المشهور الذي هو بالقبح مذكور .

فمنها : أن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده . وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه . وهذا شبيه بقول الثنوية : إن معبودهم الذي سموه نوراً يتناهى من الجهة التي يلاقي الظلام وإن لم يتناه من خمس جهات . وقد وصف ابن كرام معبوده في بعض كتبه بأنه جوهر كما زعمت النصارى أن الله تعالى جوهر . وذلك أنه قال في خطبة كتابه المعروف بكتاب (عذاب القبر) : « إن الله تعالى أحدي الذات أحدي الجوهر ، وأتباعه اليوم لا يبوحون بإطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى عند العامة خوفاً من الشناعة عند الإشاعة . وإطلاقهم عليه اسم الجسم أشنع من اسم الجوهر ، وامتناعهم من تسميته جوهراً مع قولهم بأنه جسم كامتناع شيطان الطاق من الروافض من تسمية الإله جسما مع قوله بأنه على صورة الإنسان. وليس على الخذلان في سوء الاختيار قياس. وقد ذكر ابن كرام في كتابه أن الله تعالى مماس لعرشه ، وأن العرش مكان له وأبدل أصحابه لفظ المماسة بلفظ الملاقاة منه للعرش وقالوا : لا يصح وجود جسم بينه وبين العرش إلا بأن يحيط العرش إلى أسفل . وهذا معنى المماسة التي امتنعوا من لفظها (٢) واختلف أصحابه في معنى الاستواء المذكور في قوله : « الرحمن على العرش استوى (٣) » .

---

(١) شيخ طائفة الكرامية من المجسمة وكان قبل ذلك من المرجئة . له في خراسان أتباع يزيدون على عشرين ألفا . وأضل خلقا كثيرا في فلسطين وسجستان توفي سنة ٢٥٥ هـ.

(٢) سأل بعض الكراميين في مجلس السلطان محمود بن سبكتكين أبا إسحاق الاسفرايني عن المماسة فقال . هل يجوز أن يقال الله تعالى عن العرش وأن العرش مكان له . فقال : لا وأخرج يديه ووضع إحدى كفيه على الأخرى وقال : كون الشيء يكون هكذا. ثم لا يخلو أن يكون مثله وأن يكون أكبر منه أو أصغر فلابد من مخصوص خصصه وكل مخصوص يتناهى والمتناهي لا يكون إلها مخصصا . فتحير الكراميون وقال قوم منهم : إنه أكبر من العرش وقال قوم إنه مثل العرش . وذلك كله علم الحدوث . تعالى الله عن الحدوث .

(٣) الآية ٥ من سورة طه .

فمنهم : من زعم أن كل العرش مكان له وأنه لو خلق بإزاء العرش عروشاً موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكانا له لأنه أكبر منها كلها . وهذا القول يوجب عليهم أن يكون عرشه اليوم كبعضه فى عرضه .

ومنهم من قال إنه لا يزيد على عرشه فى جهة المماسة ولا يفضل منه شىء على العرش وهذا يقتضى أن يكون عرضه كعرض العرش . وكان من الكرامية بنيسابور رجل يعرف بإبراهيم بن مهاجر ينصر هذا القول ويناظر عليه . وزعم ابن كرام وأتباعه أن معبودهم محل الحوادث . وزعموا أن أقواله ، وإرادته ، وإدراكاته للمرئيات ، وإدراكاته للمسموعات وملاقاته للصفحة العليا من العالم أعراض حادثة فيه وهو محل لتلك الحوادث الحادثة فيه . وسموا قوله للشىء « كن » خلقا للمخلوق وإحداثا للمحدث وإعلاما للذى يعدم بعد وجوده . ومنعوا من وصف الأعراض الحادثة فيه بأنها مخلوقة أو مفعولة أو محدثة . وزعموا أيضا أنه لا يحدث فى العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فى ذات معبودهم .

منها : إرادته لحدوث ذلك الحادث . ومنها : قوله لذلك الحادث « كن » على الوجه الذى علم حدوثه عليه . وذلك القول فى نفسه حروف كثيرة كل حرف منها عرض حادث فيه . ومنها رؤية تحدث فيه يرى بها ذلك الحادث ولو لم يحدث فيه الرؤية لم ير ذلك الحادث . ومنها استماعه لذلك الحادث إن كان مسموعا وزعموا أيضا إنه لا يعدم من العالم شىء من الأعراض إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فى معبودهم . منها : إرادته لعدمه .

ومنها : قوله لما يريد عدمه : كن معدوما ، أو افن . وهذا القول فى نفسه حروف كل حرف منها عرض حادث فيه فصارت الحوادث الحادثة فى ذات الإله عندهم أضعاف أضعاف الحوادث من أجسام العالم وأعراضها واختلفت الكرامية فى جواز العدم على تلك الحوادث الحادثة فى ذات الإله بزعمهم . فأجاز بعضهم عدمها ، وأحال عدمها أكثرهم وأجمع الفريقان منهم على أن ذات الإله لا يخلو فى المستقبل عن حلول الحوادث فيه وإن

كان قد خلا منها فى الأزل . وهذا نظير قول أصحاب الهيولى إن الهيولى كانت فى الأزل جوهراً خاليا من الأعراض ثم حدثت الأعراض فيها وهى لا تخلو منها فى المستقبل . واختلفت الكرامية فى جواز العدم على أجسام العالم فأحال ذلك أكثرهم وضاهوا بذلك من زعم من الدهرية والفلاسفة أن الفلك والكواكب طبيعة خامسة لا تقبل الفساد والفناء. وكان الناس يتعجبون من قول المعتزلة البصرية إن الله تعالى يقدر على افناء الأجسام كلها دفعة واحدة ولا يقدر على إفناء بعضها مع بقاء بعض منها . وزال هذا التعجب بقول من زعم من الكرامية أنه لا يقدر على إعدام جسم بحال . وأعجب من هذا كله أن ابن كرام وصف معبوده بالثقل وذلك أنه قال فى كتاب « عذاب القبر » فى تفسير قول الله عز وجل « إذا السماء انفطرت [١] » إنها انفطرت من ثقل الرحمان عليها . ثم إن ابن كرام وأكثر أتباعه زعموا أن الله تعالى لم يزل موصوفا بأسمائه المشتقة من أفعاله عند أهل اللغة مع استحالة وجود الأفعال فى الأزل . فزعموا أنه لم يزل خالقا ، رازقا منعما من غير وجود خلق . ورزق ، ونعمة منه . وزعموا أنه لم يزل خالقا بخالقية فيه ، ورازقا برازقية فيه . وقالوا : إن خالقيته قدرته على الخلق ، ورازقيته قدرته على الرزق ، والقدرة قديمة ، والخلق والرزق حادثان فيه بقدرته . وقالوا : بالخلق يصير المخلوق من العالم مخلوقاً . وبذلك الرزق الحادث فيه يصير المرزوق مرزوقا . وأعجب من هذا فرقهم بين المتكلم والقائل وبين الكلام والقول . وذلك إنهم قالوا : إن الله تعالى لم يزل متكلما قائلا ثم فرقوا بين الإسمين فى المعنى. فقالوا: إنه لم يزل متكلما بكلام هو قدرته على القول ولم يزل قائلا بقائلية لا بقول ، والقائلية قدرته على القول وقوله حروف حادثة فيه . فقول الله تعالى عندهم حادث فيه . وكلام قديم .

قال عبد القاهر : ناظرت بعضهم فى هذه المسألة فقلت له : إذا زعمت أن الكلام هو القدرة على القول ، والساكت عندك قادر على القول فى حال سكوته لزمك على هذا القول أن يكون الساكت متكلما فالتزم ذلك . ومن تدقيق الكرامية فى هذا الباب قولهم : إنا نقول إن الله تعالى لم يزل خالقا رازقا على الإطلاق ولا نقول بالإضافة إنه لم يزل خالقاً

(١) الآية (١) من سورة الانفطار .

بالمخلوقين ، ورازقاً للمرزوقين وإنما نذكر هذه الإضافة عند وجود المخلوقين والمرزوقين وقالوا على هذا القياس إن الله تعالى لم يزل معبوداً ولم يكن فى الأزل معبود العابدين وإنما صار معبود العابدين عند وجود العابدين ووجود عبادتهم له . ثم ان ابن كرام ذكر فى كتابه المعروف « بعذاب القبر » بابا له ترجمة عجيبة فقال : « باب فى كيفوفية الله عز وجل » ولا يدرى العاقل ما ذا يتعجب أمن جسارته على إطلاق لفظ الكيفية فى صفات الله تعالى أم من قبح عبارته عن الكيفية بالكيفوفية ؟ وله من جنس هذه العبارة أشكال .

منها : قوله فى باب الرد على أصحاب الحديث فى الإيمان فإن قالوا بأحوقيتهم الإيمان قول وعمل قيل لهم كذا . وكذا وقد عبر عن مكان معبوده فى بعض كتبه بالحيثوثية وهذه العبارات لسخيفة لائقة بمذهبه السخيف . ثم أنه مع أصحابه تكلموا فى مقدورات الله تعالى فزعموا أنه لا يقدر إلا على الحوادث التى تحدث فى ذاته من إرادته . وأقواله ، وإدراكاته ، وملاقاته لما يلاقيه . فأما المخلوقات من أجسام العالم وأعراضها فليس شىء منها مقدوراً لله تعالى ولم يكن الله تعالى قادراً على شىء منها مع كونها مخلوقة . وإنما خلق كل مخلوق من العالم بقوله : « كن » لا بقدرته . وهذه بدعة لم يسبقوا إليها لأن الناس قبلهم ما اختلفوا فى مقدورات الله تعالى على مذاهب أهل السنة والجماعة كل مخلوق كان مقدوراً لله تعالى قبل حدوثه وهو محدث جميع الحوادث بقدرته . وزعم معمر أن الأجسام كلها كانت مقدورة له قبل أن خلقها وليست الأعراض مخلوقة له ولا مقدورة له . وقال أكثر المعتزلة أن الأجسام ، والألوان ، والطعوم ، والروائح وسائر أجناس الأعراض كانت مقدورة لله تعالى وإنما امتنعوا من وصفه بالقدرة على مقدورات غيره . وقالت الجهمية الحوادث كلها مقدورة لله تعالى ولا قادر ولا فاعل غيره . وما قال أحد قبل الكرامية باختصاص قدرة الإله بحوادث تحدث فى ذاته بزعمهم . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ثم إنهم تكلموا فى باب التعديل والتجوير بعجائب .

منها . قولهم يجب أن يكون أول شىء خلقه الله تعالى جسما حيا يصح منه الاعتبار . وزعموا أنه لو بدأ بخلق الجمادات لم يكن حكيما ، وزادوا فى هذه البدعة على القدرية فى قولها لابد من أن يكون فى الخلق من يصح منه الاعتبار وليس بواجب أن يكون أول الخلق حياً يصح منه الاعتبار وقد ردوا ببدعتهم هذه الأخبار الصحيحة فى أن أول شىء خلقه تعالى اللوح والقلم ثم أجرى القلم على اللوح بما هو كائن إلى يوم القيامة : وقالوا لو خلق الله تعالى الخلق وكان فى معلومه أنه لا يؤمن به أحد منهم لكان خلقه إياهم عبثاً وإنما

حسن منه خلق جميعهم لعلمه بإيمان بعضهم وقال أهل السنة : لو خلق الكفرة دون المؤمنين أو خلق المؤمنين دون الكفرة جاز ولم يقدح ذلك فى حكمته. وزعمت الكرامية أنه لا يجوز فى حكمة الله تعالى اخترام الطفل الذى يعلم أنه إن أبقاه إلى زمان بلوغه آمن ، ولا اخترام الكافر الذى لو أبقاه إلى مدة آمن . إلا أن يكون فى اخترامه إياه قبل وقت إيمانه صلاح لغيره . ويلزمهم على هذا القول أن يكون الله تعالى إنما اخترم إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم قبل بلوغه لأنه علم أنه لو أبقاه لم يؤمن وفى هذا قدح منهم فى كل من مات من ذرارى الأنبياء طفلا ومن جهالاتهم فى باب النبوة والرسالة قولهم : بأن النبوة والرسالة صفتان حالتان فى النبى والرسول سوى الوحى إليه وسوى معجزاته وسوى عصمته من المعصية . وزعموا أن من فعل فيه تلك الصفة وجب على الله تعالى إرساله . وفرقوا بين الرسول والمرسل بأن الرسول من قامت به تلك الصفة . والمرسل هو المأمور بأداء الرسالة. ثم أنهم خاضوا فى باب عصمة الأنبياء عليهم السلام فقالوا : كل ذنب أسقط العدالة أو أوجب حداً فهم معصومون منه وغير معصومين مما دون ذلك وقال بعضهم : لا يجوز الخطأ عليهم فى التبليغ وأجاز ذلك بعضهم وزعم أن النبى عليه السلام أخطأ فى تبليغ قوله : ﴿ « ومناة الثالثة الأخرى [1] » حتى قال بعده : « تلك الغرانيق العلى شفاعتها ترتجى » [2] ﴾ .

وقال أهل السنة أن تلك الكلمة كانت من تلاوة الشيطان ألقاه فى خلال تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم . وقد قال شيخنا أبو الحسن الأشعرى فى بعض كتبه : إن الأنبياء بعد النبوة معصومون من الكبائر والصغائر . وزعمت الكرامية أيضاً : أن النبى إذا ظهرت دعوته فمن سمعها منه أو بلغه خبره لزمه تصديقه والإقرار به من غير توقف على معرفة دليله وقد سرقوا هذه البدعة من إباضية الخوارج الذين قالوا : إن قول النبى عليه السلام أنا نبى فنفسه حجة لا يحتاج معها إلى برهان . وزعمت الكرامية أيضاً أن من لم تبلغه دعوة الرسل لزمه أن يعتقد موجبات العقول ، وأن يعتقد أن الله تعالى أرسل رسلا إلى خلقه وقد سبقهم أكثر القدرية إلى القول بوجوب اعتقاد موجبات العقول ولم يقل أحد قبلهم بوجوب اعتقاد وجود الرسل قبل ورود الخبر عنهم بوجودهم . وزعمت الكرامية أيضاً أن الله تعالى لو اقتصر على رسول واحد من أول زمان التكليف إلى القيامة وأدام شريعة الرسول الأول لم يكن حكيما . وقال أهل السنة لو فعل ذلك جاز كما قد جاز منه إدامة

---

(١) الآية ٢٠ من سورة النجم .

(٢) قصة الغرانيق ابتدعها قوم من أهل الضلالة ، كالذين يضعون الأحاديث وهم يعلمون عدم صحتها . وإن كان بعض المؤلفين قد رووا هذه الأباطيل .

شريعة خاتم النبيين إلى القيامة . ثم إن ابن كرام خاض فى باب الإمامة فأجاز كون أمامين فى وقت واحد مع وقوع الجدال و تعاطى القتال . ومع الاختلاف فى الإحكام ، وأشار فى بعض كتبه إلى أن عليا ومعاوية كانا إمامين فى وقت واحد . ووجب على أتباع كل واحد منهما طاعة صاحبه وإن كان أحدهما عادلا والآخر باغياً . وقال أتباعه إن عليا كان إماماً على وفق السنة ، وكان معاوية إماما على خلاف السنة . وكانت طاعة كل واحد منهما واجبة على أتباعه . فياعجبا من طاعة واجبة خلاف السنة .

ثم إن الكرامية خاضوا فى باب الإيمان : فزعموا : أنه إقرار فرد على الابتداء وإن تكريره لا يكون إيمانا إلا من المرتد إذا أقر به بعد ردته . وزعموا أيضاً أنه هو الإقرار السابق فى الذر الأول فى طلب النبي عليه السلام وهو قولهم : بلى . وزعموا أن ذلك القول باق أبدا لا يزول إلا بالردة . وزعموا أيضا أن المقر بالشهادتين مؤمن حقا وإن اعتقد الكفر بالرسالة وزعموا أيضا أن المنافقين الذين أنزل الله تعالى فى تكفيرهم آيات كثيرة كانوا مؤمنين حقا ، وإن إيمانهم كان كإيمان الأنبياء والملائكة ، وقالوا فى أهل الأهواء من مخالفيهم ومخالفى أهل السنة إن عذابهم فى الآخرة غير مؤبد . وأهل الأهواء يرون خلود الكرامية فى النار . ثم إن ابن كرام أبدع فى الفقه حماقات لم يسبق إليها .

منها : قوله فى صلاة المسافر أن يكفيه تكبيرتان من غير ركوع ولا سجود ، ولا قيام ولا قعود ، ولا تشهد ، ولا سلام .

ومنها : قوله بصحة الصلاة فى ثوب كله نجس ، وعلى أرض نجسة ، ومع نجاسة ظاهر البدن . وإنما أوجب الطهارة عن الأحداث دون الأنجاس .

ومنها : قوله بأن غسل الميت والصلاة عليه سنتان غير مفروضتين وإنما الواجبه

كفنه ودفنه .

ومنها : قوله بصحة الصلاة المفروضة ، والصوم المفروض ، والحج للفروض بلانية وزعم أن نية الإسلام فى الإبتداء كافية عن نية كل فريضة من فرائض الإسلام ؛ وكان فى عصرنا شيخ للكرامية يعرف بإبراهيم بن مهاجر اخترع ضلالة لم يسبق إليها . فزعم أن أسماء الله عز وجل كلها أعراض فيه . وكذلك اسم كل مسمى عرض فيه . فزعم أن الله تعالى عرض حال فى جسم قديم ، والرحمن عرض آخر ، والرحيم عرض ثالث ، والخالق عرض رابع وكذلك كل اسم لله تعالى عرض غير الآخر . فالله تعالى عنده غير الرحمن ، والرحمن غير الرحيم ، والخالق غير الرازق . وزعم أيضا أن الزانى عرض فى الجسم الذى يضاف إليه الزنى ، والسارق عرض فى الذى يضاف إليه السرقة . وليس الجسم زانيا ولا سارقا فالمجلود والمقطوع عنده غير الزانى والسارق . وزعم أيضا أن الحركة والمتحرك عرضان فى الجسم وكذلك السواد والأسود عرضان فى الجسم وكذلك العلم والعالم، والقدرة والقادر ، والحى والحياة كل ذلك أعراض غير الأجسام . فالعلم عنده لايقوم بالعالم وإنما يقوم بمحل العالم ، والحركة لا تقوم بالمتحرك وإنما تقوم بمحل المتحرك .

قال عبد القاهر : ناظرت ابن مهاجر هذا فى مجلس ناصر الدولة أبى الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور صاحب جيش السامانية فى سنة سبعين وثلاثمائة فى هذه المسألة وألزمته فيها أن يكون المحدود فى الزنى غير الزانى ، والمقطوع فى السرقة غير السارق فالتزم ذلك . فألزمته أن يكون معبوده عرضاً لأن المعبود عنده اسم ، وأسماء الله تعالى عنده أعراض حالة فى جسم قديم . فقال : المعبود عرض فى جسم القديم وأنا أعبد الجسم دون العرض فقلت له : أنت إذن لا تعبد الله عز وجل لأن الله تعالى عندك عرض . وقد زعمت أنك تعبد الجسم دون العرض .

وفضائح للكرامية على الأعداد كثيرة الإمداد وفيما ذكرنا منها فى هذا الفصل كفاية والله أعلم .

الفصل الثامن

في بيان مذاهب المشبهة من أصناف شتى .

اعلموا أسعدكم الله أن المشبهة صنفان : صنف شبهوا ذات البارى بذات غيره . وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره . وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى . والمشبهة الذين ضلوا فى تشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة . وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة . فمنهم . السبئية الذين سموا عليا إلها وشهود بذات الإله، ولما أحرق قوما منهم قالوا له : الآن علمنا أنك إله لأن النار لا يعذب بها إلا الله . ومنهم : البيانية . أتباع بيان بن سمعان الذى زعم أن معبوده إنسان من نور على صورة الإنسان فى أعضائه وأنه يفنى كله إلا وجهه . ومنهم المغيرية . أتباع المغيرة بن سعيد العجلى الذى زعم أن معبوده ذو أعضاء وأن أعضاءه على صور حروف الهجاء (١) . ومنهم المنصورية : أتباع أبى منصور العجلى الذى شبه نفسه بربه . وزعم أنه صعد إلى السماء . وزعم أيضا أن الله مسح يده على رأسه وقال له : يابنى بلغ عنى . ومنهم : الخطابية الذين قالوا بإلهية الأئمة وبإلهية أبى الخطاب الأسدى . ومنهم : الذين قالوا بإلهية عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . ومنهم : الحلولية الذين قالوا بحلول الله فى أشخاص الأئمة وعبدوا الأئمة لأجل ذلك . ومنهم : الحلولية الحلمانية المنسوبة إلى أبى حلمان الدمشقى الذى زعم أن الإله يحل فى كل صورة حسنة وكان يسجد لكل صورة حسنة ومنهم : المقنعية المبيضة (٢) بما وراء نهر جيحون فى دعواهم إن المقنع كان إلها . وإنه مصور فى كل زمان بصورة

---

(١) إننا ننكر حمل الأحاديث التى يتنافى ظاهرها مع مايليق بالله سبحانه وتعالى . وكان الواجب على المشبهة أن يحملوا تلك الآيات والأحاديث على معان تليق بالكمال المطلق لله سبحانه وتعالى كما فعل الخلف من علماء المسلمين أو أن يقفوا منها كما وقف سلف المسلمين ولا يؤولونها تأويلا يتنافى مع كماله سبحانه وتعالى .

(٢) فرقة من الثنوية سموا أنفسهم المبيضة وذلك لأنهم كانوا يبيضون ثيابهم مخالفين للمسودة من العباسيين .

مخصوصة . ومنهم : العزافرة الذين قالوا بإلهية ابن أبي العزافر [١] المقتول ببغداد وهذه الأصناف الذين ذكرناهم فى هذا الفصل كلهم خارجون عن دين الإسلام وإن انتسبوا فى الظاهر إليه . وسنذكر تفصيل مقالة كل صنف منهم فى الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب إذا انتهينا إليه إن شاء الله عز وجل . وبعد هذا فرق من المشبهة عدهم المتكلمون فى فرق الملة لإقرارهم بلزوم أحكام القرآن ، وإقرارهم بوجوب أركان شريعة الإسلام من الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج عليهم وإقرارهم بتحريم المحرمات عليهم وإن ضلوا وكفروا فى بعض الأصول العقلية .

ومن هـــذا الصنف هشامية منتسبة إلى هشام بن الحكم الرافضى الذى شبه معبوده بالإنسان . وزعم لأجل ذلك أنه سبعة أشبار بشبر نفسه . وأنه جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل ، عريض ، عميق ، وذو لون ، وطعم ، ورائحة . وقد روى عنه أن معبوده كسبيكة الفضة ، وكاللؤلؤة [٢] المستديرة وروى عنه أنه أشار إلى أن جبل أبي قبيس أعظم منه . وروى عنه أنه زعم أن الشعاع من معبوده متصل بما يراه ومقالته فى هذا التشبيه على التفصيل الذى ذكرناه فى تفصيل أقوال الإمامية قبل هذا .

ومنهم : الهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقى الذى زعم أن معبوده على صورة الإنسان وأن نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت وأن له شعرة سوداء وقلبا تنبع منه الحكمة . ومنهم اليونسية المنسوبة إلى يونس بن عبد الرحمن القمي الذى زعم أن الله تعالى يحمله حملة عرشه ، وإن كان هو أقوى منهم كما أن الكركى تحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه

---

(١) أبو جعفر محمد بن على الشلمغانى الذى قتل سنة ٣٢٢ هـ .

(٢) زعم مقاتل بن سليمان أن الله جسم من الأجسام لحم ودم وأنه سبعة أشبار بشبر نفسه . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولا ندرى كيف يقبل عقل سليم مثل هذا الزيف والتخريف . اللهم إلا إذا كان عقلا واهنا معتوها . وما أشنعها من فرية . ولله در القائل :

ما فى البرية أخزى عند فاطرها ... ممن يقول بإجبار وتشبيه

ومنهم : المشبهة المنسوبة إلى داود الجوارى(١) الذى وصف معبوده بجميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية . ومنهم : الإبراهيمية المنسوبة إلى إبراهيم بن أبى يحيى الأسلمى وكان من جملة رواة الأخبار غير أنه ضل فى التشبيه ونسب إلى الكذب فى كثير من رواياته.
ومنهم : الحابطية من القدرية : وهم منسوبون إلى أحمد بن خابط (٢) وكان من المعتزلة المنتسبة إلى النظام ثم إنه شبه عيسى بن مريم بربه وزعم إنه الإله الثانى ، وأنه هو الذى يحاسب الخلق فى القيامة . ومنهم الكرامية فى دعواها أن الله تعالى جسم له حد ونهاية وأنه محل الحوادث ، وأنه مماس لعرشه . وقد بينا تفصيل مقالاتهم قبل هذا بما فيه كفاية فهؤلاء مشبهة لله تعالى بخلقه فى ذاته .

فأما المشبهة لصفاته بصفات المخلوقين فأصناف : —

منهم : الذين شبهوا إرادة الله تعالى بإرادة خلقه . وهذا قول المعتزلة البصرية الذين زعموا أن الله تعالى عز وجل يريد مراده بإرادة حادثة . وزعموا أن إرادته من جنس إرادتنا ثم ناقضوا هذه الدعوى بأن قالوا : يجوز حدوث إرادة الله عز وجل لا فى محل ، ولا يصح حدوث إرادتنا إلا فى محل . وهذا ينقض قولهم إن إرادته من جنس إرادتنا لأن الشيئين إذا كانا متماثلين ومن جنس واحد جاز على كل واحد منهما مايجوز على الآخر واستحال فى كل واحد منهما مايستحيل على الآخر . وزادت الكرامية على المعتزلة البصرية فى تشبيه إرادة الله تعالى بإرادات عباده وزعموا أن إرادته من جنس إرادتنا وأنها حادثة فيه كما تحدث إرادتنا فينا . وزعموا لأجل ذلك أن الله تعالى محل للحوادث . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومنهم: الذين شبهوا كلام الله عز وجل بكلام خلقه . فزعموا أن كلام الله تعالى أصوات وحروف من جنس الأصوات والحروف المنسوبة إلى العباد . وقالوا بحدوث كلامه وأحال جمهورهم سوى الجبائى بقاء كلام الله تعالى . وقال النظام منهم : ليس فى نظم كلام الله سبحانه إعجاز كما ليس فى نظم كلام العباد إعجاز . وزعم أكثر المعتزلة أن الزنج ، والترك ، والخزر قادرون على الإتيان بمثل نظم القرآن و بما هو أفصح منه وإنما عدموا العلم بتأليفه

---

(١) أخذ التجسيم عن الجواليقى وأخذ عنه قوله هذا .

(٢) هو من أصحاب النظام ويقول بالطفرة وزاد التناسخ يقول به .

فإنه وذلك العلم بما يصح أن يكون مقدورا لهم . وشاركت الكرامية المعتزلة فى دعواها حدوث قول الله عز وجل مع فرقها بين القول والكلام فى دعواها أن قول الله سبحانه من جنس أصوات العباد وحروفهم ، وأن كلامه قدرته على إحداث القول . وزادت على المعتزلة قولها بحدوث قول الله عز وجل فى ذاته بناء على أصلهم فى جواز كون الإله محلا للحوادث .

ومنهم : الزرارية أتباع زرارة بن أعين الرافضى فى دعواها حدوث جميع صفات الله عز وجل وأنها من جنس صفاتنا وزعموا أن الله تعالى لم يكن فى الأزل حياً ، ولا عالماً ، ولا قادراً ، ولا مريدا ، ولا سميعا ، ولا بصيرا ، وإنما استحق هذه الأوصاف حين أحدث لنفسه حياة ، وقدرة ، وعلما ، وإرادة ، وسمعا ، وبصرا كما أن الواحد منا يصير حياً ، قادرا ، سميعا ، بصيرا ، مريدا ، عند حدوث الحياة ، والقدرة ، والإرادة ، والعلم والسمع ، والبصر فيه .

ومنهم : الذين قالوا من الروافض بأن الله تعالى لا يعلم الشىء حتى يكون فأوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم منا . وهذا باب إن أطلناه طال ونشر الأذيال . وقد بينا تفصيل أقوال المعتزلة ، والمشبهة ، وأقوال سائر أصحاب الأهواء فى كتابنا المعروف بكتاب « الملل والنحل » وفيما ذكرنا منها فى هذا الباب كفاية والله أعلم .

الباب الرابع

من أبواب هذا الكتاب

فى بيان الفرق التى انتسبت إلى الإسلام وليست منها :

الكلام فى هذا الباب يدور على اختلاف المتكلمين فيمن يعد من أمة الإسلام وملته وقد ذكرنا قبل هذا أن بعض الناس زعم أن اسم ملة الإسلام واقع على كل مقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإن كل ما جاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ما كان . وهذا اختيار الكعبى فى مقالاته . وزعمت الكرامية : أن اسم أمة الإسلام واقع على كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله سواء أخلص فى ذلك أو اعتقد خلافه . وهذان الفريقان يلزمهما إدخال العيسوية من اليهود ، والشاذكانية [1] منهم فى ملة الإسلام لأنهم يقولون لا إله إلا الله

(١) لعله تحريف أو تصحيف والأصل : الموشكانية فرقة من اليهود .

محمد رسول الله . ويزعمون أن محمداً كان مبعوثاً إلى العرب ، وقد أقروا بأن ماجاء به حق وقال بعض فقهاء أهل الحديث : اسم أمة الاسلام واقع على كل من اعتقد وجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة . وهذا غير صحيح لأن أكثر المرتدين الذين ارتدوا بإسقاط الزكاة فى عهد الصحابة كانوا يرون وجوب الصلاة إلى الكعبة . وإنما ارتدوا بإسقاط وجوب الزكاة وهم المرتدون من بنى كندة وتميم .

فأما المرتدون من بنى حنيفة وبنى أسد فإنهم كفروا من وجهين : أحدهما : إسقاط وجوب الزكاة . والثانى : دعواهم نبوة مسيلمة ، وطليحة . وأسقط بنو حنيفة وجوب صلاة الصبح ، وصلاة المغرب فازدادوا كفرا على كفر .

والصحيح عندنا أن اسم ملة الاسلام واقع على كل من أقر بحدوث العالم ، وتوحيد صانعه ، وقدمه وأنه عادل حكيم مع نفى التشبيه والتعطيل عنه ، وأقر مع ذلك بنبوة جميع أنبيائه وبصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الكافة ، وبتأبيد شريعته ، وبأن كل ماجاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام شريعته ، وبوجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة وبوجوب الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت على الجملة . فكل من أقر بذلك فهو داخل فى أهل ملة الإسلام وينظر فيه بعد ذلك فإن لم يخلط إيمانه ببدعة شنعاء تؤدى إلى الكفر فهو الموحد السنى . وإن ضم إلى ذلك بدعة شنعاء نظر فإن كان على بدعة الباطنية ، أو البيانية ، أو المغيرية ، أو المنصورية ، أو الجناحية ، أو السبئية ، أو الخطابية من الرافضة أو كان على دين الحلولية ، أو على دين أصحاب التناسخ ، أو على دين الميمونية أو اليزيدية من الخوارج ، أو على دين الخابطية أو الحمارية من القدرية أو كان ممن يحرم شيئا مما نص القرآن على إباحته باسمه ، أو أباح ما حرم القرآن باسمه فليس هو من جملة أمة الإسلام .

وإن كانت بدعته من جنس بدع الرافضة الزيدية ، أو الرافضة الإمامية ، أو من جنس بدع الخوارج ، أو من جنس بدع المعتزلة ، أو من جنس بدع النجارية ، أو الجهمية أو الضرارية ، أو المجسمة من الأمة كان من جملة أمة الإسلام فى بعض الأحكام وهو أن يدفن فى مقابر المسلمين ، ويدفع إليه سهمه من الغنيمة إن غزا مع المسلمين ، ولا يمنع من دخول مساجد المسلمين ومن الصلاة فيها . ويخرج فى بعض الأحكام عن حكم أمة الإسلام وذلك : إنه لا تجوز الصلاة عليه ، ولا الصلاة خلفه ، ولا تحل ذبيحته ، ولا تحل المرأة منهم للسنى ، ولا يصح نكاح السنية من أحد منهم ، والفرق المنتسبة إلى الإسلام فى الظاهر

مع خروجها عن جملة الأمة عشرون فرقة هذه ترجمتها :

سبئية ، وبيانية ، وحربية ، ومغيرية ومنصورية ، وجناحية ، وخطابية ، وغرابية ، ومفوضية ، وحلولية ، وأصحاب التناسخ ، وخابطية ، وخمارية ، ومقنعية ، ورزامية ، ويزيدية وميمونية ، وباطنية ، وحلاجية ، وعزافرية ، وأصحاب إباحة . وربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق أصنافاً كثيرة نذكرها على التفصيل فى فصول مرتبة إن شاء الله عز وجل .

الفصل الأول

من فصول هذا الباب .

فى ذكر قول السبئية وبيان خروجها عن ملة الإسلام .

السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذى غلا فى على رضى الله عنه وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة ورفع خبرهم إلى على رضى الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم فى حفرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك : -

لترم بى الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم إن عليا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن فلما قتل على رضى الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا وإنما كان شيطانا تصور للناس فى صورة على وإن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام . وقال : كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواها قتل على ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى كذلك القائلون بقتل على رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه على . وعلى قد صعد إلى السماء وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه . وزعم بعض السبئية أن علياً فى السحاب وأن الرعد صوته ، والبرق سوطه ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال : عليك السلام ياأمير المؤمنين . وقد روى عن عامر بن شراحيل[1] الشعبى أن ابن سبأ قيل له إن علياً قد قتل . فقال : إن جئتمونا بدماغه فى صرة لم تصدق بموته لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها وهذه الطائفة تزعم أن المهدى المنتظر إنما هو على دون غيره وفى هذه الطائفة قال إسحاق بن سويد العدوى

---

(١) كان علامة التابعين . وأكبر شيوخ أبى حنيفة . توفى سنة ١٠٤ هـ .

قصيدته برىء فيها من الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، منها هذه الأبيات : -

برئت من الخوارج لست منهم   من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم إذا ذكروا عليا   يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى   وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا   به أرجو غداً حسن الثواب

وقد ذكر الشعبي أن عبد الله بن السوداء [١] وكان يعين السبئية على قولها : وكان ابن السوداء فى الأصل يهوديا من أهل الحيرة فاظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصيا وإن عليا رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خير الاوصياء كما أن محمدا خير الانبياء . فلما سمع ذلك منه شيعة على قالوا لعلى إنه من محبيك فرفع على قدره وأجلسه تحت درجة منبره .

ثم بلغه غلوه فيه فهم بقتله فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال له : إن قتلته اختلف عليك أصحابك وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى مداراة أصحابك . فلما خشى من قتله ومن قتل ابن سبأ الفتنة التى خافها ابن عباس نفاهما إلى المدائن فافتتن بهما الرعاع بعد قتل على رضى الله عنه . وقال لهم ابن السوداء : والله لينبعن لعلى فى مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منهما شيعته .

وقال المحققون من أهل السنة إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى على وأولاده لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام فانتسب إلى الرافضة السبئية حين وجدهم أعرق أهل الأهواء فى

---

(١) هو عبد الله بن سبأ . رأس الفتنة ومشعل نيرانها . كان يقول أول أمره إن عليا كان نبيا . ثم قال : كان إلها . وتبعه قوم وبلغ على خبره أمر بحفر حفرتين وكان يحرقهم فيهما . وقد كان يهوديا فأسلم ابتغاء بث الفرقة والخلاف والفتنة بين المسلمين .

الكفر . ودلس ضلالته فى تأويلاته . .

قال عبد القاهر : كيف يكون من فرق الإسلام قوم يزعمون أن عليا كان إلها أو نبيا ؟ ولئن جاز إدخال هؤلاء فى جملة فرق الإسلام جاز إدخال الذين ادعوا نبوة مسيلمة الكذاب فى فرق الإسلام . قلنا للسبئية : إن كان مقتول عبد الرحمن بن ملجم شيطانا تصور للناس فى صورة على فلم لعنتم ابن ملجم . وهلا مدحتموه ؟ فإن قاتل الشيطان محمود على فعله غير مذموم به . وقلنا لهم كيف يصح دعواكم إن الرعد صوت على والبرق سوطه وقد كان صوت الرعد مسموعا ، والبرق محسوسا فى زمن الفلاسفة قبل زمان الإسلام ولهذا ذكروا الرعد والبرق فى كتبهم واختلفوا فى علتهما ؟ . ويقال لابن السوداء ليس على عندك وعند الذين تميل إليهم من اليهود أعظم رتبة من موسى ، وهارون ، ويوشع بن نون وقد صح موت هؤلاء الثلاثة ولم ينبع لهم فى الأرض عسل ولا سمن سوى نبوع الماء العذب من الحجر الصلد لموسى وقومه فى التيه فما الذى عصم علياً من الموت وقد مات ابنه الحسين وأصحابه بكربلاء عطشا ولم ينبع لهم ماء فضلا عن عسل وسمن .

الفصل الثانى

من فصول هذا الباب :

فى ذكر البيانية من الغلاة وبيان خروجها عن فرق الإسلام .

هؤلاء أتباع بيان بن سمعان التميمى وهم الذين زعموا أن الإمامة صارت من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد ثم صارت من أبى هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته إليه واختلف هؤلاء فى بيان زعيمهم .

فمنهم : من زعم أنه كان نبيا وأنه نسخ بعض شريعة محمد صلى الله عليه وسلم . ومنهم : من زعم أنه كان إلها . وذكر هؤلاء أن بيانا قال لهم : إن روح الإله تناسخت فى الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ثم انتقلت إليه منه يعنى نفسه فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية وزعم أيضا أنه هو المذكور فى القرآن فى قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١) » ، وقال : أنا البيان وأنا الهدى والموعظة . وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم ، وإنه يهزم به العساكر ، وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه ثم إنه زعم أن الإله الأزلى رجل من نور ، وأنه يفنى كله غير وجهه وتأول على زعمه قوله :

(١) الآية ١٣٨ من سورة آل عمران .

«كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون [1]» وقوله: كل من عليها فان ويبقى وجه ربك [2]» ورفع خبر بيان هذا إلى خالد بن عبد الله القسرى فى زمان ولايته فى العراق فاحتال على بيان حتى ظفر به وصلبه وقال له: إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذى تعرفه فاهزم به أعوانى عنك.

وهذه الفرقة خارجة عن جميع فرق الإسلام لدعواها إلهية زعيمها بيان كما خرج عابدو الأصنام عن فرق الإسلام. ومن زعم منهم أن بياناً كان نبياً فهو كمن زعم أن مسيلمة كان نبيا. وكلا الفريقين خارجان عن فرق الإسلام. ويقال للبيانية إذا جاز فناء بعض الإله فما المانع من فناء وجهه؟ فأما قوله «كل شيء هالك إلا وجهه» فمعناه راجع إلى بطلان كل عمل لم يقصد به وجه الله عز وجل. وقوله: ويبقى. معناه: ويبقى ربك لأنه قال بعده ذو الجلال والإكرام بالرفع على البدل من الوجه. ولو كان الوجه مضافا إلى الرب لقال ذى الجلال بخفض ذى لأن نعت المخفوض يكون مخفوضاً وهذا واضح فى نفسه والحمد لله.

الفصل الثالث

فى ذكر المغيرية من الغلاة وبيان خروجها عن جملة فرق الإسلام.

هؤلاء أتباع المغيرة بن سعيد العجلى وكان يظهر فى بدء أمره موالاة الإمامية. ويزعم أن الإمامة بعد على، والحسن، والحسين إلى سبطه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على [3]. وزعم أنه هو المهدى المنتظر واستدل على ذلك بالخبر الذى ذكر أن اسم المهدى يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه يوافق اسم أبي النبى عليه السلام وتبعته الرافضة على دعوته إياهم إلى انتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على. ثم إنه أظهر لهم بعد رياسته عليهم أنواعا من الكفر الصريح.

منها: دعواه النبوة، ودعواه علمه بالاسم الأعظم، وزعم أنه يحيي به الموتى، ويهزم به الجيوش.

ومنها: إفراطه فى التشبيه. وذلك أنه زعم أن معبوده رجل من نور وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة. وزعم أيضا: ان أعضاءه على صور حروف الهجاء وأن الألف منها مثال قدميه، والعين على صورة عينه، وشبه الهاء بالفرج.

---

(١) الآية ٨٨ من سورة القصص. (٢) الآيتان ٢٦، ٢٧ من سورة الرحمن.
(٣) هو المعروف بالنفس الزكية المتوفى سنة ١٤٥ هـ.

ومنها : أنه تـكلم فى بدء الخلق فزعم أن الله تعالى لما أراد أن يخلق العالم تـكلم باسمه الأعظم فطار ذلك الاسم ووقع تاجا على رأسه وتأول على ذلك قوله : « سبح اسم ربك الأعلى ⁽¹⁾ » وزعم أن الاسم الأعلى انما هو ذلك التاج ثم أنه بعد وقوع التاج على رأسه كتب بأصبعه على كفه أعمال عباده . ثم نظر فيها فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما : مظلم مالح . والآخر : عذب نير . ثم اطلع فى البحر فأبصر ظله فذهب ليأخذه فطار فانتزع عينى ظله فخلق منها الشمس والقمر وأفنى باقى ظله وقال : لا ينبغى أن يكون معى إله غيرى . ثم خلق الخلق من البحرين فخلق الشيعة من البحر العذب النير فهم المؤمنون ، وخلق الـكفرة وهم أعداء الشيعة من البحر المظلم المالح . وزعم أيضا ان الله تعالى خلق الناس قبل أجسادهم فـكان أول ماخلق فيها ظل محمد قال فذلك قوله : « قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين ⁽²⁾ » قال ثم أرسل ظل محمد إلى أظلال الناس ثم عرض على السموات والجبال أن يمنعن على بن أبى طالب من ظالميه فأبين ذلك فعرض ذلك على الناس فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة على ومنعـــه من أعدائه وأن يغدر به فى الدنيا وضمن له أن يعينه على الغـدر به على شرط أن يجعل له الخلافة بعده ففعـل أبو بـكر ذلك . قال : فذلك تأويل قوله : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا ⁽³⁾ » فزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر . وتأول فى عمر قول الله تعالى : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إنى برىء منك ⁽⁴⁾ » والشيطان عنده عمر ، وكان المغيرة مع ضلالاته التى حكيناها عنه يأمر أصحابه بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وسمع خالد بن عبد الله القسرى بخبره وضلالاته فطلبه فلما قتل المغيرة بقى أتباعه على انتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فلما أظهر محمد هذا دعوته بالمدينة بعث اليها أبو جعفر المنصور بصاحب جيشه عيسى بن موسى مع جيش كثيف فقتلوا محمداً بعد غلبته على مكة والمدينة . وكان أخوه إدريس بن عبد الله قد غلب على أرض المغرب .

فأما محمد بن عبد الله بن الحسن فقتيل بالمدينة فى الحرب ، وأما إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فإنه غره يسير من الرجال وأتباعه من المعتزلة وضمنوا له النصرة على جند المنصور فلما

(١) الآية الأولى من سورة الأعلى .
(٢) الآية ٨١ من سورة الزخرف .
(٣) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب .
(٤) الآية ١٦ من سورة الحشر .

التقى الجمعان بباخمرى وهى على ستة عشر فرسخا من الكوفة قتل إبراهيم وانهزمت المعتزلة عنه ولحقه شؤمهم وتولى قتالهم من أصحاب المنصور عيسى بن موسى ومسلم بن قتيبة .

وأما أخوه إدريس فإنه مات بأرض المغرب وقيل إنه سم . وذكر بعض أصحاب التواريخ أن سليمان بن جرير الزيدى سمه ثم هرب إلى العراق فلما قتل محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن اختلفت المغيرية فى المغيرة فهربت منه فرقة منهم ولعنوه وقالوا : إنه كذب فى دعواه أن محمد بن عبد الله بن الحسن هو المهدى الذى يملك الأرض لأنه قتل ولم يملك الأرض ولا عشرها . وفرقة ثبتت على موالاة المغيرة وقالت : إنه صدق فى أن محمد بن عبد الله بن الحسن هو المهدى المنتظر ، وأنه لم يقتل بل هو فى جبل من جبال حاجر مقيم إلى أن يؤمر بالخروج فإذا خرج عقدت له البيعة بمكة بين الركن والمقام ويحيى له سبعة عشر رجلا يعطى كل رجل منهم حرفا واحداً من حروف الاسم الأعظم فيهزمون الجيوش ويملكون الأرض . وزعم هؤلاء أن الذى قتله جند المنصور بالمدينة إنما كان شيطانا تمثل للناس بصورة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن . وهؤلاء يقال لهم المحمدية من الرافضة لانتظارهم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وكان جابر الجعفى (١) على هذا المذهب وادعى وصية المغيرة بن سعيد إليه بذلك . فلما مات جابر ادعى بكر الأعور الهجرى القتات وصية جابر إليه وزعم أنه لا يموت . وأكل بذلك أموال المغيرية على وجه السخرية منهم . فلما مات بكر علموا أنه كان كاذباً فى دعواه فلعنوه .

قال عبد القاهر : كيف يعد فى فرق الإسلام قوم شبهوا معبودهم بحروف الهجاء وادعوا نبوة زعيمهم ؟ لو كان هؤلاء من الأمة لصح قول من يزعم أن القائلين بنبوة مسيلمة ، وطليحة كانوا من الأمة . ويقال للمغيرية إن أنكرتم قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وزعمتم أن المقتول كان شيطانا تصور فى صورته فبم تنفصلون عمن يزعم أن الحسين بن على وأصحابه لم يقتلوا بكربلاء بل غابوا وقتل شياطين تصوروا بصورتهم فانتظروا حسينا فإنه أعلى رتبة من ابن أخيه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وانتظروا عليا ولا تصدقوا بقتله كما انتظرته السبئية فإن عليا أجل من بنيه وهذا مالا انفصال لهم عنه .

---

(١) ضعفه قوم فى الحديث وأخرج له بعض أصحاب السنن وهو من الرافضة وكان يؤمن بالرجعة مات سنة ١٢٧ ه

الفصل الرابع

من هذا الباب :

في ذكر الحربية وبيان خروجهم عن فرق الأمة .

هؤلاء أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى وكان على دين البيانية فى دعواها أن روح الإله تناسخت فى الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . ثم زعمت الحربية أن تلك الروح انتقلت من عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى عبد الله ابن عمرو بن حرب وادعت الحربية فى زعيمها عبد الله بن عمرو بن حرب مثل دعوى البيانية فى بيان بن سمعان وكلتا الفرقتين كافرة بربها وليست من فرق الإسلام كما أن سائر الحلولية خارجة عن فرق الإسلام .

الفصل الخامس

من هذا الباب

فى ذكر المنصورية وبيان خروجها عن جملة فرق الإسلام .

هؤلاء أتباع أبى منصور العجلى الذى زعم أن الإمامة دارت فى أولاد على حتى انتهت إلى أبى جعفر محمد بن الحسين بن على المعروف بالباقر وادعى هذا العجلى انه خليفة الباقر ، ثم ألحد فى دعواه فزعم أنه عرج به إلى السماء وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له : يابنى بلغ عنى . ثم أنزله إلى الأرض وزعم أنه الكسف الساقط من السماء المذكور فى قوله : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم [1] » . وكفرت هذه الطائفة بالقيامة والجنة والنار وتأولوا الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس فى الدنيا ، واستحلوا مع هذه الضلالة خنق مخالفيهم واستمرت فتنتهم على عادتهم الى أن وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى زمانه على عورات المنصورية وأخذ أبا منصور العجلى وصلبه ، وهذه الفرقة أيضا غير معدودة فى فرق الإسلام لكفرها بالقيامة والجنة والنار .

---

(١) الآية ٤٤ من سورة الطور .

الفصل السادس

من هذا الباب :

فى ذكر الجناحية من الغلاة وبيان خروجها عن فرق الاسلام .

هؤلاء أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب [١] وكان سبب اتباعهم له أن المغيرية الذين تبرءوا من المغيرة بن سعيد بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على خرجوا من الكوفة إلى المدينة يطلبون إماما فلقيهم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فدعاهم إلى نفسه وزعم أنه هو الإمام بعد على وأولاده من صلبه فبايعوه على امامته ورجعوا إلى الكوفة وحكوا لأتباعهم أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر زعم أنه رب وأن روح الإله كانت فى آدم ، ثم فى شيث ، ثم دارت فى الأنبياء والأئمة الى أن انتهت إلى على ثم دارت فى أولاده الثلاثة ثم صارت الى عبد الله بن معاوية وزعموا أنه قال لهم : إن العلم ينبت فى قلبه كما تنبت الكمأة والعشب . وكفرت هذه الطائفة بالجنة والنار ، واستحلوا الخمر والميتة والزنى واللواط وسائر المحرمات ، وأسقطوا وجوب العبادات ، وتأولوا العبادات على أنها كنايات عمن تجب موالاتهم من أهل بيت على ، وقالوا فى المحرمات المذكورة فى القرآن إنها كنايات عن قوم يجب بغضهم كأبى بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة . وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب « المعارف » أن عبد الله بن معاوية هذا ظهر بناحيتى فارس وأصفهان فى جنده ، فبعث أبو مسلم الخراسانى إليه جيشا كثيفاً فقتلوه ، وأنكر أتباعه قتله وزعموا أنه حى . ويقال لهذه الطائفة : إن لم يكن لنا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فليس على مخالفيكم خوف من قتلكم وسبى نسائكم .

الفصل السابع

من هذا الباب :

(فى ذكر الخطابية : أتباع أبى الخطاب الأسدى [٢] وهم يقولون إن الإمامة كانت فى أولاد على إلى أن انتهت إلى جعفر الصادق ، ويزعمون أن الأئمة كانوا آلهة ، وكان أبو الخطاب يزعم أولا أن الأئمة أنبياء ثم زعم أنهم آلهة وأن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه ، وكان يقول إن جعفراً إله فلما بلغ ذلك جعفراً لعنه وطرده ، وكان أبو الخطاب يدعى بعد ذلك الإلهية لنفسه ، وزعم أتباعه أن جعفراً إله غير أن أبى الخطاب

(١) كان قد خرج على الأمويين بالكوفة فى عهد مروان بن محمد وقد قتله أبو مسلم الخراسانى

(٢) كان مولى لبنى أسد وظل على ضلالته حتى قتله عيسى بن موسى سنة ١٤٣ هـ

أفضل منه وأفضل من علي ، والخطابية يرون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم ، ثم إن أبا الخطاب نصب خيمة فى كناسة الكوفة ودعا فيها أتباعه إلى عبادة جعفر ، ثم خرج أبو الخطاب على والى الكوفة فى أيام المنصور . فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى فى جيش كثيف ، فأسروه فصلب فى كناسة الكوفة ، وأتباعه كانوا يقولون : ينبغى أن يكون فى كل وقت إمام ناطق ، وآخر ساكت : والأئمة يكونون آلهة ويعرفون الغيب ، ويقولون إن عليا كان فى وقت النبى صامتا ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم ناطقا ، ثم صار على بعده ناطقا . وهكذا يقولون فى الأئمة إلى أن انتهى الأمر إلى جعفر . وكان أبو الخطاب فى وقته إماما صامتا وصار بعده ناطقا ، وأتباع أبى الخطاب افترقوا بعد صلبه خمس فرق كلهم يزعمون أن الأئمة آلهة ، وأنهم يعلمون الغيب وما هو كائن قبل أن يكون . وكلهم كفار مارقون من دين الإسلام ، فالفرقة الأولى منهم المعمرية : وهم يقولون إن الإمام بعد أبى الخطاب رجل اسمه معمر[1] ، وكانوا يعبدونه كما يعبدون أبا الخطاب ، وكانوا يزعمون أن الدنيا لا تفنى ، وأن الجنة هى التى تصيب الناس من خير ونعمة وعافية وإن النار هى التى تصيب الناس من شر ومشقة وبلية ، واستحلوا المحرمات ودانـــوا بترك الفرائض وكانوا ينكرون القيامة ويقولون بتناسخ الأرواح .

الفرقة الثانية البزيغية : وهم أتباع بزيغ[2] ، وكان يزعم أن جعفراً كان إلها ، ولم يكن جعفر ذلك الذى يراه الناس ، بل كان يظهر للناس بتلك الصورة ، وزعموا أيضاً أن كل مؤمن يوحى إليه وتأولوا على ذلك قول الله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله[3] » أى يوحى منه إليه ، واستدلوا أيضاً بقوله : « وإذ أوحيت إلى الحواريين[4] » . وادعوا فى أنفسهم أنهم هم الحواريون وذكروا قول الله تعالى : « وأوحى ربك إلى النحل[5] » وقالوا : إذا جاز الوحى إلى النحل فالوحى إلينا أولى بالجواز . وزعموا أيضاً فيهم من هو أفضل من جبريل ، وميكائيل ، ومحمد . وزعموا أيضاً أنهم لا يموتون وأن الواحد منهم إذا بلغ النهاية فى دينه رفع إلى الملكوت ، وزعموا أنهم يرون المرفوعين منهم غدوة وعشية .

---

(١) اسمه المعمر بن عباد رأس من رءوس الضلال افتخر به الكعبى وأثبته فى مشايخ المعتزلة .

(٢) هكذا فى الملل والنحل . وفى التبصير « ربيع » ، ولعل ما هنا تحريف من النساخ .

(٣) الآية ١٤٥ من سورة آل عمران . (٤) الآية ١١١ من سورة المائدة .

(٥) الآية ٦٨ من سورة النحل .

والفرقة الثالثة منهم : العميرية أتباع عمير بن بيان العجلي[1] قالوا : بتكذيب الذين قالوا منهم أنهم لا يموتون . وقالوا . إنا نموت ولكن لا يزال خلف منا فى الأرض أئمة أنبياء وعبدوا جعفراً وسموه رباً .

والفرقة الرابعة منهم : المفضلية لانتسابهم إلى رجل كان يقال له مفضل الصيرفى قالوا بإلهية جعفر دون نبوته وتبرءوا من أبى الخطاب لبراءة جعفر منه .

والفرقة الخامسة منهم : الخطابية المطلقة : ثبتت على موالاة أبى الخطاب فى دعاويه كلها وأنكرت إمامة من بعده .

قال عبد القاهر : إن الباطنية، والمنصورية ،والجناحية ، والخطابية قد أكفروا أبا بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة بإخراجهم عليا من الإمامة فى عصرهم ، وهم قد أخرجوا الإمامة عن أولاد على فى أعصار زعمائهم . فيقال لهم : إذا كان على فى وقته أولى بالإمامة من سائر الصحابة فهلا كان أولاده أولى بها من زعمائهم فى أعصارهم . وليس العجب من هؤلاء الضالين وإنما العجب من علوية قبلوا هؤلاء مع استبدادهم دونهم بالإمامة .

الفصل الثامن

من هذا الباب :

فى ذكر الغرابية ، والمفوضة ، والذمية وبيان خروجهم عن فرق الأمة .

الغرابية : قوم زعموا أن الله عز وجل أرسل جبريل عليه السلام إلى على فغلط فى طريقه فذهب إلى محمد لأنه كان يشبهه وقالوا : كان أشبه به من الغراب بالغراب ، والذباب بالذباب وزعموا أن علياً كان الرسول وأولاده بعده هم الرسل وهذه الفرقة تقول لأتباعها العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام وكفر هذه الفرقة أكثر من كفر اليهود الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . من يأتيك بالوحى من الله تعالى ؟ فقال : جبريل. فقالوا : إنا لا نحب جبريل لأنه ينزل بالعذاب وقالوا : لو أتاك بالوحى ميكائيل الذى لا ينزل إلا بالرحمة لآمنا بك . فاليهود مع كفرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ومع عداوتهم لجبريل عليه السلام لا يلعنون جبريل وإنما يزعمون أنه من ملائكة العذاب دون الرحمة. والغرابية من الرافضة يلعنون جبريل ومحمداً عليهما السلام وقد قال الله تعالى : « من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين[2] » فى هذا تحقيق

---

(١) فى التبصير سماها العمروية وأنها تنسب إلى عمرو بن بيان العجلى .

(٢) الآية ٩٨ من سورة البقرة .

اسم الكافر لبغض بعض الملائكة ولا يجوز إدخال من سماهم الله كافرين فى جملة فرق المسلمين
وأما المفوضة من الرافضة : فقوم زعموا أن الله تعالى خلق محمداً ثم فوض إليه خلق العالم وتدبيره فهو الذى خلق العالم دون الله تعالى ، ثم فوض محمد تدبير العالم إلى على بن أبى طالب فهو المدبر الثانى وهذه الفرقة شر من المجوس الذين زعموا أن الإله خالق الشيطان ، ثم إن الشيطان خالق الشرور ، وشر من النصارى الذين سموا عيسى عليه السلام مدبراً ثانياً . فمن عد مفوضة الرافضة من فرق الإسلام فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام .

وأما الذمية منهم : فقوم زعموا أن عليا هو الله وشتموا محمداً وزعموا أن عليا بعثه ليبنيء عنه فادعى الأمر لنفسه وهذه خارجة عن فرق الإسلام لكفرها بنبوة محمد من الله تعالى :

الفصل التاسع

من هذا الباب .

فى ذكر الشريعية ، والنميرية من الرافضة :

الشريعية أتباع رجل كان يعرف بالشريعى وهو الذى زعم أن الله تعالى حل فى خمسة أشخاص وهم : النبى ، وعلى وفاطمة[1] ، والحسن ، والحسين . وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة ولها أضداد خمسة واختلفوا فى أضدادها . فنهم من زعم أنها محمودة لأنه لا يعرف فضل الأشخاص التى فيها الإله إلا بأضدادها . ومنهم من زعم أن الإضداد مذمومة وحكى الشريعى أنه ادعى يوماً أن الإله حل فيه وكان بعده من أتباعه رجل يعرف بالنميرى حكى عنه أنه ادعى فى نفسه أن الله تعالى حل فيه فهذه ثمانى فرق من الروافض الغلاة خارجة عن جميع فرق الإسلام لإثباتهم إلهاً غير الله . ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفراً الصادق قد أودعهم جلداً فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب ، وسموا ذلك الجلد جعفراً . وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم وقد ذكر ذلك هارون بن سعيد العجلى[2] فى شعره فقال : ـ

---

(١) سيدة نساء العالمين ، بنت رسول الله ﷺ وأشبه الناس بأبيها ماتت سنة ١١ هـ .

(٢) الصواب : هارون بن سعد العجلى كما فى التبصير . خرج مع إبراهيم بن عبد الله ابن حسن . كان من غلاة الرافضة . وقيل إنه ترك الرفض . ومات سنة ١٤٥ هـ

ألم تر أن الرافضين تفرقوا	وكلهم فى جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا إله ومنهم	طوائف سمته النبى المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جعفر	برئت إلى الرحمن ممن تجعفرا
(فإن كان يرضى مايقولون جعفر	فإنى إلى ربى أفارق جعفرا)
برئت إلى الرحمن من كل رافض	بصير بباب الكفر فى الدين أعورا
إذا كف أهل الحق عن بدعة مضى	عليها وإذ يمضوا إلى الحق قصرا
ولو قيل إن الفيل ضب لصدقوا	ولو قيل زنجى تحول أحمرا
وأخلف من بول البعير فإنه	إذا هو للإقبال وجه أدبرا
فيا قبح أقوام رموه بفرية	كما قال فى عيسى الفرى من تنصرا

الفصل العاشر

من هذا الباب :

فى ذكر أصناف الحلولية وبيان خروجها عن فرق الإسلام.

الحلولية فى الجملة عشر فرق كلها كانت فى دولة الإسلام وغرض جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع . وتفصيل فرقها فى الأكثر يرجع إلى غلاة الروافض . وذلك أن السبئية ، والبيانية ، والجناحية ، والخطابية ، والنميرية منهم بأجمعها حلولية وظهر بعدهم المقنعية بما وراء نهر جيحون وظهر قوم بمرو يقال لهم رزامية ، وقوم يقال لهم بركوكية . وظهر بعدهم قوم من الحلولية يقال لهم حلمانية، وقوم يقال لهم حلاجية ينسبون إلى الحسين بن منصور المعروف بالحلاج(١) . وقوم يقال لهم العزافرة ينسبون إلى ابن أبى العزافر وتبع هؤلاء الحلولية قوم من الخرمية شاركوهم فى استباحة المحرمات وإسقاط المفروضات ونحن نذكر نحلتهم على الاختصار .

أما السبئية فإنما دخلت فى جملة الحلولية لقولها بأن علياً صار إلهاً بحلول روح الإله فيه . وكذلك البيانية زعمت أن روح الإله دارت فى الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى على ثم دارت إلى محمد بن الحنفية ثم صارت إلى ابنه أبى هاشم ثم حلت بعده فى بيان بن سمعان. وادعوا بذلك إلهية بيان بن سمعان وكذلك الجناحية منهم حلولية لدعواها أن روح الإله دارت فى على وأولاده ثم صارت إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكفرت

---

(١) الناس مختلفون فى أمر الحلاج منهم من يعظمه ومنهم من يكفره . أمر المقتدر العباسى بضربه ألف سوط ثم قطع أطرافه الأربعة ثم جز رأسه وأحرق جثته وألقى الجثة بدجلة ونصب الرأس ببغداد.

يدعواها حلول روح الإله فى زعيمها وكفرت مع ذلك بالقيامة والجنة والنار . والخطابية كلها حلولية لدعواها حلول روح الإله فى جعفر الصادق وبعده فى أبى الخطاب الأسدى فهذه الطائفة كافرة من هذه الجهة ومن جهة دعواها أن الحسن والحسين وأولادهما أبناء الله وأحباؤه ومن ادعى منهم فى نفسه أنه من أبناء الله فهو أكفر من سائر الخطابية .

والشريعية . والنميرية منهم: حلولية لدعواها أن روح الإله حلت فى خمسة أشخاص : النبى ، وعلى ، وفاطمة . والحسن ، والحسين لدعواها أن هؤلاء الأشخاص الخمسة آلهة .

وأما الرزامية : فقوم بمرو أفرطوا فى موالاة أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس وساقوا الإمامة من أبى هاشم إليه ثم ساقوها من محمد بن على إلى أخيه عبد الله بن على السفاح ثم زعموا أن الإمامة بعد السفاح صارت إلى أبى مسلم وأقروا مع ذلك بقتل أبى مسلم وموته إلا فرقة منهم يقال لهم أبو مسلمية أفرطوا فى أبى مسلم غاية الإفراط وزعموا أنه صار إلها بحلول روح الإله فيه وزعموا أن أبا مسلم خير من جبريل ، وميكائيل ، وسائر الملائكة . وزعموا أيضا أن أبا مسلم حى لم يمت وهم على انتظاره وهؤلاء بمرو ، وهراة يعرفون بالبركوكية فإذا سئل هؤلاء عن الذى قتله المنصور قالوا : كان شيطانا تصور للناس فى صورة أبى مسلم .

وأما المقنعية : فهم المبيضة بما وراء نهر جيحون وكان زعيمهم المعروف بالمقنع[1] رجلا أعور قصاراً بمرو من أهل قرية يقال لها (كازه كيمن دات) وكان قد عرف شيئاً من الهندسة ، والحيل ، والنيرنجات وكان على دين ارزامية بمرو ثم ادعى لنفسه الإلهية واحتجب عن الناس ببرقع من حرير واغتر به أهل جبل إيلاق وقوم من الصغد ودامت فتنته على المسلمين مقدار أربع عشرة سنة وعاونه كفرة الأتراك الخلجية على المسلمين للغارة عليهم وهزموا عساكر كثيرة من عساكر المسلمين فى أيام المهدى بن المنصور[2] وكان المقنع قد أباح لأتباعه المحرمات وحرم عليهم القول بالتحريم ، وأسقط عنهم الصلاة ، والصيام وسائر العبادات وزعم لأتباعه أنه هو الإله وأنه كان قد تصور مرة فى صورة آدم ثم تصور فى وقت آخر بصورة نوح : وفى وقت آخر بصورة إبراهيم ثم تردد فى صور الأنبياء إلى محمد ثم تصور بعده فى صورة على وانتقل بعد ذلك فى صور أولاده ثم

---

(١) ادعى الربوبية : وحاصره سعيد الجرشى ومعه أتباعه . فلما أحس بالغلبة سقى نساءه سما ودخل المسلمون الحصن وقطعوا رأسه سنة ١٦٣ ه .

(٢) الخليفة محمد بن عبد الله المهدى المتوفى سنة ١٦٨ ه .

تصور بعد ذلك فى صورة أبى مسلم ثم أنه زعم أنه فى زمانه الذى كان قد تصور بصورة هشام بن حكيم[1] وكان اسمه هشام بن حكيم وقال : إنى إنما أتنقل فى الصور لأن عبادى لا يطيقون رؤيتى فى صورتى التى أنا عليها ومن رآنى احترق بنورى وكان له حصن عظيم وثيق بناحية كش ونخشب يقال له سيام وكان عرض جدار سورها أكثر من مائة آجرة ودونها خندق كبير وكان معه أهل الصغد ، والأتراك الخلجية وجهز المهدى إليهم صاحب جيشه معاذ بن مسلم فى سبعين ألفا من المقاتلة وأتبعهم بسعيد بن عمرو الجرشى[2] ثم أفرد سعيداً بالقتال وبتدبير الحرب فقاتله سنين واتخذ سعيد من الحديد والخشب مائتى سلم ليضعها على عرض خندق المقنع ليعبر عليها رجاله واستدعى من مولتان الهند عشرة آلاف جلد جاموس وحشاها رملا وكبس بها خندق المقنع وقاتل جند المقنع من وراء خندقه فاستأمن منهم إليه ثلاثون ألفاً وقتل الباقون منهم وأحرق المقنع نفسه فى تنور فى حصنه قد أذاب فيه النحاس مع القطران حتى ذاب فيه وافتتن به أصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا له جثة ولا رماداً . وزعموا أنه صعد إلى السماء وأتباعه اليوم فى جبال ايلاق أكره أهلها ولهم فى كل قرية من قراهم مسجد لا يصلون فيه ولكن يكترون مؤذنا يؤذن فيه . وهم يستحلون الميتة ، والخنزير وكل واحد منهم يستمتع بامرأة غيره وإن ظفروا بمسلم لم يره المؤذن الذى فى مسجدهم قتلوه وأخفوه غير أنهم مقهورون بعامة المسلمين فى ناحيتهم والحمد لله على ذلك .

وأما الحلمانية من الحلولية : فهم المنسوبون إلى أبى حلمان الدمشقى وكان أصله من فارس ومنشؤه حلب وأظهر بدعته بدمشق فنسب لذلك إليها وكان كفره من وجهين :

أحدهما : أنه كان يقول بحلول الإله فى الأشخاص الحسنة وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها يوهمون أن الإله قد حل فيها .

والوجه الثانى : من كفره قوله بالإباحة ودعواه أن من عرف الإله على الوصف الذى يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه .

قال عبد القاهر : رأيت بعض هؤلاء الحلمانية يستدل على جواز حلول الإله فى الأجساد بقول الله تعالى للملائكة فى آدم : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له

---

(١) وفى التبصير هشام بن الحكم . وسماه ابن خلكان « عطاء بن حكيم » .

(٢) قائد من قواد الخليفة العباسى المهدى .

ساجدين[1] ، وكان يزعم أن الإله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم لأنه كان قد حل في آدم وإنما حله لأنه خلقه في أحسن تقويم ولهذا قال : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم[2] ، فقلت له : أخبرني عن الآية التي استدللت بها في أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام والآية الناطقة بأن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم هل أريد بهما جميع الناس على العموم أم أريد بهما إنسان بعينه . فقال : ما الذي يلزمني على كل واحد من القولين إن قلت به ؟ فقلت : إن قلت إن المراد بهما كل الناس على العموم لزمك أن تسجد لكل إنسان وإن كان قبيح الصورة لدعواك أن الإله حل في جميع الناس . وإن قلت إن المراد به إنسان بعينه وهو آدم عليه السلام دون غيره فلم تسجد لغيره من أصحاب الصور الحسنة ، ولم تسجد للفرس الرائع ، والشجرة المثمرة . وذوات الصور الحسنة من الطيور والبهائم . وربما كان لهب النار في صورة رائعة . فإن استجزت السجود له فقد جمعت بين ضلالة الحلولية وضلالة عابدي النار وإذا لم تسجد للنار ، ولا للماء ، ولا للهواء ، ولا للسماء مع حسن صور هذه الأشياء في بعض الأحوال فلا تسجد للأشخاص الحسنة الصور . وقلت له أيضا إن الصور الحسنة في العالم كثيرة وليس بعضها بحلول الإله فيه أولى من بعض ، وإن زعمت أن الإله حال في جميع الصور الحسنة فهل ذلك الحلول على طريق قيام العرض بالجسم ، أو على طريق كون الجسم في مكانه . ويستحيل حلول عرض واحد في محال كثيرة ، ويستحيل كون شيء واحد في أمكنة كثيرة . وإذا استحال هذا استحال ما يؤدي إليه .

وأما الحلاجية : فمنسوبون إلى أبي المغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج[3] وكان من أرض فارس من مدينة يقال لها البيضاء وكان في بدء أمره مشغولا بكلام الصوفية وكانت عباراته حينئذ من الجنس الذي تسميه الصوفية الشطح وهو الذي يحتمل معنيين ، أحدهما : حسن محمود ، والآخر : قبيح مذموم وكان يدعى أنواع العلوم على الخصوص والعموم ، وافتتن به قوم من أهل بغداد وقوم من أهل طالقان وخراسان . وقد اختلف فيه المتكلمون ، والفقهاء ، والصوفية . فأما المتكلمون فأكثرهم على تكفيره وعلى أنه كان على مذاهب الحلولية ، وقبله قوم من متكلمي السالمية[4] بالبصرة ونسبوه إلى حقائق

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الحجر . (٢) الآية ٤ من سورة التين .

(٣) وهو الذي قتل وصلب سنة ٣٠٩ هـ .

(٤) هم كالبربهارية من الحشوية الذين اندسوا بين الحنابلة . وينسبون إلى أبي الحسن محمد بن أحمد بن سالم البصري المتوفى سنة ٣٥٠ هـ . والبربهارية يجهرون بالتشبيه والمكان ويكفرون مخالفيهم .

معانى الصوفية . وكان القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الأشعرى[1] رحمه الله نسبه إلى معاطاة الحيل والمخاريق وذكر فى كتابه الذى أبان فيه عجز المعتزلة عن تصحيح دلائل النبوة على أصولهم مخاريق الحلاج ووجوه حيله .

واختلف الفقهاء أيضاً فى شأن الحلاج فتوقف فيه أبو العباس بن سريج[2] لما استفتى فى دمه وأفتى أبو بكر بن داود بجواز قتله[3] . واختلف فيه مشايخ الصوفية فبرىء منه عمرو بن عثمان المكى[4] ، وأبو يعقوب الأقطع[5] وجماعة منهم . وقال عمرو بن عثمان كنت أماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن فقال : يمكننى أن أقول مثل هذا . وروى أن الحلاج مر يوماً على الجنيد فقال له : أنا الحق . فقال الجنيد : أنت بالحق أية خشبة تفسد . فتحقق فيه ما قال الجنيد لأنه صلب بعد ذلك . وقبله جماعة من الصوفية منهم : أبو العباس بن عطاء ببغداد[6] ، وأبو عبد الله بن خفيف[7] بفارس ، وأبو القاسم النصر آبادى[8] بنيسابور ، وفارس الدينورى[9] بناحيته . والذين نسبوه إلى الكفر وإلى دين الحلولية حكوا عليه أنه قال : من هذب نفسه فى الطاعة ، وصبر على اللذات

---

(١) القاضى الباقلانى . متكلم على مذهب أبى الحسن الأشعرى . صنف كثيرا من التصانيف . كان موصوفا بجودة الاستنباط وقوة الحجة وسرعة الجواب ومات سنة ٤٠٣ ه

(٢) شيخ الشافعية فى وقته . ولى قضاء شيراز وتوفى سنة ٣٠٦ وما قيل من أنه ممن أفتوا بقتل الحلاج سنة ٣٠٩ ه ليس بصحيح . وربما كان كلام ابن سريج عن الحلاج كان حين قبض عليه أول مرة سنة ٣٠١ ولم يتصل بحادث قتله .

(٣) هو أيضا توفى سنة ٢٩٧ ه أى قبل مقتل الحلاج باثنى عشر عاما .

(٤) توفى سنة ٢٩٧ ه وواضح أنه تبرأ من الحلاج قبل مقتله . ولم يكن له صلة بمقتله .

(٥) شيخ الصوفية ، صحب الجنيد وغيره . توفى سنة ٣٣٠ ه .

(٦) أحد مشايخ الصوفية القانتين الموصوفين بالاجتهاد فى العبادة توفى سنة ٣٠٩ ه بالعراق .

(٧) شيخ إقليم فارس صاحب الأحوال والمقامات مع التمسك بالكتاب والسنة مات سنة ٣٧١ ه .

(٨) الزاهد الواعظ شيخ الصوفية وشيخ المحدثين مات بمكة سنة ٣٦٧ ه .

(٩) من أصحاب الجنيد . صوفى . مات فى حوالى سنة ٣٤٠ ه .

والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقى درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذى حل فى عيسى بن مريم . ولم يرد حينئذ شيئا إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله تعالى . وزعموا أن الحلاج ادعى لنفسه هذه الرتبة وذكر أنه ظفروا بكتب له إلى أتباعه عنوانها : « من الهو هو رب الأرباب المتصور فى كل صورة إلى عبده فلان » . فظفروا بكتب أتباعه إليه وفيها : « ياذات الذات ومنتهى غاية الشهوات نشهد أنك المتصور فى كل زمان بصورة وفى زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ونحن نستجيرك ونرجو رحمتك ياعلام الغيوب » .

وذكروا أنه استمال ببغداد جماعة من حاشية الخليفة ومن حرمه حتى خاف الخليفة وهو جعفر المقتدر بالله مضرة فتنته فحبسه واستفتى الفقهاء فى دمه واستروح إلى فتوى أبى بكر بن داود بإباحة دمه إلى حامد بن العباس بضربه ألف سوط وبقطع يديه ورجليه وصلبه بعد ذلك عند جسر بغداد ففعل به ذلك يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثمائة ثم أنزل من جذعه الذى صلب عليه بعد ثلاث وأحرق وطرح رماده فى الدجلة . وزعم بعض المنسوبين إليه أنه حى لم يقتل وإنما قتل من ألقى عليه شبهه . الذين تولوه من الصوفية وزعموا أنه كشف له أحوال من الكرامة فأظهرها للناس فعوقب بتسليط منكرى الكرامات عليه لتبقى حاله على التلبيس . وزعم هؤلاء أن حقيقة التصوف حال ظاهرها تلبيس وباطنها تقديس واستدلوا على تقديس باطن الحلاج بما روى أنه قال عند قطع يديه ورجليه : حسب الواحد إفراد الواحد ، وبأنه سئل يوماً عن ذنبه فانشأ يقول : ثلاثة أحرف لا عجم فيها ومعجومان . وانقطع الكلام وأشار بذلك إلى التوحيد .

وأما العذافرة : فقوم ببغداد أتباع رجل ظهر ببغداد فى أيام الراضى بن المقتدر(١) فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكان معروفا بابن أبى العذافر(٢) . واسمه : محمد بن على الشلمغانى وادعى حلول روح الإله فيه وسمى نفسه روح القدس ووضع لأتباعه كتابا سماه « بالحاسة السادسة » وصرح فيه برفع الشريعة وأباح اللواط ، وزعم أنه إيلاج الفاضل نوره فى المفضول ، وأباح أتباعه له حرمهم طمعاً فى إيلاجه نوره فيهن . وظفر الراضى بالله

---

(١) الخليفة العباسى كان محبا للعلماء سمحاً كريما وكان مقهورا مع أمرائه ومات سنة ٣٢٩ .

(٢) شاع : أنه يدعى الألوهية وأنه يحيى الموتى وأفتى العلماء بإباحة دمه فأحرق .

به وبجماعة من أتباعه منهم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب[١] وأبو عمر بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن المنجم[٢] ووجد كتبهما إليه يخاطبانه فيها بالرب والمولى ويصفانه بالقدرة على مايشاء وأقروا بذلك بحضرة الفقهاء، ومنهم أبو العباس أحمد ابن عمر بن سريج، وأبو الفرج المالكي وجماعة من الأئمة فاعترفوا بذلك وأمر المعروف منهم بالحسين بن القاسم بن عبيد الله بالبراءة من ابن أبي العذافر بأن يصفعه ففعل ذلك وأظهر التوبة وأفتى ابن سريج[٣] بجواز قبول توبته على مذهب الشافعي رحمه الله، وأفتى المالكيون برد توبة الزنديق بعد العثور عليه فأمر الراضي بحبسه إلى أن ينظر في أمره وأمر بقتل ابن أبي العذافر وصاحبه أبي عون فقال له ابن أبي العذافر . أمهلني ثلاثة أيام لينزل فيها براءتي من السماء ونقمة على أعدائي وأشار الفقهاء على الراضي بتعجيل قتلهما فصلبهما ثم أحرقهما بعد ذلك وطرح رمادهما في الدجلة .

الفصل الحادي عشر

من فصول هذا الباب

في ذكر أصحاب الإباحة من الخرمية[٤] وبيان خروجهم عن جملة فرق الإسلام.

فهؤلاء صنفان : صنف منهم كانوا قبل دولة الإسلام كالمزدكية[٥] الذين استباحوا

---

(١) قتله الراضي الخليفة العباسي سنه ٣٢٢ .

(٢) هو ابن أبي عون ، صاحب تصانيف كان يقول لابن الشلمغاني : إلهي وسيدي ورازقي قتل سنة ٣٢٢ .

(٣) مات سنة ٣٠٦ وكما رأينا أنه ليس ممن أفتوا بقتل الحلاج سنة ٣٠٩ وهنا أيضا قبض على الشلمغاني بعده بستة عشر عاما .

(٤) هم أصحاب بابك الخرمي وهم من أشر الإسماعيلية

(٥) أتباع مزدك الاباحي قتله أنو شروان شر قتلة بعد أن كان قد شاع خبره وخلع أتباعه قباذ بن فيروز . وكان مزدك إباحيا يقول باستباحة أموال الناس والأشياء كلها مشاعا بين الناس

المحرمات وزعموا أن الناس شركاء فى الأموال والنساء ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنو شروان[1] فى زمانه . والصنف الثانى: الخرمدينية ظهروا فى دولة الإسلام وهم فريقان بابكية ، ومازيارية وكلتاهما معروفة بالمحمرة [2] . فالبابكية منهم : أتباع بابك الخرمى[3] الذى ظهر فى جبل البدين بناحية إذربيجان وكثر بها أتباعه واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين وجهز إليه خلفاء بنى العباس جيوشاً كثيرة مع افشين الحاجب ، ومحمد بن يوسف الثغرى ، وأبى دلف العجلى، وأقرانهم وبقيت العساكر فى وجهه مقدار عشرين سنة إلى أن أخذ بابك وأخوه إسحاق بن إبراهيم وصلبا بسر من رأى فى أيام المعتصم واتهم افشين الحاجب بممالأة بابك فى حربه وقتل لأجل ذلك .

وأما المازيارية منهم فهم أتباع مازيار[4] الذى أظهر دين المحمرة بجرجان . وللبابكية فى جبلهم ليلة عيد لهم يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم فإذا أطفئت سرجهم ونيرانهم افتض فيها الرجال والنساء على تقدير من عز بز . والبابكية ينتسبون أصل دينهم إلى أمير كان لهم فى الجاهلية اسمه شروين . ويزعمون أن أباه كان من الزنج وأمه بعض بنات ملوك الفرس . ويزعمون أن شروين كان أفضل من محمد ومن سائر الأنبياء وقد بنوا فى جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون فى السر ولا يصومون فى شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة وكانت فتنة مازيار قد عظمت فى ناحيته إلى أن أخذ فى أيام المعتصم أيضاً وصلب بسر من رأى بحذاء بابك الخرمى، وأتباع مازيار اليوم فى جبلهم أكرة من يليهم من سواد جرجان يظهرون الإسلام ويضمرون خلافه والله المستعان على أهل الزيغ والطغيان .

---

(١) أنو شروان بن قباذ . فى أيامه رأى الموبذان الإبل الصعاب تقود الخيل العراب وقد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها . فأفزعه وعرف أن ملك العرب سيظهر . وقد هلك أنو شروان حوالى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ذلك مفصلا فى السيرة النبوية بتحقيقنا.

(٢) لأنهم كانوا يلبسون الثياب الحمر فى عهد بابك .

(٣) رجل مجوسى دخل الإسلام ظل يحارب العباسيين حتى تمكن منه المعتصم فقطع أطرافه وصلبه سنة ٢٢٣ .

(٤) اسمه مازيار بن قارن دخل الإسلام وتسمى محمداً أعلن العصيان فى عهد المعتصم وحارب حتى أسر فضرب بالسياط حتى مات وصلب إلى جوار بابك .

الفصل الثانى عشر

من فصول هذا الباب :

فى ذكر أصحاب التناسخ من أهل الأهواء وبيان خروجهم عن فرق الإسلام .

القائلون بالتناسخ أصناف : صنف من الفلاسفة وصنف من السمنية . وهذان الصنفان كانا قبل دولة الإسلام . وصنفان آخران ظهرا فى دولة الإسلام . أحدهما من جملة القدرية . والآخر من جملة الرافضة الغالية . فأصحاب التناسخ من السمنية قالوا : بقدم العالم، وقالوا أيضا بإبطال النظر والاستدلال ، وزعموا أنه لامعلوم إلا من جهة الحواس الخمس وأنكر أكثرهم المعاد ، والبعث بعد الموت . وقال فريق منهم بتناسخ الأرواح فى الصور المختلفة . وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب ، وروح الكلب إلى إنسان وقد حكى فلوطرخس[1] مثل هذا القول عن بعض الفلاسفة . وزعموا أن من أذنب فى قالب ناله العقاب على ذلك الذنب فى قالب آخر . وكذلك القول فى الثواب عندهم . ومن أعجب الأشياء دعوى السمنية فى التناسخ الذى لا يعلم بالحواس مع قولهم أنه لامعلوم إلا من جهة الحواس ، وقد ذهبت المانوية أيضاً إلى التناسخ وذلك أن مانى[2] قال فى بعض كتبه إن الأرواح التى تفارق الأجسام نوعان : أرواح الصديقين ، وأرواح أهل الضلالة ، فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت فى عمود الصبح إلى النور الذى فوق الفلك فبقيت فى ذلك العالم على السرور الدائم ، وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردت منعكسة إلى السفل . فتتناسخ فى أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور العالى .

وذكر أصحاب المقالات عن سقراط[3] ، وافلاطون[4] وأتباعهما من الفلاسفة أنهم قالوا : بتناسخ الأرواح على تفصيل قد حكيناه عنهم فى كتاب « الملل والنحل » وقال بعض

---

(١) فيلسوف يونانى له تصانيف كثيرة فى فرق الحكماء .

(٢) الذى تنسب إليه المانوية ،كان مجوسيا وأحدث دينا ودعا إليه وادعى النبوة وقتل فى عهد سابور بن أردشير .

(٣) الحكيم المشهور من تلاميذ فيثاغورس اقتصر على العلوم الإلهية مات مسموما .

(٤) أحد أساطين الحكمة من اليونانيين قيل إنه مات فى السنة التى ولد فيها الإسكندر .

اليهود بالتناسخ ، وزعم أنه وجد فى كتاب دانيال أن الله تعالى مسخ بختنصر (١) فى سبع صور من صور البهائم ، والسباع وعذبه فيها كلها ثم بعثه فى آخرها موحداً . وأما أهل التناسخ فى دولة الإسلام فإن البيانية ، والجناحية ، والخطابية ، والراوندية من الروافض الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الإله فى الأئمة بزعمهم . وأول من قال بهذه الضلالة السبئية من الرافضة لدعواهم أن علياً صار إلها حين حل روح الإله فيه .

وزعمت البيانية منهم أن روح الإله دارت فى الأنبياء ثم فى الأئمة إلى أن صارت فى بيان بن سمعان . وادعت الجناحية منهم مثل ذلك فى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وكذلك دعوى الخطابية فى أبى الخطاب . وكذلك دعوى قوم من الراوندية فى أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس . فهؤلاء يقولون بتناسخ روح الإله دون أرواح الناس - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - .

وأما أهل التناسخ من القدرية فجماعة منهم : أحمد بن حابط وكان معتزليا منتسبا إلى النظام ، وكان على بدعته فى الطفرة وفى نفى الجزء الذى لا يتجزأ ، وفى نفى قدرة الله تعالى على الزيادة فى نعيم أهل الجنة أو فى عذاب أهل النار وزاد على النظام فى ضلالته فى التناسخ .

ومنهم : أحمد بن أيوب بن بانوش وكان تلميذ أحمد بن حابط فى التناسخ لكنهما اختلفا بعد فى كيفية التناسخ .

ومنهم : أحمد بن محمد القحطبى وافتخر بأنه كان منهم فى التناسخ والاعتزال . ومنهم : عبد الكريم بن أبى العوجاء (٢) وكان خال معن بن زائدة (٣) . وجمع بين أربعة أنواع من الضلالة . أحدها : أنه كان يرى فى السر دين المانوية من الثنوية . والثانى : قوله بالتناسخ . والثالث : ميله إلى الرافضة فى الإمامة . والرابع : قوله بالقدر فى أبواب التعديل والتجوير . وكان وضع أحاديث كثيرة بأسانيد يغتر بها من لا معرفة له بالجرح والتعديل . وتلك الأحاديث التى وضعها كلها ضلالات فى التشبيه والتعطيل وفى بعضها تغيير أحكام الشريعة وهو الذى أفسد على الرافضة صوم رمضان بالهلال وردهم عن اعتبار الأهلة

---

(١) رجل من العجم كان فى خدمة لهراسب ، فتح بيت المقدس وقتل جموع اليهود.

(٢) زنديق . قيل لما أخذ لتضرب عنقه قال : لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحرم الحرام . وقتل فى زمن المهدى سنة ١٦٠ هـ

(٣) كان بطلا حارب الراوندية وقتله الخوارج غيلة سنة ١٥١ بسجستان .

حساب وضعه لهم ونسب ذلك الحساب إلى جعفر الصادق ورفع خبر هذا الضال إلى أبي جعفر محمد بن سليمان عامل المنصور (١) على الكوفة فأمر بقتله فقال : لن يقتلونى لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحللت بها الحرام وحرمت بها الحلال ،وفطرت الرافضة في يوم من أيام صومهم ، وصومتهم في يوم من أيام فطرهم .

وتفصيل هؤلاء في التناسخ أن أحمد بن خابط زعم أن الله تعالى أبدع خلقة أصحابه سالمين ، عقلاء ، بالغين في دار سوى الدنيا التي هم فيها اليوم .وأكمل عقولهم، وخلق فيهم معرفته والعلم به وأسبغ عليهم نعمه . وزعم أن الإنسان المأمور المنهى المنعم عليه هو الروح التي في الجسم ، وأن الأجسام قوالب للأرواح . وزعم أن الروح هي الحى القادر العالم وأن الحيوان كله جنس واحد وزعم أيضا أن جميع أنواع الحيوان محتمل للتكليف وكان قد توجه الأمر والنهى عليهم على اختلاف صورهم ولغاتهم. وقال: إن الله تعالى لما كلمهم في الدار التي خلقهم فيها شكروه على ما أنعم به عليهم فأطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به ، وعصاه بعضهم في جميع ما أمرهم به . فمن أطاعه في جميع ما أمره به أقره في دار النعيم التي ابتدأه فيها . ومن عصاه في جميع ما أمر به أخرجه من دار النعيم إلى دار العذاب الدائم وهي النار . ومن أطاعه في بعض ما أمره به وعصاه في بعض ما أمره به أخرجه إلى الدنيا وألبسه بعض هذه الأجسام التي هي القوالب الكثيفة وابتلاه بالبأساء ، والضراء والشدة والرخاء ، واللذات . والآلام في صور مختلفة من صور الناس ، والطيور ، والبهائم ، والسباع ، والحشرات وغيرها على مقادير ذنوبهم ومعاصيهم في الدار الأولى التي خلقهم فيها . فمن كانت معاصيه في تلك الدار أقل وطاعاته أكثر كانت صورته في الدنيا أحسن . ومن كانت طاعاته في تلك الدار أقل ومعاصيه أكثر صار قالبه في الدنيا أقبح ، ثم زعم أن الروح لا يزال في هذه الدنيا يتكرر في قوالب وصور مختلفة ما دامت طاعاته مشوبة بذنوبه . وعلى قدر طاعاته وذنوبه يكون منازل قوالبه في الإنسانية والبهيمية ثم لا يزال من الله تعالى رسول إلى كل نوع من الحيوان وتكليف للحيوان أبداً إلى أن يتمحض عمل الحيوان طاعات فيرد إلى دار النعيم الدائم وهي الدار التي خلق فيها أو يتمحض عمله معاصي فينتقل إلى النار الدائم عذابها . فهذا قول ابن خابط في تناسخ الأرواح .

وقال أحمد بن أيوب بن بانوش إن الله تعالى خلق الخلق كله دفعة واحدة . وحكى عنه

---

(١) هو ابن عم المنصور كان أميرا للبصرة وتوفى سنة ١٧٣ هـ .

بعض أصحابه أن الله تعالى خلق أولا الأجزاء المقدرة التي كل واحد منها جزء لا يتجزأ، وزعم أن تلك الأجزاء كانت أحياء عاقلة، وأن الله تعالى كان قد سوى بينهم في جميع أمورهم إذ لم يستحق واحد منهم تفضيلا على غيره ولا كان من أحد منهم جناية يؤخر لأجلها عن غيره. قال ثم إنه خيرهم بين أن يمتحنهم بعد إسباغ النعمة عليهم بالطاعات ليستحقوا بها الثواب عليها لأن منزلة الاستحقاق أشرف من منزلة التفضيل. وبين أن يتركهم في تلك الدار تفضلا عليهم بها فاختار بعضهم المحنة وأباها بعضهم. فمن أباها تركه في الدار الأولى على حاله فيها ومن اختار الامتحان امتحنه في الدنيا ولما امتحن الذين اختاروا الامتحان عصاه بعضهم وأطاعه بعضهم. فمن عصاه حطه إلى رتبة هي دون المنزلة التي خلقوا فيها. ومن أطاعه رفعه إلى رتبة أعلى من المنزلة التي خلق عليها. ثم كررهم في الأشخاص والقوالب إلى أن صار قوم منهم أناساً وآخرون صاروا بهائم أو سباعا بذنوبهم ومن صار منهم إلى البهيمة ارتفع عنه التكليف. وكان يخالف ابن خابط في تكليف البهائم. ثم قال في البهائم أنها لا تزال تتردد في الصور القبيحة وتلقى المكاره من الذبح والتسخير إلى أن تستوفى ما تستحق من العقاب بذنوبها ثم تعاد إلى الحالة الأولى، ثم يخيرهم الله تعالى تخييراً ثانيا في الامتحان. فان اختاروه أعاد تكليفهم على الحال التي وصفناها وإن امتنعوا منه تركوا على حالهم غير مكلفين. وزعم أن من المكلفين من يعمل الطاعات حتى يستحق أن يكون نبيا أو ملكا فيفعل الله تعالى ذلك به.

وزعم القحطى منهم: أن الله تعالى لم يعرض عليهم في أول أمرهم التكليف بل هم سألوه الرفع عن درجاتهم والتفاضل بينهم فأخبرهم بأنهم لا يتصفون بذلك إلا بعد التكليف والامتحان، وإنهم وإن كلفوا فعصوا استحقوا العقاب فأبوا الامتحان. قال فذلك قوله: « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا(١) ».

وزعم أبو مسلم الخراساني: أن الله تعالى خلق الأرواح وكلفها فمنها: من علم أنه يطيعه ومنهم: من علم أنه يعصيه وأن العصاة إنما عصوه ابتداء فعوقبوا بالنسخ والمسخ في الأجساد المختلفة على مقادير ذنوبهم. فهذا تفصيل قول أصحاب التناسخ وقد نقضنا عليهم في كتاب « الملل والنحل » بما فيه كفاية.

---

(١) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب.

الفصل الثالث عشر

من فصول هذا الباب :

فى بيان ضلالات الخابطية من القدرية وبيان خروجهم عن فرق الأمة .

هؤلاء أتباع أحمد بن خابط القدرى[١] وكان من أصحاب النظام فى الاعتزال وقد ذكرنا قوله فى التناسخ قبل هذا ونذكر فى هذا الفصل ضلالاته فى توحيد الصانع . وذلك أن ابن خابط ، وفضلا الحدثى[٢] زعما أن للخلق ربين وخالقين . أحدهما : قديم وهو الله سبحانه . والآخر : مخلوق وهو عيسى بن مريم وزعما أن المسيح ابن الله على معنى دون الولادة . وزعما أيضاً أن المسيح هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة وهو الذى عناه الله بقوله : « وجاء ربك والملك صفا صفا[٣] » وهو الذى يأتى « فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور[٤] » . وهو الذى خلق آدم على صورة نفسه وذلك تأويل ما روى أن الله تعالى خلق آدم على صورته . وزعم أنه هو الذى عناه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر[٥] » وهو الذى عناه بقوله : « إن الله تعالى خلق العقل فقال له : أقبل فأقبل وقال له : أدبر فأدبر فقال: ماخلقت خلقا أكرم منك وبك أعطى وبك آخذ » وقالا إن المسيح تدرع جسدا وكان قبل التدرع عقلا .

قال عبد القاهر : قد شارك هذان الكافران الثنوية والمجوس فى دعوى خالقين . وقولهما شر من قولهم لأن الثنوية والمجوس أضافوا اختراع جميع الخيرات إلى الله تعالى وإنما أضافوا فعل الشرور إلى الظلمة وإلى الشيطان . وأضاف ابن خابط وفضل الحدثى فعل الخيرات كلها إلى عيسى ابن مريم وأضافا إليه محاسبة الخلق فى الآخرة والعجب فى قولهما إن عيسى خلق جده آدم عليه السلام فياعجبا من فرع يخلق أصله ومن عدهذين الضالين من فرق الإسلام كمن عد النصارى من فرق الإسلام .

---

(١) كان ينتسب إلى النظام ويقول بالطفرة والتناسخ .

(٢) منسوب إلى الحدثية قرية على الفرات وكان أيضا من أصحاب النظام وهجرهما المعتزلة .

(٣) الآية ٢٢ من سورة الفجر .

(٤) الآية ٢١٠ من سورة البقرة .

(٥) لفظ البخارى « أنكم سترون ربكم .. » انظر فتح البارى بتحقيقنا »

الفصل الرابع عشر

من فصول هذا الباب :

فى ذكر الحمارية من القدرية وبيان خروجهم عن فرق الأمة .

هؤلاء قوم من معتزلة عسكر مكرم اختاروا من بدع أصناف القدرية ضلالات مخصوصة فأخذوا من ابن حابط قوله : بتناسخ الأرواح فى الأجساد والقوالب وأخذوا من عباد بن سليمان الضمرى قوله : بأن الذين مسخهم الله قردة وخنازير كانوا قبل المسخ ناساً وكانوا معتقدين للكفر بعد المسخ . وأخذوا من جعد بن درهم الذى ضحى به خالد بن عبد الله القسرى(١) قوله : بأن النظر الذى يوجب المعرفة تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعل لها . ثم زعموا بعد ذلك أن الخمر ليست من فعل الله تعالى وإنما هى من فعل الخمار لأن الله تعالى لا يفعل ما يكون سبب المعصية . وزعموا أن الإنسان قد يخلق أنواعا من الحيوانات كاللحم إذا دفنه الإنسان أو يضعه فى الشمس فيدود ، وزعموا أن تلك الديدان من خلق الإنسان ، وكذلك العقارب التى تظهر من التبن تحت الآجر زعموا أنها من اختراع من جمع بين الآجر والتبن وهؤلاء شر من المجوس الذين أضافوا اختراع الحيات، والحشرات والسموم إلى الشيطان ، ومن عدهم من فرق الأمة كمن عد المجوس من فرق الأمة .

الفصل الخامس عشر

من فصول هذا الباب :

فى ذكر اليزيدية من الخوارج وبيان خروجهم عن فرق الإسلام .

هؤلاء أتباع يزيد بن أبى أنيسة الخارجى(٢) وكان من البصرة ثم انتقل إلى جور من أرض فارس وكان على رأى الإباضية من الخوارج ثم إنه خرج عن قول جميع الأمة لدعواه أن الله عز وجل يبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا من السماء وينسخ بشرعه شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وزعم أن أتباع ذلك النبى المنتظر هم الصابئون المذكورون فى القرآن . فأما المسمون بالصابئة من أهل واسط وحران فما هم الصابئون المذكورون فى القرآن . وكان مع هذه الضلالة يتولى من شهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة من أهل

(١) والى العراق لهشام بن عبد الملك وقد عزله هشام وولى يوسف بن عمر فحاسب خالد وعذبه إلى أن مات تحت العذاب سنة ١٢٦ هـ .

(٢) من رءوس الخوارج وقد يختلط بالمحدث الشهير زيد بن أبى أنيسة . وهو غيره .

الكتاب وإن لم يدخل فى دينه وسماهم بذلك مؤمنين وعلى هذا القول يجب أن يكون العيسوية ، والموشكانية من اليهود مؤمنين لأنهم أقروا بنبوة محمد عليه السلام ولم يدخلوا فى دينه ، وليس بجائز أن يعد فى فرق الإسلام من يعد اليهود من المسلمين ، وكيف يعد من فرق الإسلام من يقول بنسخ شريعة الإسلام .

الفصل السادس عشر

من هذا الباب :

فى ذكر الميمونية من الخوارج وبيان خروجهم عن فرق الإسلام .

هؤلاء أتباع رجل من الخوارج العجاردة كان اسمه ميمونا(١) وكان على مذهب العجاردة من الخوارج ، ثم إنه خالف العجاردة فى الإرادة ، والقدر ، والاستطاعة وقال فى هذه الأبواب الثلاثة بقول القدرية المعتزلة عن الحق ، وزعم مع ذلك أن أطفال المشركين فى الجنة ولو بقى ميمون هذا على هذه البدع التى حكيناها عنه ولم يزد عليها ضلالة سواها لنسبناه إلى الخوارج لقوله بتكفير على ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة ، وعثمان . وقوله بتكفير أصحاب الذنوب وإلى القدرية لقوله فى باب الإرادة والقدر والاستطاعة بأقوال القدرية فيها ، ولكنه زاد على القدرية ، وعلى الخوارج بضلالة اشتقها من دين المجوس . وذلك أنه أباح نكاح بنات الأولاد من الأجداد ، وبنات أولاد الإخوة والأخوات وقال : إنما ذكر الله تعالى فى تحريم النساء بالنسب الأمهات ، والبنات ، والأخوات ، والعمات ، والخالات ، وبنات الأخ ، وبنات الأخوات . ولم يذكر بنات البنات ولا بنات البنين ، ولا بنات أولاد الإخوة ، ولا بنات أولاد الأخوات . فإن طرد قياسه فى أمهات الأمهات وأمهات الآباء والأجداد انمحض فى المجوسية وإن لم يجز نكاح الجدات وقاس الجدات على الأمهات لزمه قياس بنات الأولاد على بنات الصلب . وإن لم يطرد قياسه فى هذا الباب نقض اعتلاله . وحكى الكرابيسى عن الميمونية من الخوارج أنهم أنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن ومنكر بعض القرآن كمنكر كله . ومن استحل بعض ذوات المحارم فى حكم المجوس ولا يكون المجوسى معدوداً فى فرق الإسلام .

---

(١) فى الملل والنحل اسمه « ميمون بن خالد » وفى خطط المقريزى « ميمون بن عمران » .

الفصل السابع عشر

من فصول هذا الباب :

فى ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الإسلام .

اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود، والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم ، بل أعظم من ضرر الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان . لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال فى وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لاتزيد مدتها على أربعين يوماً . وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر ، وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم : ميمون بن ديصان معروف بالقداح[١] وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الأهواز ، ومنهم : محمد ابن الحسين الملقب بدندان[٢] . اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ديصان فى سجن والى العراق وأسسوا فى ذلك السجن مذاهب الباطنية ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بدندان وابتدأ بالدعوة فى ناحية توز فدخل فى دينه جماعة من أكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب وانتسب فى تلك الناحية إلى عقيل بن أبى طالب[٣] وزعم أنه من نسله . فلما دخل فى دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فقبل الأغبياء ذلك منه على جهل منهم بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب عند علماء الأنساب ثم ظهر فى دعوته إلى دين الباطنية رجل يقال له : حمدان قرمط[٤] لقب بذلك لقرمطة فى خطه أو فى خطوه وكان فى ابتداء أمره أكاراً من أكرة سواد الكوفة وإليه تنسب القرامطة ، ثم ظهر بعده فى الدعوة إلى البدعة أبو سعيد الجنابى[٥] وكان من مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين ودخل فى دعوته بنو سنبر ثم لما تمادت الأيام بهم

---

(١) عبد الله بن ميمون القداح - عند الرازى .

(٢) من أهل الكرخ وكان من كتاب أبى دلف .

(٣) مات عقيل قبل موقعة الحرة فى عهد يزيد بن معاوية .

(٤) حمدان بن الأشعث رأس القرامطة .

(٥) كان ملكا على البحرين واليمامة والاحساء ومات مقتولا فى الحمام سنة ٣٠١ هـ .

ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح فغير اسم نفسه ونسبه ، وقال لأتباعه أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق[١] . ثم ظهرت فتنته بالمغرب وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر. وظهر منهم المعروف بابن زكرويه بن مهرويه الدندانى وكان من تلامذة حمدان قرمط ، وظهر مأمون أخو حمدان قرمط بأرض فارس . وقرامطة فارس يقال لهم : المأمونية لأجل ذلك ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بأبى حاتم[٢] فاستجاب له جماعة من الديلم منهم : أسفار بن شرويه . وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعرانى فقتل بها فى ولاية أبى بكر بن حجاج عليها وكان الشعرانى قد دعا الحسين بن على المروزى[٣] وقام بدعوته بعده محمد بن أحمد النسفى داعية أهل ماوراء النهر ، وأبو يعقوب السجزى المعروف ببندانه وصنف النسفى لهم كتاب « المحصول » ، وصنف لهم أبو يعقوب كتاب « أساس الدعوة » وكتاب « تأويل الشرائع » وكتاب « كشف الأسرار » وقتل النسفى والمعروف ببندانه على ضلالاتهما .

وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولا فى زمان المأمون وانتشرت فى زمان المعتصم . وذكروا أنه دخل فى دعوتهم الأفشين[٤] صاحب جيش المعتصم وكان

---

(١) وكان يسر اليهودية ويظهر الإسلام وأطلق لسانه فى الطعن على الصحابة وهو كذاب فى انتسابه وكان يخدم إسماعيل بن جعفر وقد صدق الجهال دعواه . النسب إلى إسماعيل ابن جعفر الذى ثبت وفاته ولم يعقب .

(٢) له كتاب الزينة وكتاب الجامع كما فى الفهرس .

(٣) خليفة أبى سعيد الشعرانى . بعث إلى خراسان سنة ٣٣٧ هـ من عبيد الله جد العبيدية وقد مات محبوسا بسجن نصر بن أحمد .

(٤) أصله فارسى . يذكر بعض المؤرخين أنه انقلب على المعتصم وعلى الإسلام ويدعو سرا للاقتصاص على الخلافة ، وقيل إنه وشى به القاضى أحمد بن أبى دؤاد إلى المعتصم وقد صلبه المعتصم وأحرقه سنة ٢٢٤ هـ لموالاته المجوس .

مراهناً لبابك الخرمى وكان الخرمى مستعصياً بناحية البذين وكان أهل جبله خرمية على طريقة المزدكية فصارت الخرمية مع الباطنية يداً واحدة . واجتمع مع بابك من أهل البذين وممن انضم إليهم من الديلم مقدار ثلاثمائة ألف رجل . وأخرج الخليفة لقتالهم الإفشين فظنه ناصحاً للمسلمين وكان فى سره مع بابك وتوانى فى القتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين وقتل الكثير منهم ثم لحقت الأمداد بالإفشين ولحق به محمد بن يوسف الثغرى ، وأبو دلف القاسم بن عيسى العجلى[١] ولحق به بعد ذلك قواد عبد الله بن طاهر[٢] واشتدت شوكة البابكية والقرامطة على عسكر المسلمين حتى بنوا لأنفسهم البلدة المعروفة ببرزند خوفا من بيات البابكية ودامت الحرب بين الفريقين سنين كثيرة إلى أن أظفر الله المسلمين بالبابكية فأسر بابك وصلب[٣] بسر من رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ثم أخذ أخوه إسحاق وصلب ببغداد مع مازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان . ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الإفشين وخيانته للمسلمين فى حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصلب لذلك .

وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين فوضع الأغمار منهم أسساً من قبلها منهم صار فى الباطن إلى تفضيل أديان المجوس ، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبى عليه السلام على موافقة أسسهم . وبيان ذلك أن الثنوية زعمت أن النور والظلمة صانعان قديمان والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع ، والظلام فاعل الشرور والمضار . وأن الأجسام ممتزجة من النور والظلمة وكل واحد منهما مشتمل على أربع طبائع وهى : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة . والأصلان الأولان مع الطبائع الأربع مدبرات هذا العالم . وشاركهم المجوس فى اعتقاد صانعين غير أنهم زعموا أن أحد الصانعين قديم وهو الإله الفاعل للخيرات ، والآخر شيطان محدث فاعل للشرور . وذكر زعماء الباطنية فى كتبهم أن الإله خلق النفس فالإله هو الأول ، والنفس هو الثانى وهما مدبرا هذا العالم وسموها الأول والثانى وربما سموها العقل والنفس ، ثم قالوا إنهما يدبران

---

(١) الأمير الشاعر كان من الأبطال ومن الشعراء المجيدين توفى سنة ٢٢٥ هـ .

(٢) عبد الله بن طاهر هو أمير خراسان توفى سنة ٢٣٠ هـ .

(٣) قال ابن الجوزى : قتل شر قتلة .

هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأول . وقولهم أن الأول والثانى يدبران العالم هو بعينه قول المجوس بإضافة الحوادث لصانعين أحدهما : قديم والآخر محدث إلا أن الباطنية عبرت عن الصانعين بالأول والثانى . وعبر المجوس عنهما بيزدان وأهرمن . فهذا هو الذى يدور فى قلوب الباطنية ووضعوا أساساً يؤدى إليه ولم يمكنهم إظهار عبادة النيران فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين ينبغى أن تجمر المساجد كلها وأن تكون فى كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود فى كل حال . وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ فى جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبداً فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار فى الكعبة وأن تصير الكعبة بيت نار فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة ثم إن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدى إلى رفع الشريعة أو إلى مثل أحكام المجوس . والذى يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات ، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات . ويؤكد ذلك أن الغلام الذى ظهر منهم بالبحرين ، والإحساء بعد سليمان بن الحسن القرمطى (١) سن لأتباعه اللواط وأوجب قتل الغلام الذى يمتنع على من يريد الفجور به . وأمر بقطع يد من أطفأ نارا بيده ، وبقطع لسان من أطفأها بنفخه . وهذا الغلام هو المعروف بابن أبى زكريا الطامى وكان ظهوره فى سنة تسع عشرة وثلاثمائة وطالت فتنته إلى أن سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه . ويؤكد ما قلناه من ميل الباطنية إلى دين المجوس أنا لا نجد على ظهر الأرض مجوسيا إلا وهو موادٌ لهم منتظر لظهورهم على الديار يظنون أن الملك يعود إليهم بذلك . وربما استدل أغمارهم على ذلك بما يرويه المجوس عن زرادشت أنه قال لكشتاسف أن الملك يزول عن الفرس إلى الروم واليونانية ثم يعود إلى الفرس ثم يزول عن الفرس إلى العرب ثم يعود إلى الفرس وساعده جاماسب المنجم على ذلك . وزعم أن الملك يعود إلى العجم لتمام ألف وخمسمائة سنة من وقت ظهور زرادشت .

وكان فى الباطنية رجل يعرف بأبى عبد الله العردى يدعى علم النجوم ويتعصب للمجوس وصنف كتاباً وذكر فيه أن القرن الثامن عشر من مولد محمد صلى الله عليه وسلم يوافق

---

(١) أبو طاهر الجنابى . قالع الحجر الأسود وحمله إلى الكوفة حتى أعاده ابن سنبر.

الألف العاشر وهو نوبة المشترى والقوس . وقال : عند ذلك يخرج إنسان يعيد الدولة المجوسية ويستولى على الأرض كلها . وزعم أنه يملك مدة سبع قرانات . وقالوا قد تحقق حكم زرادشت ، وجاماسب فى زوال ملك العجم إلى الروم واليونانية فى أيام الاسكندر ثم عاد إلى العجم بعد الأثمائة سنة ثم زال بعد ذلك ملك العجم إلى العرب وسيعود إلى العجم لتمام المدة التى ذكرها جاماسب : وقد وافق الوقت الذى ذكروه أيام المكتفى والمقتدر وأخلف موعودهم وما رجع الملك فيه إلى المجوس . وكانت القرامطة قبل هذا الميقات يتواعدون فيما بينهم ظهور المنتظر فى القران السابع فى المثلثة النارية . وخرج منهم سليمان ابن الحسن من الاحساء على هذه الدعوى وتعرض للحجيج وأسرف فى القتل منهم ثم دخل مكة وقتل من كان فى الطواف وأغار على أستار الكعبة وطرح القتلى فى بئر زمزم وكسر عساكر كثيرة من عساكر المسلمين وانهزم فى بعض حروبه إلى هجر فكتب للمسلمين قصيدة يقول فيها : —

أغركم منى رجوعى إلى هجر ... وعما قليل سوف يأتيكم الخبر
إذا طلع المريخ فى أرض بابل ... وقارنه النجمان فالحذر الحذر
ألست أنا المذكور فى الكتب كلها ... ألست أنا المبعوث فى سورة الزمر
سأملك أهل الأرض شرقا ومغرباً ... إلى قيروان الروم والترك والخزر

وأراد بالنجمين زحل والمشترى . وقد وجد هذا القران فى سنى ظهوره ولم يملك من الأرض شيئاً غير بلدته التى خرج منها ، وطمع فى أن يملك سبع قرانات وما ملك سبع سنين بل قتل بهيت رمتة امرأة من سطحها بلبنة على رأسه فدمغته . وقتيل النساء أخس قتيل وأهون فقيد .

وفى آخر سنة ألف ومائتين وأربعين للإسكندر تم من تاريخ زرادشت ألف وخمسمائة سنة وما عاد فيها ملك الأرض إلى المجوس بل اتسع بعدها نطاق الإسلام فى الأرض وفتح الله تعالى للمسلمين بعدها بلاد بلاساغون ، وأرض التبت ، وأكثر نواحى الصين ثم فتح لهم بعدها جميع أرض الهند من لمقات إلى قنوج وصارت أرض الهند إلى سيترسيقا بحرها من رقعة الإسلام فى أيام أمين الدولة أمين الملة محمود بن سبكتكين[1] رحمه الله . وفى هذا رغم أنوف الباطنية والمجوس الجاماسبية الذين حكموا بعود الملك إليهم فذاقوا وبال أمرهم

---

(١) أحد ملوك الغزنوية كان مجلسه مورد العلماء ، وكان ذكياً مظفرا فى غزواته مات سنة ٤٢١ هـ .

وكان عاقبة أمانيهم بورا بحمد الله ومنه .

ثم إن الباطنية خرج منهم عبيد الله بن الحسين بناحية القيروان(١) وخدع قوما من كتامة وقوما من المصامدة ، وشرذمة من أغنام بربر بحيل ونيرنجات أظهرها لهم كرؤية الخيالات بالليل من خلف الرداء والإزار وظن الأغمار أنها معجزة له فتبعوه لأجلها على بدعته فاستولى بهم على بلاد المغرب ، ثم خرج المعروف منهم بأبى سعيد الحسن بن بهرام على أهل الاحساء ، والقطيف والبحرين وأتى بأتباعه على أعدائه وسبى نساءهم وذراريهم وأحرق المصاحف والمساجد ثم استولى على هجر وقتل رجالها واستعبد ذراريهم ونساءهم ثم ظهر المعروف منهم بالصناديقى باليمن وقتل الكثير من أهلها حتى قتل الأطفال والنساء وانضم إليه المعروف منهم بابن الفضل فى أتباعه ، ثم إن الله تعالى سلط عليهما وعلى أتباعهما الأكلة والطاعون فماتوا بهما .

ثم خرج بالشام حفيد لميمون بن ديصان يقال له أبو القاسم بن مهرويه وقال لمن تبعهما هذا وقت ملكنا . وكان ذلك سنة تسع وثمانين ومائتين فقصدهم سبك صاحب المعتضد فقتلوا سبكا فى الحرب ودخلوا مدينة الرصافة وأحرقوا مسجدها الجامع . وقصدوا بعد ذلك دمشق فاستقبلهم الحامى غلام بن طيون وهزمهم إلى الرقة فخرج إليهم محمد بن سليمان كاتب المكتفى فى جند من أجناد المكتفى فهزمهم وقتل منهم الألوف فانهزم الحسن بن زكريا بن مهرويه إلى الرملة فقبض عليه والى الرملة فبعث به وبجماعة من أتباعه إلى المكتفى فقتلهم ببغداد فى الشارع بأشد عذاب . ثم انقطعت بقتلهم شوكة القرامطة إلى سنة عشر وثلاثمائة . وظهر بعدها فتنة سليمان بن الحسن فى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فإنه كبس البصرة وقتل أميرها سبكا المفلحى ونقل أموال البصرة إلى البحرين وفى سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وقع الحجيج فى نهب لعشر بقين من المحرم وقتل أكثر الحجيج وسبى الحرم والدرارى ثم دخل الكوفة فى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة فقتل الناس وانتهب الأموال .

وفى سنة خمس عشرة وثلاثمائة حارب ابن أبى الساج وأسره وهزم أصحابه . وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة دخل مكة وقتل من وجده فى الطواف . وقيل إنه قتل بها ثلاثة آلاف وأخرج منها سبعمائة بكر ، واقتلع الحجر الأسود وحمله إلى البحرين ثم رد منها إلى الكوفة

---

(١) والد العبيديين كان قد افترى أنه من ولد جعفر الصادق وكان يظهر الرفض ويبطن الزندقة أستولى على بلاد المغرب وأنشأ فيها دولة وهلك سنة ٣٢٢ بالمهدية التى بناها .

ورد بعد ذلك من الكوفة إلى مكة على يد أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى[١] النيسابورى فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وقصد سليمان بن الحسن بغداد فى سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة فلما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته وانقطعت بعد ذلك شوكة القرامطة وصاروا بعد قتل سليمان بن الحسن متصدين للحجيج من الكوفة والبصرة إلى مكة حفاة ليضمن لهم مال إلى أن غلبهم الأصفر العقيلى على بعض ديارهم . وكانت ولاية مصر وأعمالها للأخشيدية وانضم بعضهم إلى ابن عبيد الله الباطنى الذى كان قد استولى على قيروان ودخلوا مصر فى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وابتنوا بها مدينة سموها القاهرة يسكنها أهل بدعته . وأهل مصر ثابتون على السنة إلى يومنا وإن أطاعوا صاحب القاهرة فى أداء خراجهم إليه .

وكان أبو شجاع فناخسرو بن بويه[٢] قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من أيدى الباطنية وكتب على أعلامه بالسواد : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين الطائع لله وأمير المؤمنين : ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . وقال قصيدة أولها : —

أما ترى الأقدار لى طوائعا ... قواضيا لى بالعيان كالخبر
ويشهد الأنام لى بأننى ... ذاك الذى يرجى وذاك المنتظر
لنصرة الإسلام والداعى إلى ... خليفة الله الإمام المفتخر

فلما خرج إلى مضاربه للخروج إلى مصر غافصه وفاجأه الأجل فمضى لسبيله فلما قضى فناخسرو نحبه طمع زعيم مصر فى ملوك نواحى الشرق فكاتبهم يدعوهم إلى البيعة له وأجابه قابوس بن وشمكير[٣] عن كتابه بقوله : إنى لا أذكرك إلا على المستراح . وأجابه ناصر الدولة أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور[٤] بأن كتب على ظهر كتابه إليه

---

(١) شيخ نيسابور فى عصره كان من العباد المجتهدين الحجاجين ومات سنة ٣٦٢ ودفن فى نيسابور .

(٢) أول من خوطب بشاهنشاه فى الإسلام كان أديبا . مات بالصرع ببغداد سنة ٣٧٢ هـ .

(٣) كان أميرا على جرجان وكان شاعرا معروفا . قتل سنة ٤٠٣ هـ .

(٤) سيمجور معناه الذهبى . وهو اسم جده الذى كان غلاما وسيا فسمى بذلك . وهو قائد الجيوش للسامانية ومات سنة ٣٨٧ هـ .

« قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون[١] » إلى آخر السورة وأجابه نوح بن منصور[٢] والى خراسان بقتل دعاته إلى بدعته ، ودخل فى دعوته بعض ولاة الجرجانية من أرض خوارزم فكان دخوله فى دينه شؤما عليه فى ذهاب ملكه وقتله أصحابه ثم استولى يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سبكتكين على أرضهم وقتل من كان بها من دعاة الباطنية. وكان أبو على بن سيمجور[٣] قد وافقهم فى السر فذاق وبال أمره فى ذلك وقبض عليه والى خراسان نوح بن منصور وبعث به إلى سبكتكين فقتل بناحية غزنة ، وكان أبو القاسم الحسن بن على الملقب بدانشمند[٤] داعية أبى على بن سيمجور إلى مذهب الباطنية وظفر به بكتوزون[٥] صاحب جيش السامانية بنيسابور فقتله ودفن فى مكان لا يعرف وكان أميرك الطوسى[٦] والى ناحية التاروذية قد دخل فى دعوة الباطنية فأسر وحمل إلى غزنة وقتل بها فى الليلة التى قتل فيها أبو على بن سيمجور . وكان أهل مولتان من أرض الهند داخلين فى دعوة الباطنية فقصدهم محمود رحمه الله فى عسكره وقتل منهم الالوف وقطع أيدى ألف منهم وباد بذلك نصراء الباطنية من تلك الناحية ومن هذا بان شؤم الباطنية على منتحليها فليعتبر بذلك المعتبرون .

وقد اختلف المتكلمون فى بيان أغراض الباطنية فى دعوتها إلى بدعتها فذهب أكثرهم إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التى يتأولون عليها القرآن والسنة واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الاول ميمون بن ديصان كان مجوسياً من سبى الأهواز . ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس إلى دين أبيه واستدلوا أيضاً بأن داعيهم المعروف بالبزدوى[٧] قال فى كتابه المعروف « بالمحصول » : إن المبدع الاول أبدع النفس ، ثم إن الأول والثانى مدبران للعالم بتدبير الكواكب السبعة ، والطبائع الاربع

(١) الآيتان ١ ، ٢ من سورة « الكافرون » .

(٢) آخر ملوك السامانية مات سنة ٣٨٦ هـ .

(٣) تولى قيادة الجيوش بعد أبيه وتوفى سنة ٣٨٧ هـ .

(٤) دانشمند كلمة فارسية ومعناها : العالم .

(٥) أصلها (بك طوش) كلمة تركية معناها : الاجل القوى .

(٦) من أمراء البارودية .

(٧) اسمه : محمد بن أحمد النسفى .

وهذا فى التحقيق معنى قول المجوس : إن يزدان خلق أهرمن وإنه مع أهرمن مدبران للعالم . غير أن يزدان فاعل الخيرات وأهرمن فاعل الشرور . ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحران واستدل على ذلك بأن حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون ابن ديصان كان من الصابئة الحرانية . واستدل أيضا بأن صابئة حران يكتمون أديانهم ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم . والباطنية أيضا لا يظهرون دينهم إلا لمن كان منهم بعد إحلافهم إياه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم .

قال عبد القاهر : الذى يصح عندى من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع ، كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع ، والدليل على أنهم كما ذكرناه ما قرأته فى كتابهم المترجم « بالسياسة والبلاغ الأكيد . والناموس الأعظم » وهى رسالة عبيد الله بن الحسين القيروانى إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى أوصاه فيها بأن قال له : ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه . وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فمن آنست منه رشدا فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وإنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبرا لا نعرفه . وذكر فى هذا الكتاب إبطال القول بالمعاد والعقاب وذكر فيها أن الجنة نعيم الدنيا ، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

وقال أيضا فى هذه الرسالة : إن أهل الشرائع يعبدون إلهاً لا يعرفونه ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم : وقال فيها أيضا : أكرم الدهرية فإنهم منا ونحن منهم وفى هذا تحقيق نسبة الباطنية إلى الدهرية . والذى يؤكد هذا أن المجوس يدعون نبوة زرادشت ونزول الوحى عليه من الله تعالى ، وأن الصابئين يدعون نبوة هرمس وواليس (فاليس) وذروثيوس ، وأفلاطون وجماعة من الفلاسفة وسائر أصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول الوحى من السماء على الذين أقروا بنبوتهم ويقولون : إن ذلك الوحى شامل للأمر والنهى والخبر عن عاقبة بعد الموت ، وعن ثواب ، وعقاب ، وجنة ، ونار يكون فيها الجزاء عن الأعمال السالفة . والباطنية يرفضون المعجزات ، وينكرون نزول الملائكة

من السماء بالوحي والأمر والنهي بل ينكرون أن يكون في السماء ملك وإنما يتأولون الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم، ويتأولون الشياطين على مخالفيهم، والأبالسة على مخالفيهم ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة والإمامة وكل واحد منهم صاحب دور مسبع إذا انقضى دور سبعة تبعهم في دور آخر وإذا ذكروا النبي والوحي قالوا: إن النبي هو الناطق والوحي أساسه الفاتق وإلى الفاتق تأويل نطق الناطق على ما تراه يميل إليه هواه فمن صار إلى تأويله الباطن فهو من الملائكة البررة ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة. ثم تأولوا لكل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا أن معنى الصلاة موالاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام، والزنى عندهم إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق. وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين[1]» وحملوا اليقين على معرفة التأويل. وقد قال القيرواني في رسالته إلى سليمان بن الحسن: إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن، والتوراة، والزبور، والإنجيل. وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور وإبطال الملائكة في السماء وإبطال الجن في الأرض، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم. وفي هذا تحقيق دعوانا على الباطنية أنهم دهرية يقولون بقدم العالم ويجحدون الصانع. ويدل على دعوانا عليهم القول بإبطال الشرائع أن القيرواني قال أيضاً في رسالته إلى سليمان بن الحسن: وينبغي أن تحيط علماً بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم في أقوالهم كعيسى بن مريم قال لليهود: لا أرفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الأحد بدلا من السبت وأباح العمل في السبت، وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها ولهذا قتلته اليهود لما اختلفت كلمته. ثم قال له: ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال: الروح من أمر ربي لما لم يعلم ولم يحضره جواب المسألة، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة ولما لم يجد المحق في زمانه عنده برهاناً قال: لئن اتخذت إلها غيري. وقال لقومه: أنا ربكم الأعلى. لأنه كان صاحب الزمان في وقته. ثم قال في آخر رسالته: وما العجب من شيء كالعجب من رجل

---

(١) ٩٩ من سورة الحجر.

يدعى العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة فى حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي . ما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذى يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور ، والحساب ، والجنة ، والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك أموالهم بقوله : « لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى[1] » فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة . وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ . وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة ، والصيام ، والجهاد ، والحج . ثم قال لسليمان بن الحسن فى هذه الرسالة: وأنت وإخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس . وفى هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس فهنيئا لكم ما نلتم من الراحة عن أمرهم . وفى هذا الذى ذكرناه دلالة على أن غرض الباطنية القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات . ثم إن الباطنية لهم فى اصطياد الأغتام ودعوتهم إلى بدعتهم حيل على مراتب سموها : التفرس ، والتأنيس ، والتشكيك ، والتعليق ، والربط ، والتدليس ، والتأسيس ، والمواثيق بالأيمان والعهود ، وآخرها الخلع والسلخ .

فأما التفرس فإنهم قالوا : من شرط الداعي إلى بدعتهم أن يكون قويا على التلبيس وعارفاً بوجوه تأويل الظواهر ليردها إلى الباطن ، ويكون مع ذلك مميزا بين من يطمع فيه وفى إغوائه وبين من لا مطمع فيه ، ولهذا قالوا فى وصاياهم للدعاة إلى بدعتهم لا تتكلموا فى بيت فيه سراج . يعنون بالسراج من يعرف علم الكلام ووجوه النظر والمقاييس ، وقالوا أيضاً لدعاتهم : لا تطرحوا بذركم فى أرض سبخة ، وأرادوا بذلك منع دعاتهم عن إظهار بدعتهم عند من لا يؤثر فيهم بدعتهم كما لا يؤثر البذر فى الأرض السبخة شيئاً . وسموا قلوب أتباعهم الأغتام أرضاً زاكية لأنها تقبل بدعتهم وهذا المثل بالعكس أولى وذلك أن القلوب الزاكية هى القابلة للدين القويم ، والصراط المستقيم وهى التى لا تصدأ بشبه أهل الضلال كالذهب الإبريز الذى لا يصدأ فى الماء ولا يبلى فى التراب ولا ينقص فى النار . والأرض السبخة كقلوب الباطنية وسائر الزنادقة الذين لا يزجرهم عقل ولا يردهم شرع .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى .

فهم أرجاس أنجاس أموات غير أحياء ، « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا(١) » ، قد قسم لهم الحظ في الرزق من قسم رزق الخنازير في مراعيها وأباح طعمة العشب في براريها « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون(٢) » وقالوا أيضا من شرط الداعي إلى مذهبهم أن يكون عارفا بالوجوه التي تدعى بها الأصناف فليست دعوة الأصناف من وجه واحد بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه إلى مذهب الباطن . فمن رآه الداعي مائلا إلى العبادات حمله على الزهد والعبادة . ثم سأله عن معاني العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها . ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له : العبادة بله وحماقة ، وإنما الفطنة في نيل اللذات وتمثل له بقول الشاعر : —

من راقب الناس مات هماً وفاز باللـذة الجسور

ومن رآه شاكا في دينه أو في المعاد ، والثواب ، والعقاب صرح له بنفي ذلك وحمله على استباحة المحرمات واستروح معه إلى قول الشاعر الماجن : —

أأترك لذة الصهباء صرفا لما وعدوه من لحم وخمر
حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

ومن رآه من غلاة الرافضة كالسبئية ، والبيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والخطابية . لم يحتج معه إلى تأويل الآيات والأخبار لأنهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم . ومن رآه من الرافضة زيديا(٣) ، أو إماميا مائلا إلى الطعن في أخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة وزين له بغض بني تيم لأن أبا بكر منهم ، وبغض بني عدى لأن عمر بن الخطاب كان منهم . وحثه على بغض بني أمية لأنه كان منهم عثمان ومعاوية ، وربما استروح الباطني في عصرنا هذا قول إسماعيل بن عباد : —

دخول النار في حب الوصي وفي تفضيل أولاد النبي
أحب إلى من جنات عـــدن أخلدها بتيم أو عـــدي

قال عبد القاهر قد أجبنا هذا القائل بقولنا فيه : —

أتطمع أنت في جنات عدن وأنت عدو تيم أو عدى
وهم تركوك أشقى من ثمود وهم تركوك أفضح من دعى
وفي نار الجحيم غداً ستصلى إذا عاداك صـــديق النبي

---

(١) الآية ٤٤ من سورة الفرقان . (٢) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء .

(٣) لم يكن زيد رضي الله عنه رافضا بل كان يتولى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقد تركه الكثير من أصحابه لذلك .

ومن رآه الداعى مائلا إلى أبى بكر وعمر مدحهما عنده وقال : لهما حظ فى تأويل الشريعة ولهذا استصحب النبى أبا بكر إلى الغار، ثم إلى المدينة وأفضى إليه فى الغار تأويل شريعته . فإذا سأله الموالى لأبى بكر وعمر عن التأويل المذكور لأبى بكر وعمر أخذ عليه العهود والمواثيق فى كتمان ما يظهره له . ثم ذكر له على التدريج بعض التأويلات فإن قبلها منه أظهر الباقى وإن لم يقبل منه التأويل الأول ربطه فى الباقى وكتمه عنه وشك الغر من أجل ذلك فى أركان الشريعة . والذى يروج عليهم مذهب الباطنية أصناف أحدها : العامة الذين قلت بصائرهم بأصول العلم والنظر ، كالنبط ، والأكراد، وأولاد المجوس . والصنف الثانى : الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عود الملك إلى العجم والصنف الثالث : أغتام بنى ربيعة من أجل غيظهم على مضر لخروج النبى منهم . ولهذا قال عبد الله بن حازم السلمى فى خطبته بخراسان : إن ربيعة لم تزل غضاباً على الله مذ بعث نبيه من مضر ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعاً فى أن يكون فى بنى ربيعة نبى كما كان فى بنى مضر نبى . فإذا استأنس الأعجمى الغر أو الربعى الحاسد المبغض بقول الباطنى له : قومك أحق بالملك من مضر فيسأله عن السبب فى عود الملك إلى قومه فإذا سأله عن ذلك قال له إن الشريعة المضرية لها نهاية وقد دنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملك إليكم . ثم ذكر له تأويل إنكار شريعة الإسلام على التدريج فإذا قبل ذلك منه صار ملحدا صريحا واستثقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات . فهذا بيان درجة التفرس منهم .

ودرجة التأنيس قريبة من درجة التفرس عندهم وهى تزيين ما عليه الإنسان من مذهبه فى عينه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه وتشكيكه إياه فى أصول دينه فإذا سأله المدعو عن ذلك قال : علم ذلك عند الإمام ووصل بذلك منه إلى درجة التشكيك حتى صار المدعو إلى اعتقاد أن المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها فى اللغة، وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات . والربط عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة فإما أن يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول إلى رفعها وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها .

ودرجة التدليس منهم : قولهم : للغر الجاهل بأصول النظر والاستدلال إن الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة . وذكر له قوله فى القرآن : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب[1] » . فإذا سألهم الغر عن تأويل باطن الباب قالوا

---

(١) الآية ٣ من سورة الحديد .

جرت سنة الله تعالى فى أخذ العهد والميثاق على رسله ولذلك قال : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا[١] » ، وذكروا له قوله : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون[٢] » فإذا حلف الحر لهم بالأيمان المغلظة وبالطلاق والعتق وتسبيل الأموال فقد ربطوه بها . وذكروا له من تأويل الظواهر ما يؤدى إلى رفعها بزعمهم فإن قبل الأحمق ذلك منهم دخل فى دين الزنادقة باطنا واستتر بالإسلام ظاهراً . وإن نفر الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتمها عليهم لأنه حلف لهم على كتمان ما أظهروه له من أسرارهم وإذا قبلها منهم فقد حلفوه وسلخوه عن دين الإسلام وقالوا له حينئذ : إن الظاهر كالقشر والباطن كاللب ، واللب خير من القشر .

قال عبد القاهر : حكى لى بعض من كان دخل فى دعوة الباطنية ثم وفقه الله تعالى لرشده وهداه إلى حل أيمانهم أنهم لما وثقوا منه بأيمانه قالوا له : إن المسلمين بالأنبياء كنوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ، ومخاريق أحبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرنجات واستعبدوهم بشرائعهم . قال هذا الحاكى لى ثم ناقض الذى كشف لى هذا السر بأن قال له ـ ينبغى أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذى نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له : « إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى[٣] » قال : فقلت سخنت عينك تدعونى إلى الكفر بالرب القديم الخالق للعالم ثم تدعونى مع ذلك إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق وتزعم أنه كان قبل ولادته إلها مرسلا لموسى ، فإن كان موسى عندك مخرقا فالذى زعمت أنه أرسله أكذب فقال لى إنك لا تفلح أبداً وندم على إفشاء أسراره إلى وتبت من بدعتهم فهذا بيان وجه حيلهم على أتباعهم وأما أيمانهم فإن داعيهم يقول للحالف جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ الله تعالى من النبيين من عهد وميثاق أنك تستر ما تسمعه منى وما تعلمه من أمرى ومن أمر الإمام الذى هو صاحب زمانك وأمر أشياعه وأتباعه فى هذا البلد وفى سائر البلدان وأمر المطيعين له من الذكور والإناث فلا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيراً ولا تظهر شيئا يدل عليه من كتابة ، أو إشارة إلا ما أذن لك فيه الإمام صاحب الزمان أو أذن لك فى إظهار المأذون له فى دعوته فتعمل فى ذلك حينئذ بمقدار ما يؤذن لك

(١) الآية ٧ من سورة الأحزاب .

(٢) الآية ٩١ من سورة النحل .

(٣) الآية ١٢ من سورة طه .

فيه . وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك فى حالتى الرضا والغضب والرغبة والرهبة قال : نعم فإذا قال : نعم . قال له : وجعلت على نفسك أن تمنعنى وجميع من أسميه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله وميثاقه عليك وذمته . وذمة رسله وتنصحهم نصحاً ظاهراً وباطناً . وألا تخون الإمام وأولياءه وأهل دعوته فى أنفسهم ولا فى أموالهم ، وإنك لا تتأول فى هذه الأيمان تأويلا ولا تعتقد ما يحلها . وأنك إن فعلت شيئاً من ذلك فأنت برىء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه . وأنك إن خالفت فى شىء مما ذكرناه لك فلله عليك أن تحج إلى بيته مائة حجة ماشياً نذرا واجباً ، وكل ما تملكه فى الوقت الذى أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين ، وكل مملوك يكون فى ملكك يوم تخالف فيه أو بعده يكون حرا ، وكل امرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلك تكون طالقا منك ثلاث طلقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به فإذا قال : نعم قال له : كفى بالله شهيدا بيننا وبينك . فإذا حلف الغر بهذه الأيمان ظن أنه لا يمكن حلها ، ولم يعلم الغر أنه ليس لأيمانهم عندهم مقدار ولا حرمة وأنهم لا يرون فيها ولا فى حلها إثما ولا كفارة، ولا عارا، ولا عقاباً فى الآخرة. وكيف يكون اليمين بالله وبكتبه ورسله عندهم حرمة؟ وهم لا يقرون بإله قديم بل لا يقرون بحدوث العالم ، ولا يثبتون كتاباً منزلا من السماء ، ولا رسولا ينزل عليه الوحى من السماء ، وكيف يكون لأيمان المسلمين عندهم حرمة؟ ومن دينهم أن الله الرحمن الرحيم إنما هو زعيمهم الذى يدعون إليه ومن مال منهم إلى دين المجوس زعم أن الإله نور بإزائه شيطان قد غلبه ونازعه فى ملكه ، وكيف يكون لنذر الحج والعمرة عندهم مقدار وهم لا يرون للكعبة مقدارا ويسخرون بمن يحج ويعتمر ، وكيف يكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كل امرأة من غير عقد فهذا بيان حكم الأيمان عندهم .

فأما حكم الأيمان عند المسلمين فإنا نقول : كل يمين يحلف بها الحالف ابتداء بطوع نفسه فهو على نيته ، وكل يمين يحلف بها عند قاض ، أو سلطان يحلفه ينظر فيها . فإن كانت يمينا فى دعوى لمدع شيئا على الحالف المنكر وكان المدعى ظالما للمدعى عليه فيمين الحالف على نيته . وإن كان المدعى محقا والمنكر ظالما للمدعى فيمين المنكر على نية القاضى أو السلطان الذى أحلفه . ويكون الحالف حانثا فى يمينه . وإذا صحت هذه المقدمة فالباحث عن دين الباطنية إذا قصد إظهار بدعتهم للناس أو أراد النقض عليهم فهو معذور فى يمينه وتكون يمينه على نيته . وإذا استثنى بقلبه مشيئة الله تعالى فيها لم ينعقد عليه أيمانه ولم يحنث

فيها بإظهاره أسرار الباطنية للناس ولم تطلق لسانه ولا تمتق بالمسكه ولا تلزمه صدقة بذلك.
وليس زعيم الباطنية عند المسلمين إماما ومن أظهر سره لم يظهر سر إمام وإنما أظهر سر كافر زنديق وقد جاء فى ذكر الحديث المأثور: « اذكروا الفاسق بمافيه يحذره الناس[١] ».
فهذا بيان حيلتهم على الأغمار بالإيمان .

فأما احتيالهم على الأغمار بالتشكيك فمن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من أحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة . وربما سألوهم عن مسائل فى المحسوسات يوهمون أن فيها علوما لا يحيط بها إلا زعيمهم . فمن مسائلهم قول الداعى منهم للغمر : لم صار للإنسان أذنان ولسان واحد ؟ ولم صار الرجل ذكر واحد وخصيتان؟ ولم صارت الاعصاب متصلة بالدماغ ، والأوردة متصلة بالكبد ، والشرايين متصلة بالقلب؟ ولم صار الإنسان مخصوصاً بنبات الشعر على جفنيه الأعلى والأسفل ؟ وسائر الحيوان ينبت الشعر على جفنه الأعلى دون الأسفل ، ولم صار ثدى الإنسان على صدره ، وثدى البهائم على بطونها ؟ . ولماذا لم يكن للفرس غدد ولا كرش ، ولا كعب؟ وما الفرق بين الحيوان الذى يبيض ولا يلد والذى يلد ولا يبيض ؟ وبماذا يميز بين السمكة النهرية والسمكة البحرية، ونحو هذا كثير يوهمون أن العلم بذلك عند زعيمهم .

ومن مسائلهم فى القرآن سؤالهم عن معانى حروف الهجاء فى أوائل السور كقوله : « الم » و « حم » و « طس » و « يس » و « طه » و « كهيعص » وربما قالوا ما معنى كل حرف من حروف الهجاء ؟ ولم صارت حروف الهجاء تسعا وعشرين حرفاً ؟ ولم عجم بعضها بالنقط وخلا بعضها من النقط ولم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف ؟ وربما قالوا للغمر ما معنى قوله « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية[٢] » ؟ ولم جعل الله تعالى أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ وما معنى قوله : « عليها تسعة عشر[٣] »، وما فائدة هذا العدد ؟ وربما سألوا عن آيات أوهموا فيها التناقض وزعموا أنه لا يعرف تأويلها إلا زعيمهم كقوله : « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان[٤] » ، مع قوله فى موضع آخر : « فوربك لنسألنهم أجمعين[٥] » .

(١) وفى لفظ الطبرانى وأبى الدنيا والخطيب «اذكروا الفاجر» أخرجه أبو يعلى ولا يصح.
(٢) الآية ١٧ من سورة الحاقة .
(٣) الآية ٣٠ من سورة المدثر .
(٤) الآية ٣٩ من سورة الرحمن .
(٥) الآية ٩٢ من سورة الحجر .

ومنها : مسائلهم فى أحكام الفقه كقولهم : لم صارت صلاة الصبح ركعتين ، والظهر أربعاً ، والمغرب ثلاثا ؟ ولم صار فى كل ركعة ركوع واحد وسجدتان ؟ ولم كان الوضوء على أربعة والتيمم على عضوين ؟ ولم وجب الغسل من المنى وهو عند أكثر المسلمين طاهر ؟ ولم يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع . ولم أعادت الحائض ما تركت من الصيام ولم تعد ما تركت من الصلاة ؟ ولم كانت العقوبة فى السرقة بقطع اليد وفى الزنى بالجلد؟ وهلا قطع الفرج الذى به زنى فى الزنى كما قطعت اليد التى بها سرق فى السرقة ، فإذا سمع الغر منهم هذه الأسئلة ورجع إليهم فى تأويلها قالوا له : علمها عند إمامنا وعند المأذون له فى كشف أسرارنا . فإذا تقرر عند الغر أن إمامهم أو ما دونه هو العالم بتأويله اعتقد أن المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها فأخرجوه بهذه الحيلة عن العمل بأحكام الشريعة . فإذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا له : لو كان لنا إله قديم غنى عن كل شىء لم يكن له فائدة فى ركوع العباد وسجودهم ، ولا فى طوافهم حول بيت من حجر ، ولا فى سعى بين جبلين . فإذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحداً له زنديقا .

قال عبد القاهر : والكلام عليهم فى مسائلهم التى يسألون عنها عند قصدهم إلى تشكيك الأغمار فى أصول الدين من وجهين

أحدهما : أن يقال لهم إنكم لا تخلون من أحد أمرين . إما أن تقروا بحدوث العالم وتثبتوا له صانعا ، قديما ، عالما ، حكيما يكون له تكليف عباده ما شاء كيف شاء ، وإما أن تنكروا ذلك وتقولوا بقدم العالم ونفى الصانع . فإن اعتقدتم قدم العالم ونفى الصانع فلا معنى لقولكم لم فرض الله كذا ، ولم حرم كذا ، ولم خلق كذا ، ولم جعل كذا على مقدار كذا ؟ إذا لم تقروا بإله فرض شيئا أو حرمه أو خلق شيئاً أو قدره ويصير الكلام بيننا وبينكم كالكلام بيننا وبين الدهرية فى حدوث العالم ، وإن أقررتم بحدوث العالم وتوحيد صانعه وأجزتم له تكليف عباده ما شاء من الأعمال كان جواز ذلك جوابا لكم عن قولكم . لم فرض ، ولم حرم كذا لإقراركم بجواز ذلك منه إن أقررتم به وبجواز تكليفه . وكذلك سؤالهم عن خاصية المحسوسات يبطل إن أقروا بصانع أحدثها ، وإن أنكروا الصانع فلا معنى لقولهم : لم خلق الله ذلك ؟ مع إنكارهم أن يكون لذلك صانع قديم .

والوجه الثانى : من الكلام عليهم فيما سألوا عنه من عجائب خلق الحيوان أن يقال لهم كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة علل ذلك وقد ذكرته الأطباء والفلاسفة

فى كتبهم وصنف أرسطاطاليس فى طبائع الحيوان كتاباً وما ذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئاً إلا مسروقاً من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة من العرب القحطانية ، والجرهمية ، والطسميه وسائر الأصناف الحميرية . وقد ذكر العرب فى أشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان ولم يكن فى زمانها باطنى ولا زعيم للباطنية . وإنما أخذ أرسطاطاليس الفرق بين ما يلد وما يبيض من قول العرب فى أمثالها : كل شرقاء ولود، وكل صكاء بيوض . ولهذا كان الخفاش من الطير ولوداً لا بيوضاً لأن لها اذنا شرقاء وكل ذات أذن صكاء بيوض كالحية، والضب ، والطيور البائضة وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى (١) وعبد الملك بن قريب الأصمعى (٢) أن العرب قالت بتجاربها فى الجاهلية إن كل حيوان لعينيه أهداب على الجفن الأعلى دون الأسفل إلا الإنسان فإن أهدابه على الجفن الأعلى والأسفل . وقالوا : كل حيوان ألقى فى الماء يسبح فيه إلا الإنسان ، والقرد ، والفرس الأعسر فإنه يغرق فيه إلا أن يتعلم الإنسان السباحة .

وقالوا فى الإنسان : إنه إذا قطع رأسه وألقى فى الماء انتصب قائما فى وسط الماء . وقالوا : كل طائر كفه فى رجليه وكف الإنسان والقرد فى اليد . وكل ذى أربع ركبته فى يده وركبتا الإنسان فى رجليه . وقالوا : ليس للفرس غدد ، ولا كرش ولا طحال، ولا كعب . وليس للبعير مرارة ، وليس للظليم مخ ، وكذلك طير الماء ، وحيتان البحر ليس لها ألسن ولا أدمغة . وقد يكون حوت النهر ذا لسان ودماغ وقالوا : إن السموك كلها لا رئة لها كذلك ولا تتنفس وقالت العرب من تجاربها : إن الضأن تضع فى السنة مرة وتفرد ولا تتئم ، والماعز تضع فى السنة مرتين وتضع الواحدة ، والاثنتين ، والثلاثة . والعدد والنماء والبركة فى الضأن أكثر منها فى الماعز . وقالوا أيضاً إذا رعت الضأن نبتاً نبت ، ولا ينبت ما يأكله الماعز لأن الضأن تقرضه بأسنانها والماعز تقلعه من أصله . وقالوا إن الماعز إذا حملت أنزلت اللبن فى أول الحمل إلى الضرع ، والضأن لا تنزل اللبن إلا عند الولادة . وقالوا: إن أصوات الذكور من كل جنس أجهر من أصوات الإناث إلا المعزى فإن أصوات إناثها أجهر من أصوات ذكورها .

ومن أمثال العرب فى الحيوان قولهم : كل ثور أفطس ، وكل بعير أعلم ، وكل ذى ناب أفرج . وقالوا بالتجربة : إن الأسد لا يأكل شيئا حامضاً ولا يدنو من النار، ولا يدنو

---

(١) صاحب التصانيف ، وأحد أوعية العلم . توفى حوالى سنة ٢٠٩ هـ .

(٢) اللغوى الإخبارى كانت الخلفاء تجالسه وتحب منادمته وتوفى سنة ٢١٦ هـ .

من الحامض ، وقالوا : إن حمل الكلاب ستون يوما فإن وضعت حملها لأقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وقالوا : إن إناث الكلاب يحضن لسبعة أشهر ثم إن الكلبة تحيض فى كل سبعة أيام . وعلامة حيضها ورم أثفارها . وقالوا فى الكلب إنه لا يلقى من أسنانه شيئاً إلا الثامن . وقالوا فى الذئب إنه ينام بإحدى عينيه ويحترس بالأخرى ولذلك قال فيه حميد بن ثور : —

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى   بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

والأرنب تنام مفتوحة العينين . قالوا : ليس فى الحيوان ما لسانه مقلوب إلا الفيل وليس فى ذوات الأربع ما ثديه على صدره إلا الفيل . وقالوا : إن الفيل تضع لسبع سنين ، والحمار لسنة ، والبقرة فى ذلك كالمرأة ، وقالوا فى قضيب الأرنب والثعلب : إنه عظم . وقالوا : كل ذى رجلين إذا انكسرت إحداهما قام على الأخرى وعرج إلا الظليم فإنه إذا انكسرت إحدى رجليه جثم فى مكانه ولهذا قال الشاعر فى نفسه وأخيه :

فإنى وإياه كرجلى نعامة   على ما بنا من ذى غنى أو لذى فقر

يريد أنه لا غنى لأحدهما عن صاحبه . وقالوا فى النعامة : إنها تبيض من الثلاثين بيضة إلى أربعين لكنها تخرج ثلاثين منها تحضن عليها كخيط ممدود على الاستواء . وربما تركت بيضها وحضنت بيض غيرها ولهذا قال فيها ابن هرمة : —

كتاركة بيضها بالعراء   وملبسة بيض أخرى جناحا

وقالوا فى الفرخ والفروج . أنهما يخلقان من البياض والصفرة غذاؤهما . وقالوا فى القطا : أنها لا تضع إلا فردا ، وفى العقاب أنها تضع ثلاث بيضات فتخرج بيضتين وتطرح واحدة فيخرجها الطير المعروف بكاسى العظام ولهذا قيل فى المثل : أبر من كاسى العظام . وقالوا فى الضب : إنها تضع سبعين بيضة ولكنها تأكل ما خرج من الحسولة عن البيض إلا الحسل الذى يعدو ويهرب منها . ولهذا قالوا فى المثل : أعق من ضب . والضب لا يرد الماء . ولهذا قالوا فى المثل أروى من ضب . وقالوا فى الضب : أنه ذو ذكرين والأنثى من ضباب فرجان من قبل وقالوا فى الحية : لها لسانان ولسانها أسود على اختلاف ألوان قشرها . والحيات كلها تكره ريح السذاب والبنفسج ، وتعجب بريح التفاح ، والبطيخ ، والجزر ، والخردل ، واللبن ، والخمر وقالوا فى الضفادع : أنها لا تصيح إلا وفى أفواهها الماء ، ولا تصيح فى دجلة بحال وإن صاحت فى الفرات وسائر الأنهار . وقال الشاعر فى الضفدع :

يدخل فى الأشداق ما ينقفه   حتى ينق والنقيق يتلفـــه

يعنى أن نقيقها يدل عليها الحية فتصيدها فتأ كلها(١) وقالوا : إن الضفادع لاعظام لها وقالوا فى الجعل : أنه إذا دفن فى الورد سكن كالميت فإذا أعيد إلى الروث تحرك .

فهذا وما جرى مجراه من خواص الحيوانات وغيرها قد عرفته العرب فى جاهليتها بالتجارب من غير رجوع منها إلى زعماء الباطنية بل عرفوها قبل وجود الباطنية فى الدنيا بأحقاب كثيرة وفى هذا بيان كذب الباطنية فى دعواها أن زعماءها مخصوصون بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها وقد بينا خروجهم عن جميع فرق الإسلام بما فيه كفاية والحمد لله على ذلك .

الباب الخامس

من أبواب هذا الكتاب :

فى بيان أوصاف الفرقة الناجية وتحقيق النجاة لها وبيان محاسنها .

هذا باب يشتمل على فصول هذه ترجمتها : —

١ — فصل : فى بيان أصناف فرق السنة والجماعة .

٢ — فصل : فى بيان تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة .

٣ — فصل : فى بيان الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة والجماعة .

٤ — فصل : فى بيان قول أهل السنة فى السلف الصالح من الأمة .

٥ — فصل : فى بيان عصمة الله أهل السنة عن تكفير بعضهم بعضا .

٦ — فصل : فى بيان فضائل أهل السنة وأنواع علومهم وذكر أئمتهم .

٧ — فصل : فى بيان آثار أهل السنة فى الدين والدنيا وذكر مفاخرهم فيهما .

فهذه فصول هذا الباب وسنذكر فى كل منها مقتضاه بعون الله وتوفيقه .

---

(١) وقد صرح بذلك الأخطل فقال :

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت   فدل عليها صوتها حية البحر

الفصل الأول

من فصول هذا الباب

في بيان أصناف أهل السنة والجماعة .

اعلموا أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس :

(١) صنف منهم أحاطوا علماً بأبواب التوحيد ، والنبوة ، وأحكام الوعد ، والوعيد ، والثواب ، والعقاب وشروط الاجتهاد ، والإمامة ، والزعامة وسلكوا في هذا النوع من العلم طرق الصفاتية من المتكلمين الذين تبرءوا من التشبيه والتعطيل ومن بدع الرافضة ، والخوارج ، والجهمية ، والنجارية وسائر أهل الأهواء الضالة .

(٢) والصنف الثاني منهم : أئمة الفقه من فريق الرأي والحديث من الذين اعتقدوا في أصول الدين مذاهب الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية وتبرءوا من القدر ، والاعتزال وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل وأثبتوا الحشر من القبور مع إثبات السؤال في القبر ومع إثبات الحوض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب التي دون الشرك .

وقالوا : بدوام نعيم الجنة على أهلها ، ودوام عذاب النار على الكفرة وقالوا بإمامة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأحسنوا الثناء على السلف الصالح من الأمة ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرءوا من أهل الأهواء الضالة ، ورأوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن إجماع الصحابة ، ورأوا جواز المسح على الخفين ، ووقوع الطلاق الثلاث ، ورأوا تحريم المتعة ، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية .

ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك [١] ، والشافعي ، والأوزاعي [٢] ، والثوري ، وأبي حنيفة وابن أبي ليلى . وأصحاب أبي ثور [٣] ، وأصحاب أحمد بن حنبل [٤] ، وأهل الظاهر وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية ولم يخلطوا فقهه بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة .

(٣) والصنف الثالث منهم : هم الذين أحاطوا علماً بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن النبي عليه السلام وميزوا بين الصحيح والسقيم منها وعرفوا أسباب الجرح والتعديل ولم يخلطوا

---

(١) إمام دار الهجرة توفي سنة ١٧٩ هـ .

(٢) أبي عمرو الأوزاعي ت. في سنة ١٥٧ هـ .

(٣) أحد الأعلام تفقه بالشافعي وبرع في العلم وتوفي سنة ٢٤٠ هـ .

(٤) شيخ أهل السنة شيخ الإسلام وناصر السنة توفي سنة ٢٤١ هـ .

علمهم بذلك بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة.

(٤) والصنف الرابع منهم : قوم أحاطوا علما بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف وجروا على سمت أئمة اللغة ، كالخليل[١] ، وأبي عمرو بن العلاء[٢] ، وسيبويه[٣] ، والفراء[٤] ، والأخفش[٥] ، والأصمعي ، والمازني ، وأبي عبيد وسائر أئمة النحو من الكوفيين ، والبصريين الذين لم يخلطوا علمهم بذلك بشيء من بدع القدرية أو الرافضة أو الخوارج . ومن مال منهم إلى شيء من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة ولا كان قوله حجة في اللغة والنحو .

(٥) والصنف الخامس منهم : هم الذين أحاطوا علماً بوجوه قراءات القرآن، وبوجوه تفسير آيات القرآن وتأويلها على وفق مذاهب أهل السنة دون تأويلات أهل الأهواء الضالة .

(٦) والصنف السادس منهم : الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا، واختبروا فاعتبروا ، ورضوا بالمقدور ، وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع ، والبصر ، والفؤاد كل أولئك مسئول عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذر فأعدوا خير الإعداد ليوم المعاد ، وجرى كلامهم في طريق العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث ، لا يعملون الخير رياء . ولا يتركونه حياء ، دينهم التوحيد ، ونفي التشبيه ، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى ، والتوكل عليه والتسليم لأمره ، والقناعة بما رزقوا ، والإعراض عن الاعتراض عليه : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[٦] .

(٧) والصنف السابع منهم : قوم مرابطون في ثغور المسلمين في وجوه الكفرة يجاهدون أعداء المسلمين ويحمون حمى المسلمين ، ويذبون عن حريمهم وديارهم ويظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة والجماعة . وهم الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله: «والذين جاهدوا

---

(١) صاحب العربية والعروض كان هواهما فيه زهد وتعفف توفى سنة ١٧٥ هـ .

(٢) كان أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وكانت كتبه كثيرة ثم تنسك فأحرقها ومات سنة ١٥٤ هـ .

(٣) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه غني عن التعريف توفى سنة ١٨٠ هـ .

(٤) يحيى بن زياد ، أبرع أهل الكوفة علما كان رأسا في النحو واللغة توفى سنة ٢٠٧هـ .

(٥) سعيد بن مسعدة المجاشعي وهو أشهر الأخافشة توفى سنة ٢١٥هـ وقيل سنة ٢١٠ .

(٦) الآية ٢١ من سورة الحديد ، ٤ من سورة الجمعة .

فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين[1] ، زادهم الله توفيقاً بفضله ومنه .

(٨) والصنف الثامن منهم : عامة البلدان التى غلب فيها شعائر أهل السنة دون عامة البقاع التى ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة . وإنما أردنا بهذا الصنف من العامة عامة اعتقدوا تصويب علماء السنة والجماعة فى أبواب العدل ، والتوحيد ، والوعد ، والوعيد ورجعوا إليهم فى معالم دينهم وقلدوهم فى فروع الحلال والحرام ، ولم يعتقدوا شيئاً من بدع أهل الأهواء الضالة وهؤلاء هم الذين سمتهم الصوفية : حشو الجنة . فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة ومجموعهم ، أصحاب الدين القويم والصراط المستقيم . ثبتهم الله تعالى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة إنه بالإجابة جدير وعليها قدير .

الفصل الثانى

من فصول هذا الباب :

فى بيان تحقيق النجاة لأهل السنة والجماعة .

قد ذكرنا فى الباب الأول من هذا الكتاب أن النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر افتراق أمته بعده ثلاثاً وسبعين فرقة ، وأخبر أن فرقة واحدة منها ناجية سئل عن الفرقة الناجية وعن صفتها فأشار إلى الذين هم على ما عليه هو وأصحابه ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة رضى الله عنهم غير أهل السنة والجماعة من فقهاء الأمة ، ومتكلميهم الصفاتية دون الرافضة والقدرية ، والخوارج ، والجهمية والنجارية والمشبهة ، والغلاة ، والحلولية .

أما القدرية فكيف يكونون موافقين للصحابة وقد طعن زعيمهم النظام فى أكثر الصحابة وأسقط عدالة ابن مسعود ونسبه إلى الضلال من أجل روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه » . وروايته انشقاق القمر وما ذاك منه إلا لإنكاره معجزات النبى عليه السلام . وطعن فى فتاوى عمر رضى الله عنه من أجل أنه حد فى الخمر ثمانين ونفى نصر بن الحجاج إلى البصرة حين خاف فتنة نساء المدينة به . وما هذه منه إلا لقلة غيرته على الحرم ، وطعن فى فتاوى على رضى الله عنه لقوله فى أمهات الأولاد . ثم قوله رأيت أنهن يبعن . وقال : من هو حتى يحكم برأيه وثلب عثمان رضى الله عنه لقوله فى الخرقاء بقسم المال بين الجد ، والأم

---

(١) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت .

والأخت ثلاثاً بالسوية .

ونسب أبا هريرة إلى الكذب من أجل أن الكثير من رواياته على خلاف مذاهب القدرية . وطعن فى فتاوى كل من أفتى من الصحابة بالاجتهاد وقال : إن ذلك منهم إنما كان لأجل أمرين . إما لجهلهم بأن ذلك لا يحل لهم ، وإما لأنهم أرادوا أن يكونوا زعماء وأرباب مذاهب تنسب إليهم فنسب أخيار الصحابة إلى الجهل أو النفاق . والجاهل بأحكام الدين عنده كافر والمتعمد للخلاف بلا حجة عنده منافق كافر ، أو فاسق فاجر وكلاهما من أهل النار على الخلود فأوجب بزعمه على أعـــلام الصحابة الخلود فى النار التى هو بها أولى . ثم إنه أبطل إجماع الصحابة ولم يرحجه وأجاز اجتماع الأمة على الضلالة . فكيف يكون على سمت الصحابة مقتدياً بهم من يرى مخالفة جميعهم واجبا إذا كان رأيه خلاف رأيهم . وكان زعيمهم واصل بن عطاء الغزال يشك فى عدالة على وابنيه ، وابن عباس ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين . ولذلك قال لو شهد عندى على وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما لعلمى بأن أحدهما فاسق ولا أعرفه بعينه . فجائز على أصله أن يكون على وأتباعه فاسقين مخلدين فى النار ، وجائز أن يكون الفريق الآخر الذين كانوا أصحاب الجمل فى النار خالدين فشك فى عدالة على ، وطلحة ، والزبير مع شهادة النبى عليه السلام لهؤلاء الثلاثة بالجنة ومع دخولهم فى بيعة الرضوان وفى جملة الذين قال الله تعالى فيهم : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً(١) » . وكان عمرو ابن عبيد يقول بقول واصل فى فريقى الجمل وزاد عليه القول بالقطع على فسق كل فرقة من الفرقتين .

وذلك أن واصلا إنما قطع بفسق أحد الفريقين ولم يحكم بشهادة رجلين أحدهما من أصحاب على والآخر من أصحاب الجمل وقبل شهادة رجلين من أصحاب على وشهادة رجلين من أصحاب الجمل . وقال عمرو بن عبيد : لا أقبل شهادة الجماعة منهم سواء كانوا من أحد الفريقين وكان بعضهم من حزب على وبعضهم من حزب الجمل فإنه قد فسق الفريقين جميعا .

وواجب على أصله أن يكون على وابناه ، وابن عباس ، وعمار ، وأبو أيوب الأنصارى وخزيمة بن ثابت الأنصارى الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بمنزلة شهادة

---

(١) الآية ١٨ من سورة الفتح .

رجلين عدلين وسائر أصحاب على مع طلحة ، والزبير ، وعائشه وسائر أصحاب الجمل فاسقين مخلدين فى النار ، وفيهم من الصحابة ألوف وقدكان مع على خمسة وعشرون بدرياً وأكثر أصحاب أحد وستمائة من الأنصار وجماعة من المهاجرين الاولين .

وقدكان أبو الهذيل ، والجاحظ ، وأكثر القدرية فى هذا الباب على رأى واصل بن عطاء فيهم . فكيف يكون مقتدياً بالصحابة من يفسق أكثرهم ويراهم من أهل النار ؟ ومن لا يرى شهادتهم مقبولة كيف يقبل روايتهم ؟ ومن رد رواياتهم ورد شهاداتهم خرج عن سمتهم ومتابعتهم ، وإنما يقتدى بهم من يعمل برواياتهم ويقبل شهاداتهم كدأب أهل السنة والجماعة فى ذلك .

وأما الخوارج : فقد أكفروا علياً وابنيه ، وابن عباس ، وأبا أيوب الأنصارى وأكفروا أيضا عثمان ، وعائشة . وطلحة ، والزبير ، وأكفروا كل من لم يفارق عليا ومعاوية بعد التحكيم . وأكفروا كل ذى ذنب من الأمة ، ولا يكون على سمت الصحابة من يقول بتكفير أكثرها . وأما الغلاة من الروافض كالسبئية ، والبيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجناحية ، والخطابية وسائر الحلولية فقد بينا خروجهم عن فرق الإسلام وبيّنا أنهم فى عداد عبدة الأصنام أو فى عداد الحلولية من النصارى وليس لعبدة الأصنام ولا للنصارى وسائر الكفرة بالصحابة أسوة ولا قدوة .

وأما الزيدية منهم : فالجارودية منهم يكفرون أبا بكر ، وعمر ، وعثمان وأكثر الصحابة ولا يقتدى بهم من يكفر أكثرهم . والسليمانية ، والبترية من الزيدية يكفرون عثمان أو يتوقفون فيه ويفسقون ناصريه ويكفرون أكثر أصحاب الجمل .

وأما الإمامية منهم : فقد زعم أكثرهم أن الصحابة ارتدت بعد النبى صلى الله عليه وسلم سوى على وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم .

وزعمت الكاملية منهم : أن عليا أيضاً ارتد وكفر بتركه قتالهم ، فكيف يكون على سمت الصحابة من يقول بتكفيرهم ؟ . ثم نقول : كيف يكون الرافضة ، والخوارج ، والقدرية . والجهمية ، والنجارية ، والبكرية ، والضرارية موافقين للصحابة ؟ وهم بأجمعهم لا يقبلون شيئا مما روى عن الصحابة فى أحكام الشريعة لامتناعهم من قبول روايات الحديث ، والسير ، والمغازى من أجل تكفيرهم لأصحاب الحديث الذين هم نقلة الأخبار والآثار ورواة التواريخ والسير ، ومن أجل تكفيرهم فقهاء الأمة الذين ضبطوا آثار الصحابة وقاسوا فروعهم على فتاوى الصحابة . ولم يكن بحمد الله ومنه فى الخوارج ولا

فى الروافض ولا فى الجهمية ، ولا فى القدرية ، ولا فى المجسمة ، ولا فى سائر أهل الأهواء الضالة إمام فى الفقه ، ولا إمام فى رواية الحديث ، ولا إمام فى اللغة ، والنحو ولا موثوق به فى نقل المغازى، والسير، والتواريخ ، ولا إمام فى الوعظ والتذكير ، ولا إمام فى التأويل والتفسير ، وإنما كان أئمة هذه العلوم على الخصوص والعموم من أهل السنة والجماعة. وأهل الأهواء الضالة إذا ردوا الروايات الواردة عن الصحابة فى أحكامهم وسيرهم لم يصح اقتداؤهم بهم متى لم يشاهدوهم ولم يقبلوا رواية أهل الرواية عنهم .

وبان من هذا أن المقتدين بالصحابة من يعمل بما قد صح بالرواية الصحيحة فى أحكامهم وسيرهم . وذلك سنة أهل السنة دون ذوى السنة وصح بصحة ما ذكرناه تحقيق نجاتهم كحكم النبى صلى الله عليه وسلم بنجاة المقتدين بأصحابه ـ والحمد لله على ذلك .

الفصل الثالث

من فصول هذا الباب :

فى بيان الأصول التى اجتمع عليها أهل السنة .

قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته ، ولكل ركن منها شعب وفى شعبها مسائل اتفق أهل السنة فيها على قول واحد وضللوا من خالفهم فيها .

وأول الأركان التى رأوها من أصول الدين إثبات الحقائق ، والعلوم على الخصوص والعموم . والركن الثانى : هو العلم بحدوث العالم فى أقسامه من أعراضه وأجسامه . والركن الثالث : فى معرفة صانع العالم وصفات ذاته : والركن الرابع : فى معرفة صفاته الأزلية ، والركن الخامس: فى معرفة أسمائه وأوصافه . والركن السادس فى معرفة عدله وحكمته . والركن السابع: فى معرفة رسله وأنبيائه . والركن الثامن . فى معرفة معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء والركن التاسع : فى معرفة ما أجمعت الأمة عليه من أركان شريعة الإسلام. والركن العاشر : فى معرفة أحكام الأمر والنهى ، والتكليف . والركن الحادى عشر . فى معرفة فناء العباد وأحكامهم فى المعاد والركن الثانى عشر : الخلافة والإمامة وشروط الزعامة . والركن الثالث عشر : فى أحكام الإيمان والإسلام فى الجملة . والركن الرابع عشر : فى معرفة أحكام الأولياء ومراتب الأئمة الأتقياء . والركن الخامس عشر : فى معرفة أحكام الأعداء من الكفر وأهل الأهواء .

فهذه أصول اتفق أهل السنة على قواعدها وضللوا من خالفهم فيها . وفى كل ركن

منها مسائل أصول ومسائل فروع وهم مجمعون على أصولها وربما اختلفوا في بعض فروعها اختلافاً لا يوجب تضليلا ولا تفسيقاً .

١ ـ فأما الركن الأول: وهو إثبات الحقائق والعلوم : فقد أجمعوا على إثبات معانى قائمة بالعلماء . وقالوا : بتضليل نفاة العلم وسائر الأعراض ، وبتضليل السوفسطائية الذين ينفون العلم وينفون حقائق الأشياء كلها وعدوهم معاندين لما قد علموه بالضرورة . وكذلك السوفسطائية الذين شكوا فى وجود الحقائق . وكذلك الذين قالوا منهم بأن حقائق الأشياء تابعة للاعتقاد وصححوا جميع الاعتقادات مع تضادها وتنافيها وهذه الفرق الثلاث [1] كلها كفرة معاندة لموجبات العقول الضرورية .

وقال أهل السنة : إن علوم الناس ، وعلوم سائر الحيوانات ثلاثة أنواع : علم بديهى وعلم حسى ، وعلم استدلالى . وقالوا : من جحد العلوم البديهية ، أو العلوم الحسية الواقعة من جهة الحواس الخمس فهو معـــاند . ومن أنكر العلوم النظرية الواقعة عن النظر والاستدلال نظر فيه ، فإن كان من السمنية المنكرة للنظر فى العلوم العقلية فهو كافر ملحد وحكمه حكم الدهرية لقوله معهم بقدم العالم وإنكار الصانع مع زيادته عليهم القول بإبطال الأديان كلها . وإن كان ممن يقول بالنظر في العقليات وينكر القياس فى فروع الأحكام الشرعية كأهل الظاهر لم يكفر بإنكار القياس الشرعى . وقالوا : بأن الحواس التى يدرك بها المحسوسات خمس وهى : حاسة البصر لإدراك المرئيات . وحاسة السمع لإدراك المسموعات . وحاسة الذوق لإدراك الطعوم . وحاسة الشم لإدراك الروائح . وحاسة اللمس لإدراك الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، واللين والخشونة بها .

وقالوا : إن الإدراكات الواقعة من جهة هذه الحواس معان قائمة بالآلات التى تسمى حواس ، وضللوا أبا هاشم الجبائى فى قوله : إن الإدراك ليس بمعنى ، ولا عرض ، ولا شىء سوى المدرك . وقالوا : إن الخبر المتواتر طريق العلم الضرورى بصحة ما تواتر عنه الخبر إذا كان المخبر عنه مما يشاهد ويدرك بالحس والضرورة كالعلم بصحة وجود ما تواتر الخبر فيه من البلدان التى لم يدخلها السامع مع المخبر عنها ، وكعلمنا بوجود الأنبياء ، والملوك الذين كانوا قبلنا ، فأما صحة دعاوى الأنبياء فى النبوة فعلوم لنا بالحجج النظرية ، وأكفروا من أنكر من السمنية وقوع العلم من جهة التواتر وقالوا : إن الأخبار التى يلزمنا العمل بها ثلاثة أنواع : تواتر ، وآحاد ، ومتوسط بينهما مستفيض .

فالخبر المتواتر الذى يستحيل التواطؤ على وضعه ، يوجب العلم الضرورى بصحة مخبره

---

(١) السوفسطائية ثلاث فرق : عنادية ، ولا أدرية ، وعندية .

وبهذا النوع من الأخبار علمنا البلدان التى لم ندخلها ، وبها عرفنا الملوك ، والأنبياء والقرون الذين من قبلنا ، وبه يعرف الإنسان والديه اللذين هو منسوب إليهما .

وأما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة فى العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم فى أنه يلزمه الحكم بها فى الظاهر وإن لم يعلم صدقهم فى الشهادة . وبهذا النوع من الخبر أثبت الفقهاء أكثر فروع الاحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات وسائر أبواب الحلال والحرام وضللوا من أسقط وجوب العمل بأخبار الآحاد فى الجملة من الرافضة ، والخوارج وسائر أهل الأهواء .

وأما الخبر المستفيض المتوسط بين التواتر والآحاد فإنه يشارك التواتر فى إيجابه للعلم والعمل ، ويفارقه من حيث إن العلم الواقع عنه يكون علماً مكتسباً نظرياً ، والعلم الواقع عن التواتر يكون ضرورياً غير مكتسب وهذا النوع من الخبر على أقسام .

منها : أخبار الانبياء فى أنفسهم ، وكذلك خبر من أخبر النبى عن صدقه يكون العلم لصدقه مكتسباً .

ومنها : الخبر المنتشر من بعض الناس إذا أخبر به بحضرة قوم لا يصح منهم التواطؤ على الكذب وادعى عليهم وقوع ما أخبر عنه بحضرتهم . فإذا لم ينكر عليه أحد منهم علمنا صدقه فيه . وبهذا النوع من الاخبار علمنا معجزة نبينا ﷺ فى انشقاق القمر ، وتسبيح الحصا فى يده ، وحنين الجذع إليه لما فارقه ، وإشباعه الخلق الكثير من الطعام اليسير ونحو ذلك من معجزاته غير القرآن المعجز نظمه فإن ثبوت القرآن وظهوره عليه وعجز العرب والعجم عن المعارضة بمثله معلوم بالتواتر الموجب للعلم الضرورى .

ومنها أخبار مستفيضة بين أئمة الحديث والفقه وهم مجمعون على صحتها كالأخبار فى الشفاعة ، والحساب ، والحوض ، والصراط ، والميزان ، وعذاب القبر ، وسؤال الملكين فى القبر ، وكذلك الأخبار المستفيضة فى كثير من أحكام الفقه كنصب الزكاة ، وحد الخمر فى الجملة والاخبار فى المسح على الخفين وفى الرجم وما أشبه ذلك مما أجمع الفقهاء على قبول الأخبار فيها وعلى العمل بمضمونها . وضللوا من خالف فيها من أهل الأهواء كتضليل الخوارج فى إنكارها الرجم ، وتضليل من أنكر من النجدات حد الخمر ، وتضليل من أنكر المسح على الخفين ، وتكفير من أنكر الرؤية ، والحوض ، والشفاعة وعذاب القبر . وكذلك ضللوا الخوارج الذين قطعوا يد السارق فى القليل والكثير من الحرز وغير الحرز كردهم الأخبار الصحاح فى اعتبار النصاب والحرز فى القطع . وكما ضللوا من

رد الخبر المستفيض؛ ضللوا من ثبت على حكم خبر اتفق الفقهاء من فريقى الرأى والحديث على نسخه . كتضليل الرافضة فى المتعة التى قد نسخت إباحتها .

واتفق أهل السنة على أن الله تعالى كلف العباد معرفته وأمرهم بها وأنه أمرهم بمعرفة رسوله وكتابه والعمل بما يدل عليه الكتاب والسنة وأكفروا من زعم من القدرية والرافضة أن الله تعالى ماكلف أحداً معرفته كما ذهب إليه ثمامة والجاحظ وطائفة من الرافضة .

واتفقوا على أن كل علم كسبى نظرى يجوز أن يجعلنا الله تعالى مضطرين إلى العلم بمعلومه وأكفروا من زعم من المعتزلة أن المعرفة بالله عز وجل فى الآخرة مكتسبة من غير اضطرار إلى معرفته .

واتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة القرآن والسنة وإجماع السلف . وأكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم فى القرآن والسنة لدعواه أن الصحابة غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه . وأكفروا الخوارج الذين ردوا جميع السنن التى رواها نقلة الأخبار لقولهم بتكفير ناقليها . وأكفروا النظام فى إنكاره حجة الإجماع ، وحجة التواتر وقوله بجواز اجتماع الأمة على الضلالة وجواز تواطؤ أهل التواتر على وضع الكذب . فهذا بيان ما اتفق عليه أهل السنة من وسائل الركن الأول .

٢ - وأما الركن الثانى : وهو الكلام فى حدوث العالم فقد أجمعوا على أن العالم كل شىء هو غير الله عز وجل ، وعلى أن كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته الأزلية مخلوق مصنوع وعلى أن صانعه ليس بمخلوق ولا مصنوع ولا هو من جنس العالم ولا من جنس شىء من أجزاء العالم . وأجمعوا على أن أجزاء العالم قسمان جواهر ، وأعراض على خلاف قول نفاة الأعراض فى نفيها الأعراض ، وأجمعوا على أن كل جوهر جزء لا يتجزأ وأكفروا النظام والفلاسفة الذين قالوا بانقسام كل جزء إلى أجزاء بلا نهاية لأن هذا يقتضى ألا تكون أجزاؤها محصورة عند الله تعالى وفى هذا رد قوله : « وأحصى كل شىء عدداً »[1] وقالوا بإثبات الملائكة والجن والشياطين فى أجناس حيوانات العالم . وأكفروا من أنكرهم من الفلاسفة والباطنية . وقالوا : بتجانس الجواهر والأجسام . وقالوا : إن اختلافها فى الصور ، والألوان ، والطعوم ، والروائح إنما هو لاختلاف الأعراض القائمة بها .

(١) الآية ٢٨ من سورة الجن .

وضللوا من قال باختلاف الأجسام لاختلاف الطبائع . وضللوا أيضا من قال من الفلاسفة بخمس طبائع وزعم أن للفلك طبيعة خامسة لا تقبل الكون والفساد كما ذهب إليه أرسطاطاليس .

وضللوا من قال من الثنوية إن الأجسام نوعان : نور وظلمة . وأن الخير من النور ، والشر من الظلمة وأن فاعل الخير والصدق لا يفعل الشر والكذب . وفاعل الشر والكذب لا يفعل الخير والصدق وسألناهم عن رجل قال : أنا شر وظلمة من القائل لهذا القول . فإن قالوا هو النور فقد كذب . وإن قالوا هو الظلمة فقد صدق . وفي هذا بطلان قولهم إن النور لا يكذب والظلام لا يصدق وهذا إلزام لهم على أصولهم : فأما نحن فإنا لا نثبت النور والظلمة فاعلين قديمين بل نقول إنهما مخلوقان لا فعل لهما . واتفق أهل السنة على اختلاف أجناس الأعراض وأكفروا النظام في قوله : إن الأعراض كلها جنس واحد وإنها كلها حركات لأن هذا يوجب عليه أن يكون الإيمان من جنس الكفر ، والعلم من جنس الجهل ، والقول من جنس السكوت . وأن يكون فعل النبي صلى الله عليه وسلم من جنس فعل الشيطان الرجيم . وينبغي له على هذا الأصل ألا يغضب على من لعنه وشتمه لأن قول القائل : لعن الله النظام عنده من جنس قوله رحمه الله .

واتفقوا على حدوث الأعراض في الأجسام ، وأكفروا من زعم من الدهرية أنها كامنة في الأجسام وإنما يظهر بعضها عند كون ضده في محله . واتفقوا على أن كل عرض حادث في محل وأن العرض لا يقوم بنفسه ، وأكفروا من قال من المعتزلة البصرية بحدوث وإرادة الله سبحانه لا في محل . وبحدوث فناء الأجسام لا في محل . وأكفروا أبا الهذيل في قوله : إن قول الله عز وجل للشيء : كن . عرض حادث لا في محل . واتفقوا على أن الأجسام لا تخلو ولم تخل قط من الأعراض المتعاقبة عليها . وأكفروا من قال من أصحاب الهيولى أن الهيولى كانت في الأزل خالية من الأعراض . ثم حدث فيها الأعراض حتى صارت على صورة العالم . وهذا القول غاية في الاستحالة لأن حلول العرض في الجوهر يغير صفته ولا يزيد في عدده فلو كان هيولى العالم جوهراً واحداً لم يصر جواهر كثيرة بحلول الأعراض فيها .

وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها وان حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها خلاف قول من زعم من الدهرية أن الأرض تهوى أبدا ولو كانت كذلك لوجب ألا يلحق الحجر الذي نلقيه من أيدينا الأرض أبدا . لأن الخفيف لا يلحق

ما هو أثقل منه فى انحداره . وأجمعوا على أن الأرض متناهية الأطراف من الجهات كلها ، وكذلك السماء متناهية الأقطار من الجهات الست خلاف قول من زعم من الدهرية أنه لا نهاية الأرض من أسفل ولا عن اليمين واليسار ، ولا من خلف ولا من أمام وإنما نهايتها من الجهة التى تلاقى الهواء من فوقها .

وزعموا أن السماء أيضا متناهية من تحتها ولا نهاية لها من خمس جهات سوى جهة السفل وبطلان قولهم ظاهر من جهة عود الشمس إلى مشرقها كل يوم وقطعها جرم السماء وما فوق الأرض فى يوم وليلة(١) . ولا يصح قطع مالا نهاية لها من المسافة فى الأمكنة فى زمان متناه . وأجمعوا على أن السموات سبع طباق خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين أنها تسع . وأجمعوا أنها ليست بكرية تدور حول الأرض خلاف من زعم أنها كرات بعضها فى جوف بعض وأن الأرض فى وسطها كمركز الكرة فى جوفها . ومن قال بهذا لم يثبت فوق السموات عرشا ، ولا ملائكة ، ولا شيئا مما نثبته موجودا فوق السموات . وأجمعوا أيضا على جواز الفناء على العالم كله من طريق القدرة والإمكان . وإنما قالوا بتأبيد الجنة ، وتأبيد جهنم وعذابها من طريق الشرع . وأجازوا أيضا فناء بعض الأجسام دون بعض . وأكفروا أبا الهذيل بقوله بانقطاع نعيم الجنة وعذاب النار ، وأكفروا من قال من الجهمية بفناء الجنة والنار ، وأكفروا الجبائى وابنه أبا هاشم فى قولهما إن الله لا يقدر على إفناء بعض الأجسام مع إبقاء بعضها . وإنما يقدر على إفناء جميعها بفناء يخلقه لا فى محل .

٣- وقالوا فى الركن الثالث وهو الكلام فى صانع العالم وصفاته الذاتية التى استحقها لذاته . إن الحوادث كلها لا بد لها من محدث صانع . وأكفروا ثمامة وأتباعه من القدرية فى قولهم إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها . وقالوا : إن صانع العالم خالق الأجسام والأعراض . وأكفروا معمرا وأتباعه من القدرية فى قولهم إن الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض ، وإنما خلق الأجسام وإن الأجسام هى الخالقة للأعراض فى أنفسها . وقالوا : إن الحوادث قبل حدوثها لم تكن أشياء ولا أعيانا ، ولا جواهر ، ولا أعراضاً على خلاف قول القدرية فى دعواها إن المعدومات فى حال عدمها أشياء . وقد زعم البصريون منهم إن الجواهر ، والأعراض كانت قبل حدوثها جواهر وأعراضاً . وقول هؤلاء يؤدى الى القول بقدم العالم . والقول الذى يؤدى الى الكفر كفر فى

---

(١) هذا رأى الأقدمين . ونفس النتيجة يوصل إليها دوران الأرض ، ولكن ماذا يحققه العلم غدا . العلم عند الله تعالى .

نفسه . وقالوا : إن صانع العالم قديم لم يزل موجوداً على خلاف قول المجوس فى قولهم بصانعين ، أحدهما : شيطان محدث . وخلاف قول الغلاة من الروافض الذين قالوا فى على أنه جوهر مخلوق محدث لكنه صار إلهاً صانعاً بحلول روح الإله فيه . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

وقالوا : بنفى النهاية والحد عن صانع العالم على خلاف قول هشام بن الحكم الرافضى فى دعواه . أن معبوده سبعة أشبار بشبر نفسه . وخلاف قول من زعم من الكرامية : أنه ذو نهاية من الجهة التى تلاقى منها العرش ولا نهاية له من خمس جهات سواها .

وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء على خلاف قول من زعم من غلاة الروافض ومن أتباع داود الجواربى أنه على صورة الإنسان . وقد زعم هشام بن سالم الجواليقى وأتباعه من الرافضة أن معبودهم على صورة الإنسان وعلى رأسه فروة سوداء وهو نور أسود ، وأن نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت وخلاف قول المغيرية من الرافضة فى دعواهم أن أعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ، ولا يجرى عليه زمان على خلاف قول من زعم من الهشامية والكرامية أنه مماس لعرشه . وقد قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : إن الله تعالى خلق العرش إظهارا لقدرته لا مكانا لذاته . وقال أيضا : قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان.

وأجمعوا على نفى الآفات ، والغموم ، والآلام ، واللذات عنه . وعلى نفى الحركة والسكون عنه على خلاف قول الهشامية من الرافضة فى قولها بجواز الحركة عليه وفى دعواهم أن مكانه حدث من حركته ، وخلاف قول من أجاز عليه التعب ، والراحة ، والغم ، والسرور والملالة كما حكى عن أبى شعيب الناسك . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وأجمعوا على أن الله تعالى غنى عن خلقه لا يجتلب بخلقه إلى نفسه نفعا ، ولا يدفع بهم عن نفسه ضررا . وهذا خلاف قول المجوس فى دعواهم أن الله تعالى إنما خلق الملائكة ليدفع بهم عن نفسه أذى الشيطان ، وأذى أعوانه .

وأجمعوا على أن صانع العالم واحد . على خلاف قول الثنوية بصانعين قديمين . أحدهما : نور والآخر ظلمة . وخلاف قول المجوس بصانعين . أحدهما : إنه قديم اسمه عندهم يزدان . والآخر شيطان رجيم أهرمن . وخلاف قول المفوضة من غلاة الروافض فى أن الله تعالى فوض تدبير العالم إلى على فهو الخالق الثانى . وخلاف قول الخابطية من القدرية

أتباع أحمد بن خابط فى قولهم : إن الله تعالى فوض تدبير العالم إلى عيسى بن مريم وأنه هو الخالق الثانى وقد استقصينا وجوه دلائل الموحدين على توحيد الصانع فى كتاب « الملل والنحل »

٤- وقالوا فى الركن الرابع: وهو الكلام فى الصفات القائمة بالله عز وجل : إن علم الله تعالى وقدرته ، وحياته ، وإرادته ، وسمعه ، وبصره ، وكلامه صفات له أزلية ونعوت له أبدية .

وقد نفت المعتزلة عنه جميع الصفات الأزلية . وقالوا : ليس له قدرة ، ولا علم ، ولا حياة ، ، لا رؤية ، ولا إدراك المسموعات . وأثبتوا له كلاماً محدثاً ونفى البغداديون عنه الإرادة . وأثبت البصريون منهم له إرادة حادثة لا فى محل وقلنا لهم : فى نفى الصفة نفى الموصوف . كما أن فى نفى الفعل نفى الفاعل . وفى نفى الكلام نفى المتكلم .

وأجمع أهل السنة على أن قدرة الله تعالى على المقدورات كلها قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدورات على طريق الاختراع دون الاكتساب . خلاف قول الكرامية فى دعواها أن الله تعالى إنما يقدر بقدرته على الحوادث التى تحدث فى ذاته ، فأما الحوادث الموجودة فى العالم فإنما خلقها الله تعالى بأقواله لا بقدرته . وخلاف قول البصريين من القدرية فى دعواها أن الله سبحانه لا يقدر على مقدورات عباده . ولا على مقدورات سائر الحيوانات وأجمع أهل السنة على أن مقدورات الله تعالى لا تفنى . خلاف قول أبى الهذيل وأتباعه من القدرية فى دعواه أن قدرة الله تعالى تنتهى إلى حال تفنى بمقدوراته فيها . ولا يقدر بعدها على شىء ، ولا يملك حينئذ لأحد على ضر ولا نفع . وزعم أن أهل الجنة وأهل النار فى تلك الحال يبقون جمودا فى سكون دائم . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، وقد زعم الأسوارى وأتباعه من المعتزلة أن الله تعالى إنما يقدر على أن يفعل ما قد علم أن يفعل . فأما ما علم أنه لا يفعله أو أخبر عن نفسه بأنه لا يفعله فإنه لا يقدر على فعله . تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ، وأجمع أهل السنة على أن علم الله تعالى واحد يعلم به جميع المعلومات على تفاصيلها من غير حس ، ولا بديهة ولا استدلال عليه . وزعم معمر وأتباعه من القدرية أن الله تعالى لا يقال إنه عالم بنفسه . ومن العجائب عالم بغيره ولا يكون عالما بنفسه . وزعم قوم من الرافضة أن الله تعالى لا يعلم الشىء قبل كونه . وزعم زرارة بن أعين وأتباعه من الرافضة أن علم الله تعالى وقدرته ، وحياته ، وسائر صفاته حوادث وأنه لم يكن حياً ولا قادرا ، ولا عالما حتى خلق لنفسه حياة وقدرة ، وعلما ، وإرادة ، وسمعا وبصرا .

وأجمعوا على أن سمعه وبصره محيطان بجميع المسموعات والمرئيات ، وأن الله تعالى لم يزل رائيا لنفسه وسامعاً لكلام نفسه . وهذا خلاف قول القدرية البغدادية فى دعواهم أن الله تعالى ليس براء ولا سامع على الحقيقة . وإنما يقال يرى ويسمع على معنى أنه يعلم المرئى والمسموع . وخلاف قول المعتزلة فى دعواها أن الله تعالى يرى غيره ولا يرى نفسه وخلاف قول الجبائى فى فرقه بين السميع والسامع ، وبين البصير والمبصر حتى قال إنه كان فى الأزل سميعا بصيرا ، ولم يكن فى الأزل سامعا ولا مبصرا . وهذا الفرق يمكن عكسه عليه فلا يجد من لزوم عكسه انفصالا (١).

وأجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئيا للمؤمنين فى الآخرة ، وقالوا بجواز رؤيته فى كل حال ولكل حى من طريق العقل ووجوب رؤيته للمؤمنين خاصة فى الآخرة من طريق الخبر . وهذا خلاف قول من أحال رؤيته من القدرية والجهمية وخلاف قول من زعم أنه يرى فى الآخرة بحاسة سادسة ، كما ذهب إليه ضرار بن عمرو . وخلاف قول من زعم أن الكفرة أيضا يرونه كما قاله ابن سالم البصرى . وقد استقصينا مسائل الرؤية فى كتاب مفرد .

وأجمع أهل السنة على أن إرادة الله تعالى مشيئته واختياره ، وعلى أن إرادته الشيء كراهة لعدمه ، كما قالوا إن أمره بالشيء نهى عن تركه . وقالوا أيضا إن إرادته نافذة فى جميع مراداته على حسب علمه بها . فما علم كونه فى الوقت الذى علم أنه يكون فيه وما علم أنه لا يكون أراد ألا يكون . وقالوا إنه لا يحدث فى العالم شيء إلا بإرادته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وزعمت القدرية البصرية : أن الله تعالى قد شاء ما لم يكن . وقد كان ما لم يشأ . وهذا القول يؤدى إلى أن يكون مقهورا مكرهاً على حدوث ما كره حدوثه تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

وأجمع أهل السنة على أن حياة الإله سبحانه بلا روح ولا اغتذاء وأن الأرواح كلها مخلوقة على خلاف قول النصارى فى دعواها قدم أب ، وابن ، وروح . وأجمعوا على أن الحياة شرط فى العلم والقدرة ، والإرادة ، والرؤية . والسمع وأن من ليس بحى لا يصح أن يكون عالما ، قادرا ، مريدا ، سامعا مبصرا . هذا خلاف قول الصالحى وأتباعه من القدرية فى دعواهم جواز وجود العلم ، والقدرة ، والرؤية ، والإرادة فى الميت .

---

(١) حاولوا أن يتصرفوا على الله بقياس عقولهم وحواسهم وفكرهم فوقعوا فى الكفر الصراح ولو نظروا فى أنفسهم وفيما حولهم لعرفوا الله ولكن ماقدروا الله حق قدره عافانا الله من قياس الفلاسفة وجهلة المتكلمين .

وأجمعوا على أن كلام الله عز وجل صفة له أزلية وأنه غير مخلوق ، ولا محدث ، ولا حادث على خلاف قول القدرية فى دعواهم أن الله تعالى خلق كلامه فى جسم من الأجسام وخلاف قول الكرامية فى دعواهم أن أقواله حادثة فى ذاته وخلاف قول أبى الهذيل : إن قوله للشىء كن لا فى محل وسائر كلامه محدث فى أجسام . وقلنا لا يجوز حدوث كلامه فيه لأنه ليس بمحل للحوادث ولا فى غيره لأنه يوجب أن يكون غيره به متكلماً آمراً ناهيا ولا فى غير محل لأن الصفة لا تقوم بنفسها فبطل حدوث كلامه وصح أن صفته له أزلية .

٥ - وقالوا فى الركن الخامس وهو الكلام فى أسماء الله تعالى وأوصافه : إن مأخذ أسماء الله تعالى التوقيف عليها إما بالقرآن، وإما بالسنة الصحيحة وإما بإجماع الأمة عليه . ولا يجوز إطلاق اسم عليه من طريق القياس . وهذا خلاف قول المعتزلة البصرية فى إجازتها إطلاق الأسماء عليه بالقياس . وقد أفرط الجبائى فى هذا الباب حتى سمى الله مطيعاً لعبده إذا أعطاه مراده . وسماه محبلا للنساء إذا خلق فيهن الحبل وضللته الأمة فى هذه الجسارة التى تورثه الخسارة .

فقال أهل السنة : قد جاءت السنة الصحيحة بأن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً وأن من أحصاها دخل الجنة[1] ولم يرد بإحصائها ذكر عددها والعبارة عنها فإن الكافر قد يذكرها حاكياً لها ولا يكون من أهل الجنة . وإنما أراد بإحصائها العلم بها واعتقاد معانيها من قولهم فلان ذو حصاة وإحصاء إذا كان ذا علم وعقل : وقالوا : إن أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام قسم منها . يدل على ذاته كالواحد ، والغنى ، والأول ، والآخر ، والجليل ، والجميل وسائر ما استحقه من الأوصاف لنفسه . وقسم منها : يفيد صفاته الأزلية القائمة بذاته ، كالحى ، والقادر ، والعالم ، والمريد ، والسميع ، والبصير وسائر الأوصاف المشتقة من صفاته القائمة بذاته . وهذا القسم من أسمائه مع القسم الذى قبله لم يزل الله تعالى بهما موصوفاً . وكلاهما من أوصافه الأزلية . وقسم منها : مشتق من أفعاله ، كالخالق، والرازق والعادل ونحو ذلك .

وكل اسم اشتق من فعله لم يكن موصوفاً به قبل وجود أفعاله[2] . وقد يكون من أسمائه

---

(١) روى أبو داود : أن لله تسعة وتسعين إسماً مائة إلا واحداً إن الله وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة .

(٢) هذا تعبير غير لائق به سبحانه قال فى العقيدة الطحاوية : هو خالق قبل أن يخلق الخلق ولم يكتسب إسماً بفعل ولم يكن محلا للحوادث بحدوث الأفعال ، فهو لا أول له بأسمائه الحسنى وصفاته العليا .

ما يحتمل معنيين . أحدهما : صفة أزلية ، والآخر : فعل له . كالحكيم إن أخذناه من الحكمة التي هي العلم كان من أسمائه الأزلية . وإن أخذناه من إحكام أفعاله وإتقانها كان مشتقاً من فعله ولم يكن من أوصافه الأزلية [1].

٦ - وقالوا في الركن السادس وهو الكلام في عدل الإله سبحانه وحكمته : إن الله سبحانه خالق الأجسام . والأعراض خيرها وشرها ، وأنه خالق أكساب العباد ولا خالق غير الله .

وهذا خلاف قول من زعم من القدرية : أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من أكساب العباد . وخلاف قول الجهمية : إن العباد غير مكتسبين ولا قادرين على أكسابهم . فمن زعم أن العباد خالقون لأكسابهم فهو قدري مشرك بربه لدعواه أن العباد يخلقون مثل خلق الله من الأعراض التي هي الحركات ، والسكون في العلوم ، والإرادات . والأقوال ، والأصوات وقد قال الله عز وجل في ذم أصحاب هذا القول : « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار [2] » ومن زعم أن العبد لا استطاعة له على الكسب وليس هو بفاعل ولا مكتسب فهو جبري والعدل خارج عن الجبر والقدر . ومن قال إن العبد مكتسب لعمله والله سبحانه خالق لكسبه فهو سني عدلي منزه عن الجبر والقدر .

وأجمع أهل السنة : على إبطال قول أصحاب التولد في دعواهم أن الإنسان قد يفعل في نفسه شيئاً يتولد منه فعله في غيره ، وهذا خلاف قول أكثر القدرية بأن الإنسان قد يفعل في غيره أفعالا تتولد عن أسباب يفعلها في نفسه ، وخلاف قول من زعم من القدرية أن المتولدات أفعال لا فاعل لها كما ذهب إليه ثمامة .

وأجمعوا على أن الإنسان يصح منه اكتساب الحركة ، والسكون ، والإرادة ، والقول والعلم ، والفكر وما يجري مجرى هذه الأعراض التي ذكرناها . وعلى أنه لا يصح منه اكتساب الألوان ، والطعوم ، والروائح والإدراكات على خلاف قول بشر بن المعتمر واتباعه من المعتزلة في دعواهم أن الإنسان قد يفعل الألوان والطعوم والروائح على سبيل التولد . وزعموا أيضا أنه يصح منه فعل الرؤية في العين وفعل إدراك المسموع في محل

---

(١) انظر « لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات » للإمام .

(٢) الآية ١٦ من سورة الرعد .

السمع وأفحش من هذا قول معمر القدرى: بأن الله تعالى لم يخلق شيئاً من الأعراض، وأن الأعراض كلها من أفعال الأجسام وكفاه بهذه الضلالة خزيا.

وقال أهل السنة. إن الهداية من الله تعالى على وجهين: أحدهما: من جهة إبانة الحق والدعاء إليه ونصب الأدلة عليه وعلى هذا الوجه يصح إضافة الهداية إلى الرسل وإلى كل داع إلى دين الله عز وجل لأنهم يرشدون أهل التكليف إلى الله تعالى. وهذا تأويل قول الله عز وجل فى رسوله صلى الله عليه وسلم: «وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم [١]» أى تدعو إليه. والوجه الثانى: من جهة أن هداية الله سبحانه لعباده خلق الاهتداء فى قلوبهم كما ذكره فى قوله: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً [٢]» وهذا النوع من الهداية لا يقدر عليه إلا الله تعالى. والهداية الأولى من الله تعالى شاملة لجميع المكلفين. والهداية الثانية من خاصة المهتدين، وفى تحقيق ذلك نزل قول الله تعالى: «والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم [٣]» والإضلال من الله تعالى عند أهل السنة على معنى خلق الضلال فى قلوب أهل الضلال كقوله «ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا» وقالوا: من أضله الله فبعدله، ومن هداه فبفضله. وهذا خلاف قول القدرية فى دعواها أن الهداية من الله تعالى على معنى الإرشاد والدعاء إلى الحق وليس إليه من هداية القلوب شىء. وزعموا أن الإضلال منه على وجهين. أحدهما: التسمية بأن يسمى الضلال ضلالا. والثانى: على معنى جزاء أهل الضلال على ضلالاتهم. ولو صح ما قالوا لوجب أن يقال: إنه أضل الكافرين لأنه سماهم ضالين. ولوجب أن يقال: إن إبليس أضل الأنبياء المؤمنين لأنه سماهم ضالين ولزمهم أن يكون من أقام الحدود على الزناة. والسارقين، والمرتدين مضلا لهم. لأنه قد جازاهم على ضلالاتهم. وهذا فاسد فما يؤدى إليه مثله.

وقال أهل السنة فى الآجال: إن كل من مات حتف أنفه أو قتل فإنما مات بأجله الذى جعله الله أجلا لعمره. والله تعالى قادر على إبقائه والزيادة فى عمره. لكنه متى لم يبقه إلى مدة لم تكن المدة التى لم يبقه إليها أجلا له وهذا كما أن المرأة التى لم يتزوجها قبل موته لم تكن امرأة له وإن كان الله سبحانه قادرا على أن يزوجها من قبل موته. وهذا

(١) الآية ٥٢ من سورة الشورى. (٢) الآية ١٢٥ من سورة الأنعام.
(٣) الآية ٢٥ من سورة يونس.

خلاف قول من زعم من القدرية أن المقتول مقطوع عليه أجله وخلاف قول من زعم منهم أن المقتول ليس بميت وجحد فائدة قول الله تعالى : «كل نفس ذائقة الموت» (١) وهذه بدعة ذهب إليها الكعبي وكفى بها خزيا .

وقال أهل السنة فى الأرزاق : بما هى عليه الآن وإن كل من أكل شيئاً أو شربه فإنما تناول رزقه حلالا كان أو حراما على خلاف قول من زعم من القدرية أن الإنسان قد يأكل رزق غيره .

• قالوا فى ابتداء التكليف : إن الله تعالى لو لم يكلف عباده شيئا كان عدلا منه وهذا خلاف قول من زعم من القدرية أنه لو لم يكلفهم لم يكن حكيما . وقالوا : لو زاد فى تكليف العباد على ما كلفهم أو نقص بعض ما كلفهم كان جائزا على خلاف قول من أبى ذلك من القدرية وكذلك لو لم يخلق الخلق لم يلزمه بذلك خروج عن الحكمة وكان السابق حينئذ فى علمه أنه لا يخلق .

وقالوا : لو خلق الله تعالى الجمادات دون الأحياء جاز ذلك منه على خلاف قول من قال من القدرية إنه لو لم يخلق الأحياء لم يكن حكيما . وقالوا : لو خلق الله تعالى عباده كلهم فى الجنة لكان ذلك فضلا منه على خلاف قول من زعم من القدرية انه لو فعل ذلك لم يكن حكيما . وهذا حجر منهم على الله سبحانه ونحن لا نرى الحجر عليه بل نقول : له الأمر والنهى وله القضاء يفعل مايشاء ويحكم ما يريد .

٧ — وقالوا فى الركن السابع المفروض فى النبوة والرسالة : إثبات الرسل من الله تعالى إلى خلقه على خلاف قول البراهمة المنكرين لهم مع قولهم بتوحيد الصانع .

وقالوا فى الفرق بين الرسول والنبى : إن كل من نزل عليه الوحى من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيداً بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبى ومن حصلت له هذه الصفة وخص أيضا بشرع جديد أو بفسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول . وقالوا : إن الأنبياء كثير ، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر . وأول الرسل أبو جميع البشر وهو آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف قول المجوس فى دعواهم أبو جميع البشر كيومرت (٢) الملقب بكلشاه (٣) . وخلاف قولهم

---

(١) الآية ١٨٥ من سورة آل عمران، ٣٥ من سورة الأنبياء، ٥٧ من سورة العنكبوت .

(٢) هو اسم آدم عليه السلام فالاختلاف لفظى على هذا التفسير .

(٣) ومعناه : ملك الطين . أى ملك الأرض .

إن آخر الرسل زرادشت . وخلاف قول من زعم من الخرمية أن الرسل تترى لا آخر لهم وقالوا بنبوة موسى فى زمانه . خلاف قول منكريه من البراهمة، والمانوية الذين أنكروه مع إقرار المانوية بعيسى عليه السلام وقالوا بنبوة عيسى عليه السلام على خلاف منكريه من اليهود والبراهمة ، وأنكروا قتل عيسى وأثبتوا رفعه إلى السماء . وقالوا : إنه ينزل إلى الأرض بعد خروج الدجال فيقتل الدجال ويقتل الخنزير ويريق الخمور ويستقبل فى صلاته الكعبة ، ويؤيد شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحيى ما أحياه القرآن ويميت ما أماته القرآن .

وقالوا : بتكفير كل متنبىء سواء كان قبل الإسلام كزرادشت ، ويوراسف ، ومانى ، وديصان ، ومرقيون ، ومزدك أو بعده كمسيلمة ، وسجاح ، والأسود بن يزيد العنسى وسائر من كان بعدهم من المتنبئين : وقالوا : بتكفير من ادعى للأنبياء الإلهية ، أو ادعى للأئمة بنبوة أو إلهية كالسبئية ، والبيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والخطابية ومن جرى مجراهم .

وقالوا : بتفضيل الأنبياء على الملائكة على خلاف قول الحسين بن الفضل مع أكثر القدرية بتفضيل الملائكة على الأنبياء ، وقالوا بتفضيل الأنبياء على الأولياء من أمم الأنبياء على خلاف قول من زعم أن فى الأولياء من هو أفضل من الأنبياء . وقالوا بعصمة الأنبياء عن الذنوب وتأولوا ما روى عنهم من زلاتهم على أنها كانت قبل النبوة على خلاف قول من أجاز عليهم الصغائر ، وخلاف قول الهشامية من الروافض الذين أجازوا عليهم الذنوب مع قولهم بعصمة الإمام من الذنوب .

٨- وقالوا فى الركن الثامن : المضاف إلى المعجزات والكرامات : إن المعجزة أمر يظهر بخلاف العادة على يدى مدعى النبوة مع تحديه قومه بها ومع عجز قومه عن معارضته بمثلها على وجه يدل على صدقه فى زمان التكليف ، وقالوا : لابد للنبى من معجزة واحدة تدل على صدقه فإذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه وعجزوا عن معارضته بمثلها فقد لزمتهم الحجة فى وجوب تصديقه ووجوب طاعته فإن طالبوه بمعجزة سواها فالأمر إلى الله عز وجل إن شاء أيده بها وان شاء عاقب المطالبين له بها لتركهم الإيمان بمن قد ظهرت دلالة صدقه . وهذا خلاف قول من زعم من القدرية أن النبى عليه السلام لا يحتاج إلى معجزة أكثر من استقامة شريعته كما ذهب إليه ثمامة .

وقالوا : الصادق فى دعوى النبوة يجوز ظهور معجزة التصديق عليه ولا يجوز ظهور

معجزة التصديق على المتنبي فى دعوى النبوة ويجوز أن يظهر عليه معجزة تدل على كذبه كنطق شجرة ، أو عضو من أعضائه بتكذيبه .

وقالوا : يجوز ظهور الكرامات على الأولياء وجعلوها دلالة على الصدق فى أحوالهم كما كانت معجزات الأنبياء دلالة عن صدقهم فى دعاويهم . وقالوا : على صاحب المعجزة إظهارها والتحدى بها وصاحب الكرامات لا يتحدى بها غيره وربما كتمها . وصاحب المعجزة مأمون العاقبة ، وصاحب الكرامة لا يأمن تغير عاقبته كما تغيرت عاقبة بلعم بن باعورا بعد ظهور كراماته . وأنكرت القدرية كرامات الأولياء لأنهم لم يجدوا من فرقهم ذا كرامة

وقالوا : بإعجاز القرآن فى نظمه على خلاف قول من زعم من القدرية أن لا إعجاز فى نظم القرآن كما ذهب إليه النظام : وقالوا فى معجزات محمد صلى الله عليه وسلم بانشقاق القمر ، وتسبيح الحصاف يده ونبوع الماء من بين أصابعه وإشباعه الخلق الكثير من الطعام اليسير ونحو ذلك كثير وقد خالف النظام وأتباعه من القدرية ذلك .

٩ - وقالوا فى الركن التاسع: المضاف إلى أركان شريعة الإسلام : إن الإسلام مبنى على خمسة أركان : شهادة أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام . وقالوا من أسقط وجوب ركن من هذه الأركان الخمسة أو تأولها على معنى موالاة قوم كما تأولت عليها المنصورية والجناحية من غلاة الرافضة فهو كافر .

وقالوا : فى الصلوات المفروضة إنها خمس ، وأكفروا من أسقط وجوب بعضها . وكان مسيلمة الكذاب قد أسقط وجوب صلاتى الصبح والمغرب وجعل سقوطها مهراً لامرأته سجاح المتنبئة فكفر وألحد . وقالوا بوجوب عقد صلاة الجمعة ، وأكفروا من الخوارج والروافض من قال لا جمعة اليوم حتى يظهر إمامهم الذى ينتظرونه وقالوا : بوجوب زكاة الأعيان فى الذهب والورق ، والإبل ، والبقر ، والغنم إذا كانت هذه الأصناف الثلاثة من النعم سائمة ، وأوجبوها فى الحبوب المقتاتة التى يزرعها الناس ويتخذون منها قوتاً ، وأوجبوها فى ثمار النخيل والأعناب . فمن قال لا زكاة فى هذه الأشياء التى ذكرناها كفر . ومن أثبت زكاتها فى الجملة وكان خلافه فى نصبها على ما اختلف فيه فقهاء الأمة لم يكفر . وقالوا : بوجوب صوم رمضان وحرموا الفطر فيه إلا بعذر : صغر ، أو جنون ، أو مرض ، أو سفر أو نحو ذلك من الأعذار . وقالوا : باعتبار شهر الصيام من رؤية هلال رمضان أو بكمال شعبان ثلاثين يوماً ولم يفطروا فى آخره إلا برؤية هلال

شوال أو بكان أيام رمضان بثلاثين يوما . وضللوا من صام من الروافض قبل الهلال بيوم وأفطر قبل الفطر بيوم . وقالوا : بوجوب الحج فى العمر مرة واحدة على من استطاع إليه سبيلا . وأكفروا من أسقط وجوبها من الباطنية . ولم يكفروا من أسقط وجوب العمرة لاختلاف الأمة فى وجوبها وقالوا : من شرط صحة الصلوات الطهارة ، وستر العورة ، ودخول الوقت ، واستقبال القبلة على حسب الإمكان ، ومن أسقط اعتبار هذه الشروط أو اعتبار شىء منها مع الإمكان كفر .

وقالوا بوجوب الجهاد مع الأعداء للإسلام حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية منهم من يجوز قبول الجزية منه . وقالوا : بجواز البيع وتحريم الربا وضللوا من أباح الربا بالجملة . وقالوا : بأن الفروج لا تستباح إلا بنكاح صحيح أو ملك يمين ، وأكفروا المبيضة ، والمحمرة ، والخرمية ، الذين أباحوا الزنى . وأكفروا أيضا من تأول المحرمات على قوم زعم أن موالاتهم حرام ، وقالوا بوجوب إقامة حد الزنى ، والسرقة ، والخمر ، والقذف . وأكفروا من أسقط حد الخمر ، والرجم من الخوارج . وقالوا : أصول أحكام الشريعة الكتاب والسنة ، وإجماع السلف ، وأكفروا من لم ير إجماع الصحابة حجة ، وأكفروا الخوارج فى ردهم حجج الإجماع والسنن ، وأكفروا من قال من الروافض لا حجة فى شىء من ذلك ، وإنما الحجة فى قول الإمام الذى ينتظرونه وهؤلاء اليوم حيارى فى التيه وكفاهم بذلك خزيا .

١٠ وقالوا فى الركن العاشر : المضاف إلى الأمر والنهى : أن أفعال المكلفين خمسة أقسام : واجب ، ومحظور ، ومسنون ، ومكروه ، ومباح .

فالواجب : ما أمر الله تعالى به على وجه اللزوم وتاركه مستحق للعقاب على تركه . والمحظور : ما نهى الله عنه وفاعله يستحق العقاب على فعله . والمسنون : ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه . والمكروه : ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله . والمباح : ما ليس فى فعله ثواب ولا عقاب ولا فى تركه ثواب ولا عقاب . وهذا كله فى أفعال المكلفين .

فأما أفعال البهائم ، والمجانين ، والأطفال فإنها لا توصف بالإباحة والوجوب والحظر بحال . وقالوا : إن كل ما وجب على المكلف من معرفة ، أو قول أو فعل فإنما وجب عليه بأمر الله تعالى إياه به . وكل ما حرم عليه فعله فبنهى الله تعالى إياه عنه ولو لم يرد الأمر والنهى من الله تعالى على عباده لم يجب عليهم شىء ولم يحرم عليهم شىء . وهذا بخلاف قول من زعم من البراهمة والقدرية أن التكليف يتوجه على العاقل بخاطرين يخطران بقلبه .

أحدهما : من قبل الله سبحانه يدعوه به إلى النظر والاستدلال .

والآخر : من قبل الشيطان يدعوه به إلى العصيان وينهاه به عن طاعة الخاطر الأول . وهذا يوجب عليهم أن يكون ذلك الشيطان مكلفاً بخاطرين . أحدهما من قبل الله تعالى والآخر : من قبل شيطان آخر . ثم يكون القول فى الشيطان الآخر كالقول فى الأول حتى يتسلسل ذلك بشياطين لا إلى نهاية وهذا محال وما يؤدي إلى المحال محال .

١١ وقالوا فى الركن الحادى عشر : المضاف إلى فناء العباد وأحكامهم فى المعاد : أن الله سبحانه قادر على إفناء جميع العالم جملة وعلى إفناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها على خلاف قول من زعم من القدرية البصرية إنه يقدر على إفناء كل الأجسام بفناء يخلقه لا فى محل ، ولا يقدر على إفناء بعض الأجسام مع بقاء بعضها وقالوا : إن الله عز وجل يعيد فى الآخرة الناس وسائر الحيوانات التى ماتت فى الدنيا . وهذا خلاف قول من زعم أنه إنما يعيد الناس دون الأحياء الباقين . وقالوا : بخلق الجنة والنار خلاف قول من زعم أنهما غير مخلوقتين . وقالوا : بدوام نعيم الجنة على أهلها ، ودوام عذاب النار على المشركين والمنافقين خلاف قول من زعم أنهما يفنيان كما زعم جهم . وخلاف قول أبى الهذيل القدرى بفناء مقدورات الله تعالى فيهما وفى غيرهما . وقالوا : بأن الخلود فى النار لا يكون إلا للكفرة على خلاف قول القدرية والخوارج بتخليد كل من دخل النار فيها . وقالوا : بأن القدرية والخوارج يخلدون فى النار ولا يخرجون منها وكيف يغفر الله تعالى لمن يقول ليس لله أن يغفر ويخرج من النار من دخلها وقالوا : بإثبات السؤال فى القبر ، وبعذاب القبر لأهل العذاب ، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب القبر يعذبون فى القبر . وقالوا : بالحوض والصراط ، والميزان ومن أنكر ذلك حرم الشرب من الحوض ودحضت قدمه من الصراط إلى نار جهنم . وقالوا : بإثبات الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن صلحاء أمته للمذنبين من المسلمين ولمن كان فى قلبه ذرة من الإيمان . والمنكرون للشفاعة يحرمون الشفاعة .

١٢ وقالوا فى الركن الثانى عشر : المضاف إلى الخلافة والإمامة أن الإمامة فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام ، ينصب لهم القضاة والأمناء ، ويضبط ثغورهم ، ويغزى جيوشهم ، ويقسم الفىء بينهم ، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم .

وقالوا : إن طريق عقد الإمامة للإمام فى هذه الأمة الاختيار بالاجتهاد . وقالوا ليس من النبى صلى الله عليه وسلم نص على إمامة واحد بعينه على خلاف قول من زعم من

الرافضة أنه نص على إمامة على رضى الله عنه نصاً مقطوعاً بصحته : ولو كان كما قالوه لنقل ذلك نقل مثله ، ولا ينفصل من ادعى ذلك فى على مع عدم التواتر فى نقله ممن ادعى مثله فى أبى بكر أو غيره مع عدم النقل فيه .

وقالوا : من شرط الإمامة النسب من قريش وهم : بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . على خلاف قول من زعم من الضرارية أن الإمامة تصلح فى جميع أصناف العرب وفى الموالى والعجم وخلاف قول الخوارج بإمامة زعمائهم الذين كانوا من ربيعة وغيرهم . كنافع بن الأزرق الحنفى ، ونجدة بن عامر الحنفى ، وعبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير البجلى ، وشبيب بن يزيد الشيبانى وأمثالهم عناداً منهم لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الأئمة من قريش » .

وقالوا : من شرط الإمامة ، العلم ، والعدالة ، والسياسة ، وأوجبوا من العلم له مقدار ما يصير به من أهل الاجتهاد فى الأحكام الشرعية ، وأوجبوا من عدالته أن يكون ممن يجوز حكم الحاكم بشهادته ، وذلك بأن يكون عدلا فى دينه ، مصلحاً لماله وحاله ، غير مرتكب لكبيرة ، ولا مصر على صغيرة ، ولا تارك للمروءة فى جل أسبابه . وليس من شرطه العصمة من الذنوب كلها خلاف قول من زعم من الإمامية أن الإمام يكون معصوماً من الذنوب كلها . وقد أجازوا له فى حال التقية أن يقول : لست بإمام وهو إمام وقد أباحوا له الكذب فى هذا مع قولهم بعصمته من الكذب

وقالوا : إن الإمامة تنعقد بمن يعقدها لمن يصلح للإمامة إذا كان العاقد من أهل الاجتهاد والعدالة .

وقالوا : لا تصح الإمامة إلا لواحد فى جميع أرض الإسلام إلا أن يكون بين الصقعين حاجز من بحر ، أو عدو لا يطاق ولم يقدر أهل كل واحد من الصقعين على نصرة أهل الصقع الآخر فحينئذ يجوز لأهل الصقع عقد الإمامة لواحد يصلح لها منهم .

وقالوا : بإمامة أبى بكر الصديق بعد النبى صلى الله عليه وسلم خلاف قول من أثبتها لعلى وحده من الرافضة ، وخلاف قول الراوندية الذين أثبتوا إمامة العباس بعده .

وقالوا : بتفضيل أبى بكر ، وعمر ، على من بعدهما وإنما اختلفوا فى التفاضل بين على وعثمان رضى الله عنهما . وقالوا : بموالاة عثمان وتبرءوا ممن أكفره وقالوا بإمامة على فى وقته . وقالوا بتصويب على فى حروبه بالبصرة ، وبصفين ، وبنهروان وقالوا : بأن طلحة والزبير تابا ورجعا عن قتال على لكن الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع بعد

منصرفه من الحرب ، وطلحة لما هم بالانصراف رماه مروان بن الحكم وكان مع أصحاب الجمل بسهم وقتله .

وقالوا : إن عائشة رضي الله عنها قصدت الإصلاح بين الفريقين فغلبها بنو ضبة والأزد على رأيها وقاتلوا علياً دون إذنها حتى كان من الأمر ما كان .

وقالوا : في صفين أن الصواب كان مع على رضى الله عنه وإن معاوية وأصحابه بغوا عليه بتأويل أخطئوا فيه ولم يكفروا بخطأهم . وقالوا إن علياً أصاب في التحكيم غير أن الحكمين أخطئا في خلع على من غير سبب أوجب خلعه وخدع أحد الحكمين الآخر .

وقالوا : بمروق أهل النهروان عن الدين لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماهم مارقين لأنهم أكفروا علياً ، وعثمان ، وعائشة ، وابن عباس ، وطلحة ، والزبير وسائر من تبع علياً بعد التحكيم .

وأكفروا كل ذي ذنب من المسلمين ، ومن أكفر المسلمين وأكفر أخيار الصحابة فهو الكافر دونهم .

١٣ وقالوا في الركن الثالث عشر: المضاف إلى الإيمان والإسلام : إن أصل الإيمان المعرفة والتصديق بالقلب وإنما اختلفوا في تسمية الإقرار وطاعات الأعضاء الظاهرة إيماناً مع اتفاقهم على وجوب جميع الطاعات المفروضة ، وعلى استحباب النوافل المشروعة خلاف قول الكرامية الذين زعموا أن الإيمان هو الإقرار الفرد سواء كان معه إخلاص أو نفاق ، وخلاف قول من زعم من القدرية والخوارج أن اسم المؤمن يزول عن مرتكبي الذنوب .

وقالوا : إن اسم الإيمان لا يزول بذنب دون الكفر . ومن كان ذنبه دون الكفر فهو مؤمن وإن فسق بمعصيته .

وقالوا : لا يحل قتل امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : من ردة أو زنى بعد إحصان ، أو قصاص بمقتول هو كفؤه . وهذا خلاف قول الخوارج في إباحة قتل كل عاص لله تعالى .

ولو كان المذنبون كلهم كفرة لكانوا مرتدين عن الإسلام . ولو كانوا كذلك لكان الواجب قتلهم دون إقامة الحدود عليهم . ولم يكن لوجوب قطع يد السارق ، وجلد القاذف ورجم الزاني المحصن فائدة لأن المرتد ليس له حد إلا القتل .

١٤ وقالوا في الركن الرابع عشر : المضاف إلى الأولياء والأئمة : أن الملائكة معصومون عن الذنوب لقول الله تعالى فيهم : « لا يعصون الله

ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (١) » .

وقال أكثرهم بفضل الأنبياء على الملائكة خلاف قول من فضل الملائكة على الأنبياء والتزم من أجل ذلك فضل الزبانية على أولى العزم من الرسل .

وقالوا : بفضل الأنبياء على الأولياء من الأمم خلاف قول من فضل بعض الأولياء على بعض الأنبياء من الكرامية . واختلف أهل السنة فى إمامة المفضول فأباها شيخنا أبو الحسن الأشعرى وأجازها القلانسى .

وقالوا : بموالاة العشرة من أصحاب النبى عليه السلام ، وقطعوا بأنهم من أهل الجنة وهم الخلفاء الأربعة ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وقالوا بموالاة كل من شهد بدرا مع النبى عليه السلام وقطعوا بأنهم من أهل الجنة ، وكذلك القول فيمن شهد معه أحدا إلا رجلا اسمه قزمان (٢) فإنه قتل بأحد جماعة من المشركين وقتل نفسه . وكان ينسب إلى النفاق وكذلك كل من شهد بيعة الرضوان بالحديبية من أهل الجنة .

وقالوا : قد صح الخبر بأن سبعين ألفاً من هذه الأمة يدخلون الجنة بلا حساب . وأن كل واحد منهم يشفع فى سبعين ألفاً وقد دخل فى هذه الجملة عكاشة بن محصن . وقالوا أيضاً بموالاة كل من مات على دين الإسلام ولم يكن قبل موته على بدعة من ضلالات أهل الأهواء الضالة

١٥ وقالوا فى الركن الخامس عشر : المضاف إلى أحكام أعداء الدين أن أعداء دين الإسلام صنفان : صنف كانوا قبل ظهور دولة الإسلام ، وصنف ظهروا فى دولة الإسلام وتستروا بالإسلام فى الظاهر وكادوا المسلمين وابتغوا ثلمهم. فالذين كانوا قبل الإسلام أصناف تختلف فيهم الأوصاف منهم : عبدة الأصنام والأوثان ومنهم : عبدة إنسان مخصوص كالذين عبدوا جمشيد (٣) ، والذين عبدوا نمروذ بن كنعان (٤) والذين عبدوا فرعون ومن جرى مجراهم . ومنهم : الذين عبدوا كل ما استحسنوا من الصور

(١) الآية ٦ من سورة التحريم .
(٢) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» .
(٣) هو المعروف بين العرب باسم متوشلخ ـ رابع سلاطين البيشدادنية .
(٤) هو ملك الآراميين الذى آذى إبراهيم عليه السلام .

على مذاهب الحلولية فى دعواها حلول روح الإله بزعمهم فى الصور الحسنة ومنهم : الذين عبدوا الشمس أو القمر ، أو الكواكب جملة أو بعض الكواكب خصوصاً . ومنهم الذين عبدوا الملائكة وسموها بنات الله . وفيهم نزل قول الله تعالى : « إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى »(١) ، ومنهم : من عبد شيطانا مريدا . ومنهم قوم عبدوا البقر . ومنهم : الذين عبدوا النيران . وحكم جميع عبدة الأصنام ، والناس ، والملائكة ، والنجوم ، والنيران تحريم ذبائحهم ، ونكاح نسائهم على المسلمين واختلفوا فى قبول الجزية منهم . فقال الشافعى : لا تقبل منهم الجزية ، وإنما يجوز قبولها من أهل الكتاب أو ممن له شبهة كتاب . وقال مالك ، وأبو حنيفة : بجواز قبولها منهم . غير أن مالكا استثنى القرشى منهم . واستثنى أبو حنيفة العربى منهم .

ومن أصناف الكفرة قبل الاسلام السوفسطائية المنكرة للحقائق ، ومنهم السمنية القائلون بقدم العالم مع إنكارهم للنظر والاستدلال ودعواهم أنه لا يعلم شىء إلا من طريق الحواس الخمس . ومنهم : الدهرية القائلون بقدم العالم . ومنهم : القائلون بقدم هيولى العالم مع إقرارهم بحدوث الأعراض منها . ومنهم : الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم وأنكروا الصانع ، وبه قال منهم : فيثاغورس ، وبارذينوس . ومنهم : الفلاسفة الذين أقروا بصانع قديم ولكنهم زعموا أن صنعه قديم معه . وقالوا : بقدم الصانع والمصنوع كما ذهب إليه ابرقليس . ومنهم : الفلاسفة الذين قالوا بقدم الطبائع الأربع والعناصر الأربعة التى هى الأرض ، والماء ، والنار ، والهواء ومنهم الذين قالوا : بقدم هذه الأربعة وقدم الأفلاك والكواكب معها وزعم أن للفلك طبيعة خامسة وإنها لا تقبل الكون والفساد لا فى الجملة ولا فى التفصيل .

وقد أجمع المسلمون على أن هؤلاء الأصنـــاف الذين ذكرناهم لا يحل للمسلمين أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم واختلفوا فى قبول الجزية منهم فمن قبلها من أهل الأوثان قبلها منهم ومن لم يقبلها من أهل الأوثان لم يقبلها منهم . وبه قال الشافعى وأصحابه . وقالوا فى المجوس انهم أربع فرق : زروانية . ومسخية ، وخرمدينية ، والهآفريدية . وذبائح جميعهم حرام وكذلك نكاح نسائهم حرام . وقد أجمع الشافعى ، ومالك ، وأبو حنيفة والأوزاعى والثورى على جواز قبول الجزية من الزروانية ، والمسخية منهم . وإنما اختلفوا فى مقدار

(١) الآية ٢٧ من سورة النجم .

دياتهم فقال الشافعى : دية المجوسى خمس دية اليهودى والنصرانى ، ودية اليهودى والنصرانى ثلث دية المسلم فدية المجوسى إذاً خمس دية المسلم . وقال أبو حنيفة : دية المجوسى ، واليهودى والنصرانى كدية المسلم .

وأما المزدكية من المجوس فلا يجوز قبول الجزية منهم لأنهم فارقوا دين المجوس الأصلى باستباحة المحرمات كلها وبقولهم : إن الناس كلهم شركاء فى الأموال والنساء ، وسائر اللذات وكذلك البهآفريدية لا يجوز قبول الجزية منهم وإن كانوا أحسن قولا من المجوس الأصلية لأن دينهم ظهر من زعيمهم به آفريد فى دولة الإسلام وكل كفر ظهر بعد دولة الإسلام فلا يجوز أخذ الجزية من أهله . واختلف الفقهاء فى الصابئين من الكفرة . فقال أكثرهم إن حكمهم فى الذبيحة ، والنكاح والجزية كحكم النصارى فى جواز ذلك كله . ومنهم من قال إن من قال من الصابئين بقدم الهيولى فحكمه كحكم أصحاب الهيولى كما ذكرناه قبل هذا ومن قال منهم بحدوث العالم وكان الخلاف معه فى صفات الصانع فحكمه حكم النصارى وبه نقول . وأجمع أصحاب الشافعى على أن البراهمة الذين ينكرون جميع الأنبياء والرسل لا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وإن وافقوا المسلمين فى حدوث العالم وتوحيد صانعه . والخلاف فى قبول الجزية منهم كالخلاف فى قبولها من أهل الأوثان .

وأجمع فقهاء الإسلام على استباحة ذبائح اليهود ، والسامرة ، والنصارى وعلى جواز نكاح نسائهم ، وعلى جواز قبول الجزية منهم . وإنما اختلفوا فى مقدار الجزية . فقال الشافعى : إن بذل كل حالم منهم دينارا واحدا حقن دمه . وقال أبو حنيفة : على الموسر منهم ثمانية وأربعون درهما ، وعلى المتوسط أربعة وعشرون ، وعلى الفقير اثنا عشر . واختلفوا فى حدودهم . فقال الشافعى : إنها كحدود المسلمين ويرجم الزانى منهم إذا كان محصناً . وقال أبو حنيفة : لا رجم عليهم . واختلفوا فى دياتهم . فقال الشافعى : دية الرجل منهم ثلث دية المسلم . ودية المرأة منهم ثلث دية المسلمة . وقال مالك : دية الكتابى نصف دية المسلم . وقال أبو حنيفة كدية المسلم سواء . واختلفوا فى جريان القصاص بينهم . فقال الشافعى : لا يقتل مؤمن بكافر بحال . وقال أبو حنيفة : يقتل المسلم بالذمى ولا يقتل بالمستأمن .

واختلفوا أيضاً فى وجوب الجزية على الشيخ الفانى منهم . فأوجبها الشافعى ولم يوجبها أبو حنيفة إلا على من كان منهم ذا تدبير فى الحرب . واختلفوا فى الثنوية من المانوية ، والديصانية ، والمرقيونية الذين قالوا بقدم النور والظلمة وزعموا أن العالم

مركب منهما ، وأن الخير والنفع من النور ، وأن الشر والضرر من الظلام : فزعم بعض الفقهاء أن حكمهم كالمجوس وأباح أخذ الجزية منهم مع تحريم ذبائحهم ونسائهم . والصحيح عندنا أن حكمهم في النكاح ، والذبيحة ، والجزية كحكم عبدة الأصنام والأوثان . وقد بينا ذلك قبل هذا .

وأما الكفرة الذين ظهروا في دولة الإسلام ، واستتروا بظاهر الإسلام ، واغتالوا المسلمين في السر كالغلاة من الرافضة السبئية ، والبيانية ، والمغيرية ، والمنصورية ، والجناحية ، والخطابية ، وسائر الحلولية ، والباطنية ، والمقنعية المبيضة بماوراء نهر جيحون ، والمحمرة بأذربيجان ، ومحمرة طبرستان والذين قالوا بتناسخ الأرواح من أتباع ابن أبي العوجاء ومن قال : بقول أحمد بن خابط من المعتزلة . ومن قال : بقول اليزيدية من الخوارج الذين زعموا أن شريعة الإسلام تنسخ بشرع نبي من العجم . ومن قال بقول الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنين ، وبنات البنات ، ومن قال : بمذاهب العزافرة من أهل بغداد ، وقال : بقول الحلاجية الغلاة في مذهب الحلولية ، أو قال : بقول البابكية أو الرزامية المفرطة في أبي مسلم صاحب دولة بني العباس ، أو قال : بقول الكاملية الذين أكفروا الصحابة بتركها بيعة علي ، وأكفروا عليا بتركه قتالهم . فإن حكم هذه الطوائف التي ذكرناها حكم المرتدين عن الدين ولا تحل ذبائحهم ، ولا يحل نكاح المرأة منهم ولا يجوز تقريرهم في دار الإسلام بالجزية . بل يجب استتابتهم فإن تابوا وإلا وجب قتلهم واستغنام أموالهم واختلفوا في استرقاق نسائهم وذراريهم ، فأباح ذلك أبو حنيفة وطائفة من أصحاب الشافعي منهم : أبو إسحاق المروزي صاحب ابن سريج ومن أباح ذلك استدل بأن خالد بن الوليد لما قاتل بني حنيفة وفرغ من قتل مسيلمة الكذاب صالح بني حنيفة على الصفراء والبيضاء وعلى ربع السبي من النساء والذرية وأنفذهم إلى المدينة . وكان منهم خولة أم محمد بن الحنفية .

وأما أهل الأهواء من الجارودية ، والهشامية ، والنجارية ، والجهمية ، والإمامية ، الذين أكفروا خيار الصحابة والقدرية المعتزلة عن الحق ، والبكرية المنسوبة إلى بكر ابن أخت عبد الواحد ، والضرارية ، والمشبهة كلها والخوارج فإنا نكفرهم كما يكفرون أهل السنة ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم . واختلف أصحابنا في التوارث منهم . فقال بعضهم : ونرثهم ولا يرثونا وبناه على قول معاذ بن جبل « إن المسلم يرث من الكافر والكافر لا يرث من المسلم » والصحيح عندنا أن أموالهم فيء ولا توارث بينهم ،

وبين النبي . وقد روى أن شيخنا أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي لم يأخذ من ميراث أبيه شيئاً لأن أباه كان قدرياً .

وقد أشار الشافعي إلى بطلان صلاة من صلى خلف من يقول بخلق القرآن ونفي الرؤية وروى هشام بن عبيد الله الرازي ، عن محمد بن الحسن أنه قال فيمن صلى خلف من يقول بخلق القرآن : أنه يعيد الصلاة . وروى يحيى بن أكثم أن أبا يوسف سئل عن المعتزلة فقال: هم الزنادقة . وأشار الشافعي في كتاب « الشهادات » إلى جواز شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية الذين أجازوا شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم . وأشار في كتاب « القياس » إلى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وسائر أهل الأهواء . ورد مالك شهادة أهل الأهواء في رواية أشهب ، وابن القاسم ، والحارث بن مسكين عن مالك أنه قال في المعتزلة : زنادقة لا يستتابون بل يقتلون .

أما المعاملة معهم بالبيع والشراء فحكم ذلك عند أهل السنة كحكم عقود المفاوضة بين المسلمين الذين في أطراف الثغور وبين أهل الحرب وإن كان قتلهم مباحا . ولا يجوز أن يبيع المسلم منهم مصحفا ، ولا عبداً مسلما في الصحيح من مذهب الشافعي . واختلف أصحاب الشافعي في حكم القدرية المعتزلة عن الحق فمنهم من قال : حكمهم حكم المجوس لقول النبي عليه السلام في القدرية « أنهم مجوس هذه الأمة » . فعلى هذا القول يجوز أخذ الجزية منهم . ومنهم من قال : حكمهم حكم المرتدين . وعلى هـــذا لا تؤخذ منهم الجزية بل يستتابون فإن تابوا وإلا وجب على المسلمين قتلهم . وقد استقصينا بيان أحكام أهل الأهواء في كتاب « الملل والنحل » وذكرنا في هذا الكتاب طرفا من أحكامهم عند أهل السنة وفيه كفاية والله أعلم .

الفصل الرابع

من فصول هذا الباب :
قولنا في السلف الصالح من الأمة .

أجمع أهل السنة على إيمان المهاجرين والأنصار من الصحابة . هذا خلاف قول من زعم من الرافضة أن الصحابة كفرت بتركها بيعة علي وخلاف قول الكاملية في تكفير علي بتركه قتالهم .

وأجمع أهل السنة على أن الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من كندة وحنيفة وفزارة ، وبني أسد وبني بكر بن وائل لم يكونوا من الأنصار ولا من المهاجرين

قبل فتح مكة : وإنما أطلق الشرع اسم المهاجرين على من هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة . وأولئك بحمد الله ومنه درجوا على الدين القويم والصراط المستقيم .

وأجمع أهل السنة على أن من شهد مع رسول الله عليه السلام بدرا من أهل الجنة . وكذلك كل من شهد معه أحد غير قزمان الذى استثناه الخبر ، وكذلك كل من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية . وقالوا : بما ورد به الخبر بأن سبعين ألفا من أمة الإسلام يدخلون الجنة بلا حساب منهم : عكاشة بن محصن[1] وأن كل واحد منهم يشفع فى سبعين ألفا وقالوا : بموالاة أقوام وردت الأخبار بأنهم من أهل الجنة وأن لهم الشفاعة فى جماعة من الأمة منهم : أويس القرنى . والخبر فيهم مشهور وقالوا : بتكفير كل من أكفر واحدا من العشرة الذين شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة . وقالوا : بموالاة جميع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن . وقالوا : بموالاة الحسن والحسين والمشهورين من أسباط رسول الله عليه السلام كالحسن ابن الحسن ، وعبد الله بن الحسن ، وعلى بن الحسين زين العابدين ومحمد بن على بن الحسين المعروف بالباقر ، وهو الذى بلغه جابر بن عبد الله الأنصارى سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعفر بن محمد المعروف بالصادق ، وموسى بن جعفر ، وعلى بن موسى الرضا وكذلك قولهم فى سائر أولاد على من صلبه : كالعباس ، وعمر ، ومحمد ابن الحنفية وسائر من درج على سنن آبائه الطاهرين دون من مال منهم إلى الاعتزال أو الرفض ، ودون من انتسب إليهم وأسرف فى عدوانه وظلمه كالبرقعى[2] الذى عدا على أهل البصرة ظلما وعدوانا وأكثر النسابين على أنه كان دعيا فيهم ولم يكن منهم .

وقالوا : بموالاة أعلام التابعين للصحابة بإحسان وهم الذين قال الله تعالى فيهم : « يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا[3] ربنا إنك رءوف رحيم » .

وقالوا : ذلك فى كل من أظهر أصول أهل السنة ، وإنما تبرءوا من أهل الملل الخارجة عن الإسلام ومن أهل الأهواء الضالة مع انتسابها إلى الاسلام كالقدرية ، والمرجئة ، والرافضة والخوارج ، والجهمية ، والنجارية ، والمجسمة ، وقد تقدم بيان تفصيل هذه الجملة فى الفصل الذى قبل هذا الفصل بما فيه كفاية .

---

(١) وفيه ورد حديث « سبقك بها عكاشة » وتوفى فى قتال طليحة الأسدى سنة ١١ هـ .

(٢) لعله : على بن محمد العبقسى . صاحب الزنج وهلك سنة ٢٧٠ هـ .

(٣) الآية ١٠ من سورة الحشر .

الفصل الخامس

من فصول هذا الباب :

في بيان عصمة الله أهل السنة عن تكفير بعضهم بعضا .

(أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضا ، وليس بينهم خلاف يوجب التبرى والتكفير . فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق ، والله تعالى يحفظ الحق وأهله ، فلا يقعون فى تنابذ وتناقض . وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض. وتبرى بعضهم من بعض كالخوارج، والروافض، والقدرية ، حتى اجتمع سبعة منهم فى مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضا وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حين كفر بعضهم بعضا حتى قالت اليهود : « ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء »[1] ، وقال الله سبحانه وتعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »[2] . وقد عصم الله أهل السنة من أن يقولوا فى أسلاف هذه الأمة منكراً ، أو يطعنوا فيهم طعنا فلا يقولون فى المهاجرين ، والأنصار ، وأعلام الدين ولا فى أهل بدر ، وأحد وأهل بيعة الرضوان ، إلا أحسن المقال . ولا فى جميع من شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولا فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه . وأولاده ، وأحفاده مثل الحسن ، والحسين والمشاهير من ذرياتهم مثل عبد الله بن الحسن[3] . وعلى بن الحسين ،[4] ومحمد بن على[5] وجعفر بن محمد،[6] وموسى بن جعفر[7] ، وعلى بن موسى الرضا[8] عليهم السلام ومن جرى منهم على السداد من غير تبديل ولا تغيير ، ولا فى الخلفاء الراشدين . ولم يستجيزوا أن يطعنوا فى واحد منهم ، وكذلك فى أعلام التابعين ، وأتباع التابعين الذين صانهم الله تعالى عن التلوث بالبدع . وإظهار شيء من المنكرات ، ولا يحكمون فى عوام المسلمين إلا بظاهر إيمانهم ولا يقولون بتكفير واحد منهم إلا أن يتبين منه ما يوجب تكفيره ويصدقون بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب

---

(١) الآية ١١٣ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٨٣ من سورة النساء .
(٣) حفيد الحسن بن على توفى سنة ١٤٥ هـ .
(٤) هو زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ هـ .
(٥) الملقب بالباقر .
(٦) الملقب بالصادق .
(٧) المسمى بموسى الكاظم .
(٨) دفن فى طوس .

هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، كما أخرجه البخارى ، وقد ورد أنه يشفع كل واحد منهم فى عدد ربيعة ومضر ، ويوجبون على أنفسهم الدعاء لمن سلف من هذه الأمة كما أمر الله تعالى فى كتابه حيث قال : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا الذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم[1] » .

الفصل السادس

من فصول هذا الباب

فى بيان فضائل أهل السنة وأنواع علومهم وأئمتهم .

(اعلم أنه لا خصلة من الخصال التى تعد فى المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم ، وأنواع الاجتهادات إلا ولأهل السنة والجماعة فى ميدانها القدح المعلى ، والسهم الأوفر ، فدونك أئمة أصول الدين وعلماء الكلام من أهل السنة ، فأول متكلميهم من الصحابة على بن أبى طالب كرم الله وجهه حيث ناظر الخوارج فى مسائل الوعد والوعيد ، وناظر القدرية فى المشيئة والاستطاعة والقدر ، ثم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما حيث تبرأ من معبد الجهنى فى نفيه القدر وأول متكلمى أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز وله رسالة بليغة فى الرد على القدرية . ثم زيد[2] بن على زين العابدين وله كتاب فى الرد على القدرية . ثم الحسن البصرى ورسالته إلى عمر بن عبد العزيز فى ذم القدرية معروفة . ثم الشعبى وكان أشد الناس على القدرية . ثم الزهرى وهو الذى أفتى عبد الملك بن مروان بدماء القدرية ، ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد الصادق وله كتاب الرد على القدرية وكتاب الرد على الخوارج ورسالة فى الرد على الغلاة من الروافض . وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب أبو حنيفة ، والشافعى فإن أبا حنيفة له كتاب فى الرد على القدرية سماه كتاب الفقه الأكبر وله رسالة أملاها فى نصرة قول أهل السنة إن الاستطاعة مع الفعل ولكنه قال : إنها تصلح للضدين وعلى هذا قوم من أصحابنا[3] ، وللشافعى كتابان فى الكلام أحدهما : فى

---

(١) الآية ١٠ من سورة الحشر .

(٢) المشهور بمنابذة الروافض .

(٣) كتاب (العالم والمتعلم) فيه الحجج القاهرة على أهل الإلحاد والبدعة ، وكتاب « الفقه الأكبر » ذكره صاحب التبصير .

تصحيح النبوة والرد على البراهمة : والثانى : فى الرد على أهل الأهواء . فأما المريسى من أصحاب أبى حنيفة فإنما وافق المعتزلة فى خلق القرآن وأكفرهم فى خلق الأفعال ثم من بعد الشافعى تلامذته الجامعون بين علم الفقه والكلام ، وكان أبو العباس بن سريج أبرع الجماعة فى هذه العلوم وله نقض كتاب الجاروف على القائلين بتكافؤ الأدلة ثم من بعدهم الإمام أبو الحسن الأشعرى الذى صار شجاً فى حلوق القدرية ومن تلامذته المشهورين أبو الحسن الباهلى ، وأبو عبد الله بن مجاهد[1] وهما اللذان أثمرا تلامذة هم إلى اليوم شموس الزمان وأئمة العصر كأبى بكر محمد بن الطيب (الباقلانى) وأبى إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراينى وابن فورك ، وقبل هذه الطبقة أبو على الثقفى وفى زمانه كان إمام السنة أبو العباس القلانسى الذى زادت تصانيفه فى الكلام على مائة وخمسين كتابا ، وقد أدركنا منهم فى عصرنا ابن مجاهد ، وابن الطيب ، وابن فورك وإبراهيم بن محمد رضى الله عن الجميع وهم القادة السادة فى هذا العلم [2] . وأما أئمة الفقه فى عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم فقد ملأوا العالم علما وليس بينهم من لا يناصر السنة والجماعة وهم أشهر من نار على علم ففى سرد أسمائهم طول ، وأما أئمة الحديث والإسناد فهم سائرون على هذا المهيع الرشيد لا يوصم أحد منهم ببدعة وفى طبقاتهم كتب خاصة تغنى عن ذكر أسمائهم هنا وآثارهم الخالدة لم تزل بأيدى حملة العلم مدى الدهر ، وكذلك أئمة الإرشاد والتصوف كانوا على توالى القرون على هذا المنهج السديد فى المعتقد ، وكذلك جمهرة أهل النحو واللغة والأدب كانوا على معتقد أهل السنة ، فمن الكوفيين المفضل الضبى وابن الأعرابى ، والرؤاسى ، والكسائى والفراء وأبو عبيد قاسم بن سلام ، وعلى بن المبارك اللحيانى ، وأبو عمرو الشيبانى ، وإبراهيم الحربى وثعلب وابن الأنبارى وابن مقسم وأحمد بن فارس كانوا كلهم من أهل السنة .

ومن البصريين أبو الأسود الدؤلى ، ويحيى بن يعمر ، وعيسى بن عمر الثقفى ، وعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى وبعدهم أبو عمرو بن العلاء الذى قال له عمرو بن عبيد القدرى .

---

(١) توفى هذان الاثنان الباهلى وابن مجاهد سنة ٣٧٠ هـ .

(٢) كان الإمامان أبو الحسن الأشعرى وأبو منصور الماتريدى هما اللذان جمعا شمل علم الكلام وألفا كثيراً فى مذهب أهل السنة والرد على المخالفين .

وقد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد ، والله تعالى يصدق وعده ووعيده . فأراد بهذا الكلام أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون في النار ، فقال له عمرو بن العلاء فأين أنت من قول العرب ؟ : إن الكريم إذا أوعد عفا ، وإذا وعد وفى ، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال :

وإني إذا أوعدته أو وعدته   لمخلف ميعادي ومنجز موعدي

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم . وكذا الخليل بن أحمد ، وخلف الأحمر ويونس ابن حبيب ، وسيبويه ، والأخفش ، والأصمعي وأبي زيد الأنصاري والزجاج والمازني والمبرد وأبي حاتم السجستاني وابن دريد والأزهري وغيرهم من أئمة الأدب لم يكن بينهم أحد إلا وله إنكار على أهل البدعة شديد ، وبعد عن بدعهم بعيد ولم يكن في مشاهيرهم من تدنس بشيء من بدع الروافض والخوارج والقدرية . وكذلك أئمة القراءة وحملة التفسير بالرواية من عهد الصحابة إلى عهد محمد بن جرير الطبري وأقرانه ومن بعدهم كانوا كلهم من أهل السنة ، وكذلك المفسرون بالدراية إلا بعض أفراد من أهل البدعة ، وكذلك مشاهير علماء المغازي والسير ، والتواريخ ، ونقد الأخبار وحملة الرواية من أهل السنة والجماعة فيظهر بذلك أن جماع الفضل في العلوم في أهل السنة والجماعة حشرنا الله سبحانه في زمرتهم) .

الفصل السابع

من فصول هذا الباب

في بيان آثار أهل السنة في الدين والدنيا وذكر مفاخرهم فيهما .

(ألممنا ببعض آثار السنة في شتى العلوم بحيث يظهر من ذلك أنهم لا يلحقون في هذا المضمار ومؤلفاتهم في الدين والدنيا فخر خالد مدى الدهر للأمة المحمدية ، وأما آثارهم العمرانية في بلاد الإسلام فمشهورة ماثلة أمام الباحثين خالدة في بطون التواريخ بحيث لا يلحقهم في ذلك لاحق كالمساجد ، والمدارس ، والقصور ، والرباطات ، والمصانع والمستشفيات وسائر المباني المؤسسة في بلاد السنة وليس لسوى أهل السنة عمل يذكر في ذلك . وقد بنى الوليد ابن عبد الملك المسجد النبوي ومسجد دمشق على أبدع نظام وكان سنيا وبنى أخوه مسلمة المسجد بقسطنطينية وكان سنيا ، وكل ما في الحرمين وسائر الحواضر من شواهق الآثار من عمل أهل السنة . وأما سعي بعض العبيديين في عمارات فشيء لا يذكر أمام أعمال

ملوك السنة على اختلاف الدول ، على أنه لا موقع لما كانوا يبنونه مع سوء اعتقادهم كما قال الله تعالى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر » ولا يتسع المقام لسرد ما لأهل السنة من الآثار الفاخرة فى الدين والدنيا .

وفى هذه الإلمامة كفاية فى استذكار مآثر أهل السنة التى لا آخر لها فى ناحيتى الدين والدنيا . ولله الحمد وله الفضل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين)

(تم الكتاب بعون الله) .

فهـــارس الـــكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست الموضوعات

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

فهرس الفرق

الأعلام

٣

صفحة

البلدان والأماكن

٤

فهرس القوافى

ء

(ء)

صدر البيت	القافية	البحر	الصحيفة	اسم الشاعر
يعيب القول بالإرجاء حتى	الجرائر	الوافر	١١٥	
ألم تر أن الرافضين تفرقوا	منكرا	الطويل	١٥٤	هارون بن سليم العجلى
أغركم منى رجوعى إلى هجر	الخبر	الطويل	١٧٣	سليمان بن الحسن القرمطى
أما ترى الأقدار لى طوائعا	بالخبر	رجز	١٧٠	فناخسرو بن بويه
من راقب الناس مات هماً	الجسور	مخلع البسيط	١٨٠	
أأترك لذة الصهباء صرفا	وخمر	الوافر	١٨٠	
فإنى وإياه كرجلى نعامة	فقر	الطويل	١٨٧	
	(س)			
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه	بالناس	البسيط	٥٥	
	(ط)			
أقامت غزالة سوق الضرار	قبطا	المتقارب	٦٦	خزيمة بن فاتك
	(ظ)			
لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانيا	الجاحظ	الكامل	١٠٧	
	(ف)			
يدخل الأشداق ما يثقفه	يثقفه	رجز	٨٨	
	(ق)			
نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا	الخوالق	الطويل	٤٧	عدى بن حاتم الطائى
	(ل)			
يا أيها الزيدية المهمله	مرسله	رجز	٤٤	
إمامنا منتصب قائم	بالغربلة	رجز	٤٤	
يا أيها الرافضة المبطله	مبطله	رجز	٤٤	عبد القاهر البغدادي
	(م)			
ألا قل للوصى فدتك نفسى	المقاما	الوافر	٢٩	كثير عزة
لقد أفنيت عمرك بانتظار	عظاما	الوافر	٢٩	عبد القاهر البغدادى

THE DIFFERENCE BETWEEN PARTIES

AND IDENTIFYING THE PARTY OF THEM THAT WILL BE SAVED

By : The Great Leader and Reference Speaker
ABI-MANSOUR ABDEL-KAHER BEN-TAHER EL-BAGHDADY
(Died on 429 A, H.)

Checked out , Introduced , Discussed and Indexed
By : TAHA ABDEL-RAOUF SAAD

PUBLISHER

EL-HALABI AND PARTENERS ESTABLISHMENT FOR PUBLISHING
AND DISTRIBUTION

14 Gwad Hossny St. , Cairo
Tel. : 742155

THE DIFFERENCE BETWEEN PARTIES

AND IDENTIFYING THE PARTY OF THEM THAT WILL BE SAVED

By : The Great Leader and Reference Speaker
ABI-MANSOUR ABDEL-KAHER BEN-TAHER EL-BAGHDADY
(Died on 429 A. H.)

Checked out , Introduced , Discussed and Indexed
By : TAHA ABDEL-RAOUF SAAD



PUBLISHER

...BI AND PARTENERS ESTABLISHMENT FOR PUBLISHING
AND DISTRIBUTION

14 Gwad Hossny St. , Cairo
Tel. : 742155